

رسالة القلم

إسلامية ثقافية شاملة

محور العدد
الأسرة

السنة الثالثة . العدد الثاني عشر . شوال ١٤٢٨ هـ . أكتوبر ٢٠٠٧ م

١٢

اقرأ فديو فدرا Alqalam

- ◆ حقيقة المرأة والرجل
- ◆ ولا تعلموهن الكتابة !!
- ◆ كيف يكون الطفل مبدعاً؟
- ◆ نظرية تفسير القرآن بالقرآن
- ◆ هداية الأئمة عليهم السلام
- ◆ الطواف من الطابق الأول
- ◆ تعريف بالحسينية البحرينية

Resalat Alqalam

رسالة القمر

إسلامية ثقافية شاملة

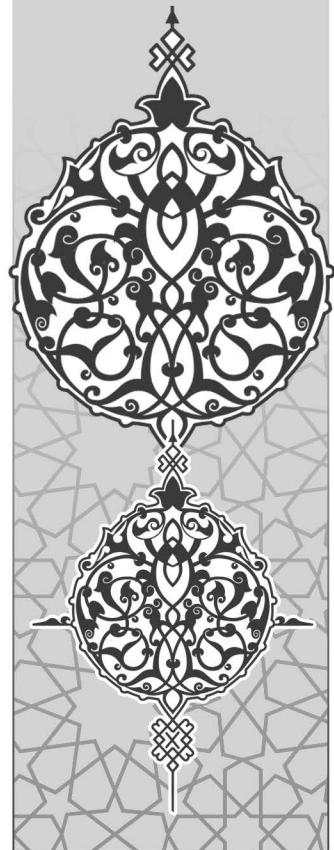
فصلية تصدر عن

طلاب البحرين في الحوزة العلمية
بمدينة قم المقدسة

برعاية

مكتب البيان للمراجعات الدينية

- المشرف العام والمدير المسؤول:
عبد الله علي الدقاق
- رئيس التحرير:
علي أحمد الكريباudi
- مدير التحرير:
علي أحمد الجفيري
- هيئة التحرير:
جعفر عبد المهدي شهاب
سعید حسن المادح
غازي عبد الحسن إبراهيم
فاضل عبد الجليل الزاكي



كتابات

١٢

- ٤ نظرية تفسير القرآن بالقرآن
حوار مع سماحة العلامة السيد كمال الحيدري
- ١٤ قانون الأحكام الأسرية
من خطب الجمعة لسماحة العلامة الشيخ عيسى أحمد قاسم
- ٢٢ حقيقة المرأة والرجل
عيسى جاسم القصاص
- ٢٨ ولا تعلمونهن الكتابة !!
علي أحمد الكربابادي
- ٧١ حقوق المرأة
محمد حسن صالح الكراني
- ٨١ نظرة الإسلام للمرأة
قصي الشيخ علي العربي
- ١٠٦ كيف يكون الطفل مبدعاً؟
السيد عباس جعفر شير
- ١٤٩ هداية الأئمة عليهما السلام
سعید جعفر حماد
- ١٧٥ الإيمان في حبر مسجد جمكران
محمد علي العربي
- ١٨٦ الطواف من الطابق الأول
علي فاضل الصدّي
- ١٩٤ نبذة عن الحسينية البحرينية في قم المقدسة



المرأة والشعار المسؤول

تقف المرأة اليوم في أول صفوف المواجهة والتحدي، مرابطة على التغور التي يراد منها اختراق الحالة الإسلامية، فتسدي بمحافظتها على إسلامها خدمةً للإسلام والمسلمين، فهل من شك في أن الإسلام لا يرضى بظلم المرأة؟!!

مع هذا فإن لاختيار الشعار الذي ترفعه أي فئة أهمية خاصة لا تقل عن أهمية نفس المحتوى الذي يعبر عنه الشعار، ونحن بين شعار حقوق المرأة وغيره من الشعارات المرتبطة بالمرأة ملزمون بالتفريق بين الحالة العامة والحالة الخاصة من حالات المرأة وما تتعرض له من ظروف اجتماعية، فنعالج الحالات الفردية من قهر وظلم وإساءة للمرأة على أنها حالات فردية تقابلها حالات فردية يقع فيها التمييز والظلم والإجحاف على الرجل، سواء في القضاء أو في أعراف بعض المجتمعات الإسلامية. وأما الشعارات العامة والعنوانين المشهورة على المستوى العام فلا بد من كونها عناوين لحالات عامة؛ لكي تتناسب مع الشعار؛ ولكي لا يُستخدم أو يُستغل رافعوها كما في شعار محاربة الإرهاب الذي صعدت أمريكا وغيرها من دول الاستكبار على أكتاف رافعيه لتستولي على بلاد الإسلام.

فالخشية كل الخشية أن نندفع في طرح شعار يرتبط بالمرأة لا نميز بين كونه شعاراً لحالة عامة أو لحالة فردية، وأن مسیر تطبيقه على الأرض واستثمار نتاجه يخدم أي جهة.. وكثير من هذه الشعارات ترکب السياسة فيها على أكتاف رافعيها لفترض قانوناً علمانياً، كقوانين الأحوال الشخصية التي يراد تطبيقها في بعض البلدان باسم الدفاع عن المرأة.

رئيس التحرير



نظريّة تفاسير القرآن بالقرآن

في حوار مع

سماحة العالمة السيد كمال الحيدري

حاوره: عيسى جاسم القصاص

رغم أن أعظم تفسير في الأوساط العلمية قائم على أساس نظرية تفسير القرآن بالقرآن بالدرجة الأولى ألا وهو تفسير الميزان إلا أن هذه النظرية لازالت غامضة من جوانب عده، ولم يتصد السيد العالمة الطباطبائي في كتبه لبيان تفاصيل هذه النظرية، واكتفى بالإشارات المختصرة مع الأدلة المقتضبة، من هنا حاول بعض العلماء التصدي لبيان هذه النظرية لما لها من أهمية كبرى في طريقة فهم القرآن الكريم، ومن تصدى لهذه العملية الشاقة والتي تمثل واحدة من أهم المسائل الحوزوية، هو سماحة الأستاذ العالمة السيد كمال الحيدري.

يعتبر السيد كمال من أبرز الأساتذة المهتمين بعلوم القرآن والمعارف العقلية الإلهية في الحوزة العلمية، من هنا جاء هذا الحوار ليضع بعض اللمسات على نظرية تفسير القرآن بالقرآن مع سماحة السيد حيدري.

سماحة السيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

✿ سماحة السيد بداية ما المقصود من نظرية تفسير القرآن بالقرآن، ومن هو المؤسس لهذه النظرية؟

❖ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ وَاللَّعْنُ الدَّائِمُ الْمُؤْبِدُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ إِلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ.

بدأت عنابة المسلمين بتفسير القرآن الكريم والكشف عن معانيه وأسراره من أول نزوله على النبي ﷺ واستمرت هذه العنابة إلى يومنا هذا وستبقى مستمرة ما دام القرآن وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، غير أن معالجة المسلمين للكشف عن معاني القرآن لم تجر على نمط واحد ولم تكن على مستوى واحد من الفهم والإدراك.

فالمحدثون - مثلا - قد اقتصروا على التفسير بالرواية عن السلف من الصحابة والتابعين، فساروا وجدوا في السير حيث ما يسير بهم المأثور ووقفوا فيما لم يؤثر فيه شيء ولم يظهر المعنى ظهورا لا يحتاج إلى البحث أبدا بقوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا﴾. وأما المتكلمون فقد دعتهم الأقوال المذهبية على اختلافها أن يسيرا في التفسير بما يوافق مذاهبهم واتجاهاتهم الكلامية بأخذ ما وافق وتأويل ما خالف على حسب ما يجوزه ويرتضيه قول المذهب.

وأما الفلسفه فقد عرض لهم ما عرض للمتكلمين من المفسرين من الواقع في ورطة التطبيق وتأويل الآيات المخالفة بظاهرها للمسلمات في فنون الفلسفة بالمعنى الأعم أعني: الرياضيات والطبيعيات والإلهيات والحكمة العلمية.

وأما المتصوفة فإنهم لاشغالهم بالسير في باطن الخلقة واعتنائهم بشان الآيات الأنفسيه دون عالم الظاهر وآياته الآفقيه اقتصروا في بحثهم على التأويل ورفضوا

التنزيل فاستلزم ذلك اجتراء الناس على التأويل وتلقيق جمل شعرية والاستدلال من كل شيء على كل شيء حتى آل الأمر إلى تفسير الآيات بحساب الجمل ورد الكلمات على الزبر والبيانات والحرروف النورانية والظلمانية إلى غير ذلك.

وهناك مسلك جديد معاصر في التفسير يقوم على أساس تفسير جميع المعرف الدينية من خلال العلوم الطبيعية المبنية على الحس والتجربة والعلوم الاجتماعية. وأنت بالتأمل في جميع هذه المسالك والمناهج المنقولة في التفسير تجد أن جميعها مشتركة في نقص وبئس النقص وهو تحويل ما أنتجته الأبحاث العلمية أو الفلسفية من خارج مدلائل الآيات.(سيأتي الحديث عن التفسير بالتأثير)

نظريّة تفسير القرآن بالقرآن:

حاول جملة من أعلام المفسّرين من الفريقين كالطبرى والرازى والطبرسى والطوسى والطباطبائى أن يتھجو طریقا آخر غير ما سلكه الآخرون. حيث اعتمدوا القرآن نفسه لتفسير القرآن، وذلك لما ورد عن النبي ﷺ : «أن القرآن يفسّر بعضه بعضاً، ويصدق بعضه بعضاً، وينطق بعضه ببعض».

وللتوضیخ النظرية أكثر نضرب هذا المثال الذي يطبق فيه المعصوم علیہ السلام هذه الطريقة التي هي في الواقع مستفادة منه علیہ السلام : إن عمر بن الخطاب أتى بأمرأة وضعت لستة أشهر فهم برجمها، فبلغ ذلك عليا فقال: ليس عليها رجم فبلغ ذلك عمر فأرسل إليه يسألة، فقال علي علیہ السلام : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتَمَّ الرَّضَاعَةُ﴾ وقال: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ فستة أشهر حمله، وحولاً كاملاًن تمام الرضاعة، لا حد عليها ولا رجم. قال فخلى عنها.

✿ ما هي أهم أدلة القائلين بهذه النظرية؟

❖ هناك عدة أدلة ذكرها أصحاب هذه النظرية نشير إلى واحد منها، وهو مقتبس من نفس القرآن الكريم.

وهذا الدليل يحتاج إلى عدة مقدمات لكي نصل فيه إلى نتيجة واضحة:

- ١- أن القرآن الكريم كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لأنَّ معجزة النبي الخالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.
- ٢- أنه لا يوجد في مضمون القرآن الكريم أي اختلاف أصلاً، لقوله تعالى: ﴿فَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.

٣- أن آياته متشابه، والتشابه هو توافق أشياء مختلفة واتحادها في بعض الأوصاف والكيفيات، وقد وصف الله سبحانه القرآن بهذا الوصف حيث قال: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشِعُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ والمراد كون آيات الكتاب ذات نسق واحد من حيث جزالة النظم وإتقان الأسلوب، وبيان الحقائق والحكم، والهداية إلى صريح الحق، كما تدل عليه القيود المأخذة في الآية وهذا غير التشابه الذي في قبال المحكم، فإنه صفة بعض آيات الكتاب، وهذا وصف جميع الكتاب، وقوله مثاني جمع مثنية بمعنى المعطوف، لانعطاف بعض آياته على بعض ورجوعه إليه بتبيين بعضها وتفسير بعضها البعض من غير اختلاف فيها بحيث يدفع بعضه ببعضه وبناقهته.

النتيجة: وكتاب له هذه الخصوصيات لا يمكن إلا أن يكون مفسراً لنفسه ومبينا

للمعارفه دون حاجة إلى الغير، إذ لو احتاج إلى الغير لللزم أن لا يكون التدبر فيه موصلا إلى أن هذا الكتاب منه تعالى، وهذا خلاف ما دل عليه قوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ ولزم أن لا يكون القرآن أحسن الحديث يهدي به الله من يشاء من عباده إلا بمعونة الغير، والمفروض أنه هو الدليل على صحة نبوة النبي الأكرم ﷺ .

❖ أشرتم في بداية الكلام إلى مسألة التفسير بالتأثر، فما هو دور الحديث في التفسير وفقاً لهذه النظرية؟

❖ بعد أن اتضحت أن الطريق إلى فهم القرآن غير مسدود، وأن البيان الإلهي والذكر الحكيم بنفسه هو الطريق الهادي إلى نفسه، أي أنه لا يحتاج في تبيين مقاصده إلى غيره، يأتي هذا التساؤل: ما هو دور الحديث في فهم القرآن الكريم؟ تقدم أن الآيات التي تدعوا الناس عامة من كافر ومؤمن من شاهد عصر النزول أو غاب عنه إلى تعقل القرآن، وتأمله والتدبر فيه، وخاصة قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ تدل دلالة واضحة على أن المعرفة القرآنية يمكن أن ينالها الباحث بالتدبر والبحث، ويرتفع به ما يتراءى من اختلاف بين الآيات، والآية في مقام التحدي ولا معنى لإرجاع فهم معاني الآيات – والمقام هذا المقام – إلى بيان النبي ﷺ ما بينه ﷺ : إما أن يكون معنى يوافق ظاهر الكلام، فهو مما يؤدي إليه اللفظ ولو بعد التدبر والتأمل والبحث.

وإما أن يكون معنى لا يوافق الظاهر، ولا أن الكلام يؤدي إليه فهو مما لا يلائم التحدي ولا تتم به الحجة وهو ظاهر.

نعم تفاصيل الأحكام مما لا سبيل إلى تلقيه من غير بيان النبي ﷺ ، كما أرجعها القرآن الكريم إليه في قوله تعالى: **﴿وَمَا آتَكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾** وما في معناه من الآيات، وكذا تفاصيل القصص والمعاد مثلا. ومن هنا يظهر أن شأن النبي ﷺ في هذا المقام هو شأن التعليم فحسب، والتعليم إنما هو هداية المعلم الخبير ذهن المتعلم وإرشاده إلى ما يصعب عليه العلم به والحصول عليه، لا ما يمتنع فهمه من غير تعليم، فإنما التعليم تسهيل للطريق وتقريب للمقصد لا إيجاد الطريق وخلق المقصود، والمعلم في تعليمه إنما يروم ترتيب المطالب العلمية ونضدها على نحو يستسهله ذهن المتعلم ويأنس به، فلا يقع في جهد الترتيب وكم التنظيم فيختلف العمر وموهبة القوة أو يشرف على الغلط في المعرفة.

وهذا هو الذي يدل عليه أمثل قوله تعالى: **﴿وَأَنْزَلَنَا إِلَيْكَ الْذِكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾** وقوله تعالى: **﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾** فالنبي إنما يعلم الناس ويبين لهم ما يدلهم عليه القرآن بنفسه ويبينه الله سبحانه بكلامه، ويمكن الناس الحصول عليه بالأخرة، لا أنه ﷺ يبين لهم معاني لا طريق إلى فهمها من كلام الله تعالى، فإن ذلك لا ينطبق البة على مثل قوله تعالى: **﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾** وقوله تعالى: **﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾** وهذا ما أكدت عليه الروايات الكثيرة الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

عن الإمام أبي عبد الله الصادق ع قال: «إن الله أنزل في القرآن تبيان كل شيء حتى والله ما ترك الله شيئا يحتاج إليه العباد إليه إلا يبينه للناس حتى لا يستطيع عبد يقول: (لو كان هذا أنزل في القرآن) إلا وقد أنزل الله فيه».

هذا مضافا إلى الأخبار المتواترة عنه ﷺ المتضمنة لوصيته بالتمسك بالقرآن والأخذ به، وعرض الروايات المنقوله عنه على كتاب الله، فإنه لا يستقيم معناها إلا

مع كون جميع ما نقل عن النبي ﷺ مما يمكن استفادته من الكتاب، ولو توقف ذلك على بيان النبي ﷺ كان من الدور الباطل وهو ظاهر.(الميزان ج ٣/٨٤)

❖ تضمن كلامكم فيما يرتبط بدور الحديث في التفسير ما يرتبط بالنبي الأكرم ﷺ فماذا عن أهل البيت ع؟

❖ يقوم أهل البيت ع مقام النبي الأكرم ﷺ ، وهذا ما دلت عليه الروايات المتواترة، ومن أشهرها حديث الثقلين.

❖ لعل البعض يشكل على هذه النظرية باستلزمها الاستغناء عن المعصوم عليه في تفسير القرآن؟

❖ إننا وإن كنا نعتقد أنه يمكن الاستمداد بالقرآن لفهم القرآن، لأن القرآن يفسّر بعضه ببعض، إلا أن الكلام في أنه هل يمكن ذلك لكل أحد من غير توجيه وهداية من بيانات الرسول الأعظم وأئمة أهل البيت ع؟

هنا يأتي حديث الثقلين وغيره لإثبات أنه لو لا هداية وبيان هؤلاء ع للمنهج الذي ينبغي اتخاذه لاستخراج معارف القرآن الكريم لما أمكن ذلك، عن أبي ليبد البحرياني قال: « جاء رجل إلى الإمام الバاقر ع بمكة فسأله عن مسائل فأجابه فيها، ثم قال له الرجل: أنت الذي تزعم أنه ليس شيء في كتاب الله إلا معروف؟ قال: ليس هكذا قلت، ولكن ليس شيء من كتاب الله إلا عليه دليل ناطق عن الله في كتابه مما لا يعلمه الناس ».

أما غيرهم فحيث لم يحيطوا بجميع ما ورد في القرآن من العام والخاص

والناسخ والمنسوخ والمحكم والمشابه فإنه لا يمكنهم أن يقوموا بهذا الدور إلا بنحو جزئي غير كامل، خصوصاً إذا علمنا أن للقرآن منهجه الخاص في بيان معارفه ومقاصده.

❖ من الواضح النهي الشديد عن تحميل الآراء الكلامية والفلسفية العقلية على الآيات القرآنية، بل لا يعد ذلك تفسيراً، فهل يعني ذلك عدم وجود أي دور للعقل والبراهين الفلسفية في فهم القرآن الكريم؟

❖ إن الحياة الإنسانية قائمة على أساس الإدراك والتفكير، ولازم ذلك أن الفكر كلما كان أصح وأتم كانت الحياة أقوم. وقد دعا القرآن الكريم إلى الفكر الصحيح وترويج طريق العلم في آيات كثيرة وبطرق واساليب متنوعة كقوله تعالى ﴿أَوَ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَنَا هُوَ جَعَلَنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ ولم يعين في الكتاب العزيز هذا الفكر الصحيح القيم الذي يندرج إليه إلا أنه أحال فيه إلى ما يعرفه الناس بحسب عقولهم الفطرية وإدراكيهم المركوز في نفوسهم.

وليس القرآن خارج دائرة ما يمكن من خلال العقل والبرهان فهمه وإدراكه، ولكن قد يسأل سائل: أليس من الحق أن نعلن خشيتنا من أؤدي خلفية القواعد الفلسفية التي يحملها المفسر إلى إسقاط هذه الرؤى الفلسفية على النص القرآني وتوجيهه بما ينسجم معها؟

الجواب: إنها خشية مشروعة وقد تحدثنا سابقاً عن هذا المحذور وقلنا أن جملة من الاتجاهات الفلسفية والكلامية والعرفانية والحسبية التجريبية حاولت حمل أصولها ورؤاها على التفسير، وذكرنا أن هذا النمط من المسير الذي تسلكه هذه

الاتجاهات من تحويل معطيات العقل والمكاشفة أو حصائر العلوم المعاصرة على القرآن ليس تفسيراً بل هو تطبيق، فمثلاً لو كانت عندك قضية عن المبدأ سبحانه أو المعاد أو عن النبوة والإمامية، فإن وجهت السؤال إلى العقل وأجاب عنه من خلال قواعده التي أسسها في الفلسفة، ثم انصرفت تلقاء القرآن تجمع الشواهد من الآيات تؤيد بها ما ذهب إليه العقل، فإن المجيب هنا هو العقل، وهكذا يعكس ما لو اتجهنا بالسؤال إلى القرآن مباشرةً، فعندئذ تكون بين يدي القرآن، نحن نسأل القرآن يجيب.

غاية ما هناك أن أحوجة القرآن تنطوي في كثير من الأحيان على احتمالات متعددة، فنحتاج إلى مرشد وهاد ووجه يبحث بنا الخطى صوب مسار بعينه، هنا يأتي دور العقل كمصابح، فهو لا يوجد طريقاً، بل يرشد إلى الطريق، فلوا كان عند الإنسان طريق لكن ليس لديه نور يستضيء به فلا يستطيع أن يمشي في ذلك الطريق وينتفع به.

إذن نحن أمام طريقين: أن نتجه إلى العقل أو إلى القرآن، في الطريق الأول نسأل العقل أولاً، ثم نطق عليه الآيات، أما في الطريق الثاني، فنسأل القرآن أولاً، لكن بهداية من العقل وبتوجيه منه، والمنهجية ذاتها تنطبق على دور النقل، لذا قال الطباطبائي: (فرق بين أن يقول الباحث عن معنى آية من الآيات: ماذا يقول القرآن؟ أو يقول: ماذا يجب أن نحمل عليه الآية؟ فإن القول الأول يوجب أن ينسى كل أمر نظري عند البحث وأن يتکئ على ما ليس بنظري، والثاني يوجب وضع النظريات في المسالة وتسليمها وبناء البحث عليها).

الحاصل: إن هناك فرقاً بين التحميل والتوظيف، فلكي نفهم القرآن نحتاج إلى

مجموعة من القواعد والمعطيات، فلو صح التمثيل تجد نفسك عندما تريد أن تفهم اللغة العربية مدفوعاً لدراسة النحو والصرف والبيان ونحو ذلك، فأنت تدرس هذه المقدمات لكي تفهم الكلام العربي الذي يمثله النص القرآني وأحاديث النبي وأهل البيت عليهما السلام، فمن دون أن تكون لك معرفة باللغة ودرائية بأصولها وقواعدها لا يمكنك أن تفهم القرآن من حيثيته اللغوية.

وكذلك الحال من حيث المحتوى فلكي يفهم الإنسان جواب القرآن ونظرياته ورؤاه لابد أن يكون مزوداً بمجموعة من القواعد والمعطيات التي هي بمنزلة النور وبمثابة المصباح الذي يضيء إلى السبيل إلى الفهم.

لكن حيث أن العقل البشري قد يصيب وقد يخطئ وهذه البراهين التي انتهى إليها قد تصيب الواقع وقد تخطئه فينبغي للإنسان أن يرجع إلى الظواهر العامة الموجودة في القرآن تؤيد أو تخالف ما انتهى إليه من نتائج عقلية.

قانون الأحكام الأسرية

قال سماحة العلامة الشيخ عيسى أحمد قاسم في خطبة الجمعة الثامنة عشر بعد المئتين الموافقة لليوم الأول من شوال لسنة ١٤٢٦هـ:

نقرأ بين يدي الحديث في هذا الموضوع هذه الآيات الكريمة:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةً إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾^(١).
﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٢).
﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٣).
﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٤).
﴿وَلَوْ تَقُولَّ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخْدَنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتَنِينَ﴾^(٥).

وأسأل: هل أحكام الأسرة مما قضى الله ورسوله فيها أمراً أم لا؟.

وهل أحكام الأسرة مما حكم به ما أنزل الله أو مما لم يحكم به ما أنزل الله على رسوله ﷺ؟

ثم أليس «حلال محمد حلال إلى يوم القيمة وحرامه حرام إلى يوم القيمة»؟

لماذا القانون؟

طرح دعوة القانون بلا ضمانات - أو بضمادات غير كافية - الأسباب الإعلامية

التالية:

١) صعوبة الرجوع إلى الرسائل العملية وكتب الاستدلال لاستخراج الأحكام

القضائية.

- (٢) عدم اعتماد مصدر محدد في الأحكام والافتتاح على أكثر من رسالة عملية وكتاب استدلالي يربك موقف المدعي، المدعي عليه والمحامي، ويحررهم الوضوح الكافي والاطلاع الكافي في القضايا التي هي محل التداعي والاهتمام.
- (٣) تكرر الحكم في الواقع الواحدة بتكرر الفتاوى التي يتفاوت القضاة في الرجوع إليها.

هذه هي الأسباب الإعلامية. وهذه كلها لو صدقت لعالجها قانون تحميه الضمانات العلمائية من التلاعب الذي يحرفه عن الشريعة.

أما ما هي الخلفية الحقيقة للإصرار على هذا القانون؟ فهناك مطالبة تاريخية تمتد زمناً كانت تركز على قانون للأحوال الشخصية تتمتع من خلاله المرأة بالحقوق التي تمتلك بها المرأة في الغرب كما يدعون، وتقترب بالحياة التشريعية في هذا البلد إلى النمط التشريعي في البلاد الغربية.

ونقرأ في صحيفة الأيام (٢٠٠٥/١١/٢) :

وهي - أي الضمانات المشترطة من قبل العلماء - كما نلاحظ مطالب وشروط واشتراطات تتنافى وتعارض مع مفاهيم الديمقراطية التي نريد إنشاعتها». فمطلوب أن يشيع التصويت الديمقراطي بالنسبة للأحكام الشرعية^(٦) ويقول أيضاً:

« بينما تأتي جماعات وجمعيات لطلب بمنع التعديل على القوانين وتذهب إلى ما هو أبعد من ذلك حين تشرط ضمانة دستورية تمنع التعديل وتحظره حاضراً ومستقبلاً وهو ما لم يحدث في التجارب الديمقراطية السابقة واللاحقة»!! فالمطلوب من القانون هو أن يكون قانوناً قابلاً للتغيير إن لم يمكن الانحراف به

عن خط الشريعةاليوم صار ذلك ممكناً غداً، وخوفهم من الضمانات أنها تقف في وجه هذه التعديلات والتغييرات، وهذا ما يعطيه ظاهر العبرة بكل وضوح.

أما صحيفة الوسط (الثلاثاء ١ /نوفمبر ٢٠٠٥) فقد جاء فيه عن حوار أجراه مساعد وكيل وزارة الخارجية الأمريكية لشؤون الشرق الأدنى (سكوت كاربنتر) عبر الأقمار الصناعية من مقره في واشنطن إلى مقر السفارة الأمريكية في الزنج (المنامة):

«وفي شأن تمكين المرأة قال كاربنتر: إن منتدى المستقبل يدفع باتجاه تمكين المرأة من خلال تحسين القوانين في المنطقة مما يرفع دورها في الشأن العام كاشفاً أن البحرين هي واحدةٌ من الدول المدرجة ضمن قائمة البلدان الشرق أوسطية التي تتقدم في تعزيز دور المرأة؛ ولذلك فإن البحرين ستحتضن مؤتمراً إقليمياً عن القوانين الأسرية في الشرق الأوسط الموسّع وشمال أفريقيا مطلع العام المقبل للتحاور مع مختلف الأطراف بشأن هذا الموضوع الاستراتيجي».

أي تحسين لوضع المرأة؟! هو تحسين على الطريقة الأمريكية، ومن منطلق النظرة الأمريكية وبما ينقل الساحة كل الساحة إلى الرؤية الأمريكية، يبدو أن المرأة المسلمة محظوظةً جداً دون أخيها الرجل في السياسة الأمريكية. أتصدقون؟! أطمئن المرأة لأمريكا التي تستولي على أرض العراق؟! وتستولي على أرض أفغانستان، وتقف مع إسرائيل، وتحكم الطوق على البلاد الإسلامية، وتفرض هيمنة حكومات عميلة كثيرة على أرض الإسلام، أطمئن المرأة المسلمة أن أمريكا تقف معها في خندق واحد ضد أخيها الرجل المسلم، ضد زوجها المسلم، ضد ابنها المسلم حرضاً على مصلحتها؟!

إنَّ قانون الأحكام الأسرية كما يريدونه - لا كما نريده بضمانت كافية - يعني

تأهلاً للمؤتمر القادم، ويعني طلب تزكية من أمريكا، وطلب شهادة شرف، وشهادة تقدُّم؛ لأننا سنكون قد سبقنا البلدان الأخرى في الأخذ بالمرأة في الاتجاه الغربي، وبسبقنا البلاد الأخرى على خط التشريعات الغربية، وطرد القرآن من المساحة المتبقية في حياة المسلمين.

الضمادات المطلوبة ليست أكثر من ثلاث ضمادات:

- ١) ينشأ القانون شرعاً ويبقى شرعاً.
- ٢) شرعيته بموافقة المرجعية الدينية العليا - واخترنا أن تكون المرجعية في النجف الأشرف - عليه ابتداءً وعند أي تغيير ولو طفيف لا بموافقة المؤسسة التشريعية الوضعية. فإن موافقة المؤسسة التشريعية الوضعية على أي تغيير واضح جداً أنها لا تمثل حكم الله، وأي مجلس وطني لا يمثل مرجعية دينية لأي فرد مسلم، وترك مصير القانون بيد أي مؤسسة وضعية معناه توقيعُ مَنْ على مجافاة الإسلام، على مجانية الإسلام، على إدارة الظهر للإسلام.
- ٣) لابد من مادة دستورية ضامنة لمؤدى البنددين السابقين، وغير قابلة للتغيير.

الضمادات والموقف العقلائي:

كل العقود والعقود والمواثيق تقوم على طلب الأطراف الداخلة فيها كل الضمادات التي تكفل لها مصلحتها. ما من عقد ولا عهد ولا ميثاق إلا ويحاسب الأطراف فيه على مستوى الكلمة، والحرف الواحد من أجل ضمان مصلحة هذا الطرف، وضمان مصلحة ذلك الطرف.

عقد إيجار بيت تحرز فيه ما أمكنك، وتأخذ من القيود كل ما تستطيع من أجل ضمان مصلحتك. هذه هي سيرة العقلاء، هذه هي سيرة التاريخ، هذه هي سيرة

العالماليوم كله، ولكم مثال في الدستور العراقي، وكم تحرص الأطراف هناك على أن تكون حظوظها وافرة، وأن تكون حقوقها مكفولة.

وماذا فعلت حكومتنا في البحرين هنا على مستوى الميثاق والدستور وهي طرف قوي؟!

إن قوتها لم تكفيها عن تضمين الميثاق، وعن تضمين الدستور سنة ٧٣ وعن الدستور المعتمد أخيراً عند الدولة عن إدراج في كل من الميثاق والدستور تضمن بقاء الحكم الوراثي، وينص فيها على أنها غير قابلة للتغيير.

فليس بدعاً أن يشترط المؤمنون لأنفسهم ما يضمن بقاء دينهم وسلامة أعراضهم وأنسابهم حاضراً ومستقبلاً، على أن ليس كل تعويلنا على المادة الدستورية، وإنما الموقف الشعبي المؤمن هو الضمانة الكبرى بعد الاتكال على الله عزّ وجلّ، ولكن هذا لا يعفينا أبداً أبداً عن طلب ضمانة دستورية تضمن لنا البقاء على خط الإسلام ولو في هذه المساحة المحدودة.

مع المسيرة:

تقرر عند المجلس الإسلامي العلمائي أن تكون مسيرة علمائية جماهيرية حاشدة إن شاء الله يوم الأربعاء القادم الساعة الثالثة والنصف تبدأ من دوار كرباباد^(٧).

وإن موقف المؤمنين من القانون يمكن أن يكون أحد ثلاثة على مستوى الأرض: أن يكون موقفاً مؤيداً لقانون بلا ضمانات وفيه استرخاص للدين، واستهانة بالأعراض، ومقارقة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولا أظن بمؤمن أن يرتكب مثل هذا الأمر.

موقف التفرّج، أن يقف المؤمنون من القانون موقف المتفرّج، وموقف

الصمت، وهو موقف لم نتعوده من مسلم غيور، ولا يأذن به كتاب ولا سُنة، وهو موقف يوصف بأنه موقف الشيطان الأخرس.
لم يبق للمؤمن إلا موقف المعارض.

لماذا المسيرة؟

- ١) لقد ملأوا الدنيا إعلاماً وجعلوا من القانون الذي يريدونه بلا ضمانات أو بضمانات مهلهلة غير ملزمة منقاداً وخلاصاً وضرورة لابد منها.
حاولوا أن يستثيروا الهمم، وأن يحشّدوا الجماهير، وأن يسرقوا الرأي العام، وأن يستغفلا الكثرين بحملة إعلامية سُخّرت لها الملايين. فلابد من مقابلة الحملة الإعلامية بصوت واضح جاهر صريح.
- ٢) صوروا وعلى المستوى الإعلامي أن غالبية الشعب مع قانون بلا ضمانات.
وعلى الشعب أن يرد، وعلى الغالبية أن تُفصح عن رأيها^(٨).
- ٣) سكوت الجماهير المؤمنة المعارضة سيحمل على تأييد القانون بلا ضمانات
وسيعتبر ضوءاً أخضر لتمريره^(٩).
- ٤) إذا تأخر يوم المعارضة الصارخة الجماهيرية الواسعة بعض الشيء سقطت قيمة المعارضة^(١٠).
- ٥) هذا القانون لو مرر فلا عودة عنه إلا بالدماء، وقد لا تفيid الدماء الغزيرة كذلك، ولكم في العراق مثال^(١١). حاولت الحكومة الانتقالية في العراق وقتها أن تعيد كل أهل مذهب إلى مذهبهم في الأحكام الأسرية إلا أن أمريكا والعلمانيين أحذوا ضجةً كبرى اضطرت الحكومة العراقية وقت ذاك أن تعود إلى قانون الأحوال الشخصية الذي سُنه صدام.
على أننا لا نريد أن تصلكم إلى أن تبذل أي قطرة دم وخاصة بين أبنائهما.

٦) الواجب الشرعي الحتمي المتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحماية الشريعة والذي لانملك وسيلة لأدائه أنساب من هذا الأسلوب السلمي الهادئ.

٧) كون أحكام الأسرة من أحكام أحد الأمور الثلاثة الاحتياطية جداً وهي: الدماء والأعراض والأموال، ولقيمة الأعراض فإن الأموال والدماء يُضخّى بها في الإسلام من أجلها.

لأهمية الأعراض تبذل دمك ومالك في سبيل حفظ عرضك، هذه هي أهمية الأعراض في الإسلام^(١٢).

بعد هذا كُلّه أجزم أنّ من واجبي شخصياً أن أدعو إلى هذه المسيرة المباركة وأن أخرج فيها وحتى لا أكون شيطاناً آخر^(١٣).

وهي مسيرة لكل الأعمار، لكل المستويات، للرجل والمرأة، وأخص لتفحم ب موقفها الرسالي الصريح المعلن الذي تخندق مع الإسلام كل الأصوات المفترية على المرأة المسلمة والتي تريد أن تستغفلها وتستخفها وتظن أنها قابلة للاستخفاف. نريد من المرأة موقفاً صريحاً ومكثفاً وأن تكون كثافة تواجدها وحضورها في المسيرة أكثر من كثافة وتواجد الرجل.

والمسيرة لاتعني حرباً مفتوحةً مع الحكومة، ولستنا على خط المواجهة الساخنة، ولكنه الواجب الحتمي الذي لا مفرّ منه، والذي نسترخص في سبيله أي شيء. والمسيرات الحقوقية الدينية والدنوية في نظرنا ضرورة، وليس هوائية، وهذه واحدة من المسيرات الضرورية.

وأنا أسأل: كيف صارت ساحتنا ساخنةً كثيراً؟ لماذا ساحتنا ساخنةً في الكثير؟ إنه موقف الحكومة الذي يدفع في هذا الاتجاه.

المشكلة بعد المشكلة، وكل يوم تفتح حرباً، وكل يوم تدخل البلد في مضيق، فمن مسألة الدستور، إلى مسألة التمييز، إلى مسألة التجنيس، إلى مسألة البطالة... وتأتي الآن القوانين الجهنمية الظالمة وآخرها هذه المحاولة وليس الأخيرة، هذا الموقف الحكومي هو الذي يوقد ويشعّل الساحة، ويستغرب المرء كثيراً للبلد يريد أن يهدا، لساحة تريد أن تهدا، لأنعطاقة حدثت وبشرت بحالة استقرار وأمن وإخاء ومحبة كيف يعقبها هذا الزلزال المتواصل؟! وهذه التحديات المتواالية التي لن تترك للحكومة صديقاً على هذه الأرض إلا من قل.

نصيحتي للحكومة أن تصالح شعبها لا من خلال الكلمة فقط، وإنما من خلال الموقف، وإن الشعب لأسرع في الاستجابة إلى الخير من الحكومة لو جرّبت.

المواهش:

- (١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.
- (٢) سورة المائدة، الآية: ٤٤.
- (٣) سورة المائدة، الآية: ٤٥.
- (٤) سورة المائدة، الآية: ٤٧.
- (٥) سورة الحاقة، الآيات: ٤٤ - ٤٦.
- (٦) وإذا دخل التصويت دائرة الأحكام الشرعية في موضوع الأنساب والأعراض، لم يعد دخوله دائرة الحج والصوم والصلة.
- (٧) هتاف جموع المصليين بـ(معكم معكم يا علماء).
- (٨) هتاف جموع المصليين بـ(لن نركع إلا لله).
- (٩) هتاف جموع المصليين بـ(هيئات معاذنة).
- (١٠) هتاف جموع المصليين بـ(بالروح بالدم نفديك يا إسلام).
- (١١) هتاف جموع المصليين بـ(الله أكبر) وـ(النصر للإسلام).
- (١٢) هتاف جموع المصليين بـ(بالروح بالدم نفديك يا إسلام).
- (١٣) هتاف جموع المصليين بـ(معكم معكم يا علماء).

لِقَيْقَةُ الْمَرْأَةِ وَالرَّجُلِ

عيسي جاسم القفاص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ، وَاللَّعْنُ
الْدَّائِمُ الْمُؤْبِدُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ إِلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ.

مقدمة:

ليس فهم الإسلام حكراً على فئة دون أخرى، لكنه أيضاً ليس شرعاً لـكل وارد، دعوة القرآن للتدبـر والفهم ليس لفئة خاصة، بل لـكل من يملك فطرة إنسانية، ولكن البعض يأتي ليتدبـر القرآن بالطريق الصحيح، وآخر يقول حسبنا كتاب الله!^(١) والبعض يأتي خالياً من كل غذاء ليجلس على مأدبة الله المملوـءة بالطعام، وآخر يأتي بطعمـه ليضعـه على تلك المأدبة وـكان المأدبة ناقصة محتاجـة.

الطريقة الصحيحة لفهم الإسلام الأصيل أن يأتي الإنسان متلـماً ليجلس على مأدبة الله، ويأخذ منها بقدرـه، وعليه أن يجعل عيناً على الآية وأخـرى على الرواية المعصومة، فالتمسـك بأحدـهما دون الآخر ضلالٌ مبينٌ.

نعم الأصل الذي يـرـدـ إليه كل فرع هو القرآن الكريم، فلا بد من عرض الرواية على القرآن الكريم، وما بين القرآن منها فهو زخرفٌ لم يقلـه أهلـ البيت عليه السلام، بل هو من وضعـ الكذبة الذين كثروا.

والمسألة التي نريدـ الولوجـ فيها من المسائل الشائكة فيـ المباحثـ الفكرـيةـ، وقد كانت مثارـ جدلـ واسـعـ بينـ المـفكـريـنـ منـ علمـاءـ الـأديـانـ وـغـيرـهـمـ، ولـكـيـ نـلـجـ الـبـحـثـ

بحذر ودقة علينا أن نجعل القرآن الكريم هو المحور في ما نصل إليه من أفكار أولاً، وثانياً أن نسلك الطريق السليم لفهم القرآن الكريم.

أهمية البحث:

يعتبر هذا البحث من أهم البحوث الفكرية لعدة أمور:

- ١) أنه يبين للمرأة مكانتها الحقيقة في الإسلام، ويجعلها تعز وتشعر بانتماها إلى دين ومبدأ يحترمها ويراها إنساناً كاملاً، وهذا عامل قوي لربط المرأة بإسلامها وتعلقها به.
- ٢) يبين قدرة الإسلام على حل المسائل الفكرية المستعصية، بصورة واضحة وواافية مقنعة، وبنحو يتلاءم مع الفطرة والعقل السليم، وهذا عامل آخر لبيان أحقيـة الإسلام وصدقـه، ولربطـ البشرية به.
- ٣) يدفع الشبهـات المـتـالية حول مـكانـةـ المرأةـ وـحقـوقـهاـ فـيـ الإـسـلامـ،ـ سـيـماـ فـيـ مـثـلـ هـذـاـ العـصـرـ الـذـيـ كـثـرـتـ فـيـ التـشـكـيـكـاتـ فـيـ الدـيـنـ الإـسـلامـيـ.

ما المراد بالحقيقة؟

أول مسألة لا بد من بيانها لكي يتضح محل البحث، هي أن المراد بالحقيقة التي ننشد الوصول إلى معرفتها، هي الحقيقة المعنوية، وليس المادية، فليس بحثنا عن الفوارق المادية والجسدية بين الرجل والمرأة، فليس هذا البحث محل جدل إلا في بعض جزيئاته، وإنما الكلام عن روح الرجل والمرأة، الروح التي تمثل حقيقة الإنسان، فالإنسان حقيقته بروحـهـ التيـ لاـ تـبـلىـ،ـ فـهـلـ هـنـاكـ فـرـقـ بـيـنـ رـوـحـ الـمـرـأـةـ وـالـرـجـلـ؟ـ وـإـذـاـ كـانـ ثـمـةـ فـرـقـ بـيـنـهـاـ فـمـاـ هـوـ؟ـ وـهـلـ يـعـطـيـ أـفـضـلـيـةـ لـأـحـدـهـمـاـ عـلـىـ الـآـخـرـ؟ـ

عند الله؟ هذا ما نريد البحث عنه بنحو مختصر بإذن الله تعالى.

يوجد فرق:

قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾^(۲)، في هذه الآية المباركة الله تبارك وتعالى يصرح بأن هناك فرقاً بين الرجل والمرأة، وهذا الفرق والمائز هو الذي جعل القيمة للرجل دون المرأة، من هنا نسأل ما هو هذا الفارق؟ وهل يجعل من الرجل أفضل من المرأة؟

الفرق في القوة العقلية والعاطفية:

يقول السيد العلامة عليه السلام في تفسير الآية المباركة: «والمراد بما فضل الله بعضهم على بعض هو ما يفضل ويزيد فيه الرجال بحسب الطبع على النساء، وهو زيادة التعلق فيهم وما يتفرع عليه من شدة البأس والقوة والطاقة على الشدائدين الأعمال ونحوها، فإن حياة النساء حياة إحساسية عاطفية مبنية على الرقة واللطافة»، إذن هناك فارق بين الرجل والمرأة، وهو أن القوة التعلقية عند الرجل أقوى منها عند المرأة، وهذه هي العلة التي جعلت القيمة للرجل دونها، إذ أن إدارة شؤون الحياة تحتاج إلى هذه القوة بشكل أكبر من حاجتها إلى العاطفة.

فالعلة في جعل القيمة للرجل هي هذه الميزة التي بينه وبين المرأة، من هنا نفهم أن هذه العلة هي الموجة لجعل قيمة المجتمع بيد الرجل أيضاً، فالقيادة والحكومة في الإسلام لابد أن تكون بيد الرجل، والسبب في ذلك هو هذه الميزة التي عند الرجل، «وعموم هذه العلة يعطي أن الحكم المبني عليها، أعني قوله

﴿الرّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ غير مقصور على الأزواج بأن يختص القومية بالرجل على زوجته بل الحكم مجعل الرجال على قبيل النساء في الجهات العامة الاجتماعية التي ترتبط بها حياة القبيلين جميعاً، فالجهات العامة الاجتماعية التي ترتبط بفضل الرجال كجهتي الحكومة والقضاء مثلًا الذين يتوقف عليهما حياة المجتمع وإنما يقومان بالتعقل الذي هو في الرجال بالطبع أزيد منه في النساء». فكل من الرجل والمرأة يملك العاطفة والعقل والتعقل، وكل له حياة إحساسية وتعلقية، أي أنهما «حيوان ناطق»، أو بتعبير بعض العلماء: «حيوان أخلاقي»، أي أن نوعهما واحد، إلا أن القوة العقلية في الرجل أقوى من المرأة، والقوة العاطفية في المرأة أقوى من الرجل، وعلى هذا الأساس جاءت الفروق في الأحكام مراعاةً لهذا الفرق التكويني.

هل هذا الفرق يوجب التفاضل عند الله؟

هذا هو السؤال المهم الذي لا بد من الوقوف عنده جيداً، فهل هذه الميزة التي تميز بها الرجل من قوة التعقل تجله أفضل عند الله من المرأة؟ أو العكس مثلًا؟ أم ماذا؟ ولكي يتضح الجواب جيداً لابد من ذكر هذه المقدمة^(٣): وهي أن الوصول إلى الله يحتاج إلى أمرتين أساسين، الأول هو العقل والمعرفة، والثاني هو التعلق بالإحساس بحب الله وعشقه والخوف منه ومن عذابه، فلا يكفي العقل من دون عشق، ولا يكفي العشق على الجهل، فكلما ازداد الإنسان معرفةً بالله لا بد أن يتفاعل قلباً مع هذه المعرفة ويعشق الله سبحانه وتعالى ويخشاه، وإلا فلن ينفعه علمه شيئاً، بل سوف يكون وبالاً عليه يوم القيمة كما يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، فالعقل

والقلب هما القدمان للسير إلى الله، ولا يكفي أحدهما دون الآخر، يقول الشيخ المصباح: «من الواضح جداً أن للمعرفة تأثيراً كبيراً في سلوكنا، ولكنها ليست العامل الوحيد، بل هناك عوامل أخرى لعل تأثيرها في سلوكنا أكبر من عامل المعرفة، وتسمى هذه العوامل بالدوافع والأحساس والعاطف»^(٤).

إذا اتضحت هذه المقدمة نقول: إن الرجل في سيره إلى الله يتفوق على المرأة في الجنة التعلقية فيكون أسرع وأقدر منها في ذلك، ولكن المرأة في الجنة الإحساسية القلبية أقوى وأشد تفاعلاً منه، فهي أسرع في البكاء عند المناجاة، وهي أقدر على خلق علاقة الحب والعاطفة والمشاعر مع الله، وأخوف من الله منه، فيحصل بذلك التوازن في القدرة على السير إلى الله، وليس أحدهما أكمل من الآخر في هذه الجهة، ثم إن هذا الفرق بين الوجودين هو الذي يمكن كلاً منهما من أداء واجباته بالشكل المطلوب، فاللهم بهذه العاطفة تربى وتحتمل وتعطف على أولادها، والرجل بهذا التعقل يحافظ على نظم الأسرة والمجتمع بصورة صحيحة، وهو الذي يجعله يملك الجرأة على القضاء وإقامة الحدود.

إذن فهذا الفارق بين الرجل والمرأة - والذي أثبته القرآن الكريم - لا يجعل من أحدهما أفضل من الآخر عند الله، وتبقي القاعدة **﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَّقَائُكُمْ﴾** حتى بين المرأة والرجل، فكما أن العقل بقوته يساعد على التقوى فكذلك القلب والعاطفة بقوتها تساعد على التقوى أيضاً، وكما أن الرجل قادر على أن يجسد أسماء الله، فكذلك المرأة، فالزهراء عليها السلام اسم الله الأعظم كما أن أمير المؤمنين عليه السلام مظهر لاسم الله الأعظم، وهذا الفارق بينهما إنما هو لنظم هذه الحياة الدنيا، وتمكين كل منهما على أداء ما عليه بشكل أكمل.

وصية للمرأة:

أما وقد علمتني أيتها المرأة المؤمنة بالكتز الثمين الذي أعطاك إياه الباري سبحانه وتعالى - حتى قال بعض أهل المعرفة: «إن المرأة تملك قلباً شفافاً أقدر على السير إلى الله من قلب الرجل» - فعليك أن لا تكفر ب بهذه النعمة، ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾، وأي نعمة أكبر من قلب شفاف سريع البكاء والأنين، شديد الخوف والوجل من الله؟! هذه النعمة إذا وظفتها المرأة في علاقتها بالله وعشيقها له، فسوف تكون ممن امتنع قوله تعالى ﴿وَآمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدَّثْ﴾، وأما إذا وظفتها في التعليق بتوافه الدنيا من جمال منزل و سيارة وهاتف و ملبس فسوف تكون ممن كفر بأنعم الله، والعياذ بالله.

اللهم بحق الزهراء البتول وفق نساءنا وفتياتنا لحب الله وعشيقه والتعلق به، والخشية منه والوجل، إنك على كل شيء قادر. والحمد لله رب العالمين.

المواهش:

- (١) لا تمثل هذه العبارة رؤية خاصةً بمذهب دون آخر أو أنها مختصةً بزمن دون غيره، بل كل من جاء ليفهم القرآن منفصلاً عن العترة الطاهرة عليها السلام، فهو في الواقع يجسد معنى هذه المقوله.
- (٢) سورة النساء، الآية: ٣٤.
- (٣) هذه المقدمة مأخوذة مضموناً من كتاب جلال وجمال المرأة للشيخ الجوادى الأملى حفظه الله.
- (٤) بارقة في سماء كربلاء، ص ١١.

وَلَا تَعْلَمُوهُنَّ الْكُتَابَةُ!!

علي أحمد الكريبابادي

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

ورد في الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تنزلوا النساء بالغرف، ولا تعلموهن الكتابة، وعلموهن المغزل وسورة النور»، فما هو المقصود من هذا الحديث؟! وهل هو صحيح؟ وكيف يمكن تعقل هذا الأمر؟ أو ليس الإسلام يدعو للتقدم والعلم والعمل الصالح؟! وما باله ينهى عن تعليم المرأة الكتابة؟

ستتناول في هذا البحث هذا الحديث من حيث سنته، ومن حيث دلالته، وما يرتبط به من إشكالات، وسيكون البحث في محورين:

المحور الأول: الرواية من حيث السند.

المحور الثاني: الوجوه المتضورة في الدلالة.

المحور الأول: الرواية من حيث السند:

ويجدر بنا في البداية أن نشير إلى أن بعض الواقع الإلكتروني للتكتفيريّين أخذت الرواية على أنها روايّةٌ شيعيّة، وببدأ تشنع على مذهب أهل بيته الرسول ﷺ بما أورت من قوة ووسع، في حين أن هذه الرواية روايّة إسلاميّة قد

نقلها المسلمون شيئاً فشيئاً في كتبهم الروائية، وهذا ما سنوضحه في هذا المحور. فإذا ثبت أن الرواية رويت من قبل كلا المدرستين الإسلاميتين، أتينا بعد ذلك إلى مناقشتها من حيث رجال سندتها، ومدى اعتبار قولهم في المقام.

سند الرواية عند الشيعة:

نُقلت هذه الرواية في كتب الشيعة بأكثر من طريق، فمنها:

(١) كتاب الكافي الشريف: «علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله عليه وآله وسلامه.. الحديث»^(١).

(٢) من لا يحضره الفقيه: «وروى إسماعيل بن أبي زياد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام، عن آبائه عليهما السلام، قال: قال رسول الله عليه وآله وسلامه.. الحديث»^(٢).

(٣) وسائل الشيعة: «محمد بن علي بن الحسين قال: قال أبو عبد الله عليه السلام.. الحديث»^(٣). وهو تكرار لطريق الشيخ الصدوق عليه السلام.

(٤) مستدرك الوسائل: «الجعفريات: أخبرنا عبد الله، أخبرنا محمد، حدثني موسى قال: حدثنا أبي، عن أبيه، عن جده جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله عليه وآله وسلامه.. الحديث»^(٤).

هذه بعض الطرق الشيعية التي نقلت الرواية عن رسول الله عليه وآله وسلامه، وهي وإن أمكن النقاش في بعضها، إلا أنه يكفينا للحكم باعتبار الرواية السنداً الأول المروي عن كتاب الكافي كما سيتضح.

البحث السندي:

وإليك شيء من ترجمة رجال هذه الرواية:

- علي بن إبراهيم بن هاشم: «قال النجاشي: أبو الحسن القمي، ثقة في الحديث، ثبت، معتمد، صحيح المذهب، سمع فأكثر، وصنف كتاباً. وقال الطوسي: له كتاب»^(٥).

- إبراهيم بن هاشم: «أبو إسحاق القمي، له كتب، أول من نشر حديث الكوفيين بقم، قال النجاشي. وقال الطوسي: ذكروا أنه لقي الرضا عليه السلام وله كتب. وثقة ابن طاووس وادعى الاتفاق على وثاقته. وقد روى عنه في كامل الزيارات. وقال العلامة: والأرجح قبول قوله»^(٦)، وقد عبر عنه بأن مقامه فوق الوثاقة، فهو من مشايخ الإجازة والرواية، وهذا ما يعنيه عن التوثيق، بل هو دال على أعلى درجات التوثيق كما قيل. وقال السيد الخوئي: «أقول: لا ينبغي الشك في وثاقة إبراهيم بن هاشم، ويدل على ذلك أمور»^(٧)، ثم استعرض بعض النقاط الدالة على وثاقته، والمحصلة في إبراهيم بن هاشم هو أنهم يعتبرون روایاته بل يعدونه من الأجلاء.

- النوفلي: (الحسين بن يزيد بن محمد بن عبد الملك): «قال النجاشي: النوفلي - نوفل النخع - مولاهم، كوفي، أبو عبد الله، كان شاعراً أديباً، وسكن الري ومات بها. وقال قوم من القيمين: إنه غلا في آخر عمره، والله أعلم؛ وما رويانا له رواية تدل على هذا، له كتاب التقى. عده الطوسي في رجال الرضا عليه السلام. روى عنه في كامل الزيارات. روي عنه بعنوان (النوفلي) في أكثر من ثمانمائة رواية، وفي عمدة لها يروي عن السكوني، وحيث إن الأصحاب اعتمدوا على روایات السكوني، استكشف كثير من ذلك اعتبار النوفلي أيضاً، ويمكن أيضاً توثيقه من ناحية أنه من المعاريف، ولم يرد فيه قدر»^(٨)، فالمتحصل أن روایاته معتبرة في الجملة عند علماء الشيعة؛ فبعضهم يوثقه لروایاته عن السكوني، أو لكونه من المعاريف، أو

لوروده في كامل الزيارات، وتوجد بحوث مستقلة تناقش وثاقته وعدمه.

- السكوني (إسماعيل بن أبي زياد): «قال النجاشي: إسماعيل بن أبي زياد، يعرف بالسكوني الشعيري، له كتاب..

وعده البرقي من أصحاب الصادق ع، قائلاً: «كوفي، واسم أبي زياد مسلم، يعرف بالشعيري، يروى عن العوام»، وقال الشيخ: إسماعيل بن أبي زياد السكوني، ويعرف بالشعيري أيضاً، واسم أبي زياد مسلم، له كتاب كبير، ولهم كتاب النوادر. أخبرنا برواياته ابن أبي جيد، عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن محمد بن الحسن الصفار، عن إبراهيم بن هاشم، عن الحسين بن يزيد التوفلي، عن السكوني، وأخبرنا بها الحسين بن أبي عبد الله، عن الحسن بن حمزة العلوى، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن التوفلي، عن إسماعيل بن مسلم الشعيري (السكوني).

وعده في رجاله من أصحاب الصادق ع. ذكره العلامة في الخلاصة، في القسم الثاني^(٩)، الباب الثاني، من فصل الهمزة وقال: (كان عامياً)، ونفى الحلبي الخلاف في ذلك في السرائر في فصل ميراث المجوسي، وصرح بذلك الشيخ في العدة عند البحث عن حجية الخبر عند تعارضه، ولكنه مع ذلك ذكر أن الأصحاب عملت برواياته..

وقد عُدَّ الرجلُ من هو متخرج في روايته، وموثوق به في أمانته وإن كان مخطئاً في أصل الاعتقاد. وعليه كانت روايته حجةً على ما نراه من عدم اعتبار العدالة في الحجية^(١٠).

فتلخص مما تقدم أن رجال هذه الرواية موثقون عند جملة من الفقهاء، ولهذا يعتبر مشهور الفقهاء رواياتهم بناءً على مبني الوثاقة وتوثيق التوفلي بأحد الوجوه.

فتكون الرواية على هذا معتبراً سندًا عندهم، وإن أمكن الدغدغة فيها على مبني الوثوق، وعند من لا يعتبر روایات التوفی.

هذا تمام الكلام فيما يتعلق بالبحث السندي للرواية عند علماء الطائفة الشيعية أعلى الله كلمتهم.

سند الرواية عند السنة:

وكمما أن الرواية قد نقلت في مصادر الشيعة بأكثر من طريق، فكذلك قد رويت في كتب السنة بأكثر من طريق، ولعل في بعضها تداخلاً أو عموماً مطلقاً، ومن ضمنها:

١) تفسير السمعاني: «وروى الحاكم أبو عبد الله الحافظ فيما خرجه من الزيادة على الصحيحين برواية شعيب بن إسحاق، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة

«رضي الله عنها» أن النبي قال في النساء..الحديث^(١١)».

٢) فتح القدير: «وأخرج الحاكم وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن عائشة مرفوعاً.. الحديث^(١٢)».

٣) المستدرك: «حدثنا أبو علي الحافظ، أئبأ محمد بن محمد بن سليمان، ثنا عبد الوهاب بن الصحاك، ثنا شعيب بن إسحاق عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: قال رسول الله «صلى الله عليه [وآله] وسلم».. الحديث^(١٣)».

٤) زاد المسير: «روى أبو عبد الله الحاكم في صحيحه من حديث عائشة عن رسول الله «صلى الله عليه [وآله] وسلم».. الحديث^(١٤)».

٥) تاريخ بغداد: «يحيى بن زكريا بن يزيد، أبو زكريا الدقاد: حدث عن أحمد

بن إبراهيم الموصلي وعبد الله بن المثنى أخي أبي موسى الزمن، ومحمد بن إبراهيم الشامي. روى عنه محمد بن مخلد وأبو بكر الشافعي. أخبرنا محمد بن عمر النرسبي، أخبرنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم، حدثنا يحيى بن زكرياء بن يزيد أبو زكرياء الدقاد - بسوق يحيى - حدثنا محمد بن إبراهيم أبو عبد الله الشامي - بعابان - حدثنا شعيب بن إسحاق الدمشقي، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة قالت: قال رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ».. الحديث^(١٥).

٦) الموضوعات: «أنبأنا أبو القاسم بن السمرقندى، أنبأنا إسماعيل بن مسعدة، أنبأنا حمزة بن يوسف، أنبأنا أبو أحمد بن عدى، حدثنا جعفر بن سهل، حدثنا جعفر بن نصر، حدثنا حفص، حدثنا عن مجاهد، عن ابن عباس، عن النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ».. الحديث^(١٦).

٧) تفسير القرطبي: «وروى حماد بن سلمة عن الزبير بن عبد السلام، عن أويوب بن عبد الله الفهري، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ».. الحديث^(١٧).

البحث السندي:

تلك جملة من الطرق السنية التي نقلت الرواية عن رسول الله ﷺ، وأما قول علماء السنة فيها فهو مختلف، فهذا الحاكم يصحح الرواية وغيره يضعف بعض رجالها، ونحن نذكر هنا شيئاً من أقوالهم بنحو سريع؛ لأنه ما دام سندها معتبراً في إحدى رواياتنا فلا داعي للإطالة في أسانيده غيرنا، إلا بما يدفع التهمة والتشنيع عن مذهب آل رسول الله ﷺ. فهذه بعض الأقوال في المقام:

- «والثاني حديث عائشة، رواه الحاكم وصححه البيهقي مرفوعاً^(١٨).

- «هذا الحديث لا يصح، وقد ذكره أبو عبد الله الحاكم النيسابوري في صحيحه، والعجب كيف خفى عليه أمره. قال أبو حاتم بن حبان: كان محمد بن إبراهيم الشامي يضع الحديث على الشاميين، لا يحل الرواية عنه إلا عند الاعتبار. روى أحاديث لا أصول لها من كلام رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، لا يحل الاحتجاج به»^(١٩).

- «الحديث وفي سنته محمد بن إبراهيم الشامي، منكر الحديث ومن الوضاعين. قال الذهبي: قال الدارقطني: كذاب»^(٢٠).

- «ورواه الحاكم عنها أيضاً وقال: صحيح الإسناد وخرجه البيهقي في الشعب عن الحاكم، ثم خرجه بإسناد آخر بنحوه، وقال: هو بهذا الإسناد منكر، قال المؤلف: فعلم منه أنه بغير هذا الإسناد غير منكر، وبه رد على ابن الجوزي دعواه وضعفه»^(٢١).

والمحصلة مما تقدم أن بين علماء السنة أخذناً وردأً في توثيق رجال السندي اعتبار هذه الرواية.

وبناءً على ما تقدم من أن الرواية معتبرة السندي عند بعض علماء الشيعة، وبناءً على أنها معتبرة كذلك عند بعض علماء السنة، أمكن القول بأنها ثابتة، ونسبتها إلى رسول الله ﷺ من كلا الطريقين واقعة، ولكن في الجملة لا بالجملة. وبناءً على ثبوتها سنداً لا بد من بحثها دلالةً والنظر إلى ما يمكن فهمه من الرواية.

المحور الثاني: الوجوه المتصورة في الدلالة:

وما يمكن تصوره في وجه دلالة هذه الرواية لا يخلو من أحد أمرتين، فإما أن يقال بأن مفاد الرواية هو النهي عن الكتابة بما هي كتابة، وإما أن يقال بأن النهي عن الكتابة لا بعنوانها، بل بسبب أمور أخرى احتفت بالكتاب في المقام، وهذا ما يمكن أن يُدعى ويُستقرب، ويأتي في الوجه الثاني التعرض إليه والاستدلال على كونه هو مراد هذا الحديث، فما نذكره من مناقشة في الوجه الأول الذي يقول بأن هناك موضوعية للكتابة إنما هو نقاش تنزلي، فنحن لا نسلم بوجود هذا التعارض أو التزاحم المفترضين، وعليه فإن لم يتم الاستدلال بهما، أو أمكن الخدش في أحدهما فإنه يكفينا البحث في الوجه الثاني المؤونة.

الوجه الأول: هناك موضوعية للكتابة:

وبناءً على التسليم بأن النهي عن الكتابة منصب عليها بعنوانها؛ أي أنه نهي عن الكتابة بما هي كتابة، بناءً على ذلك يمكن النقاش في أن هذا النهي هل يثبت الكراهة في هذا الزمان أيضاً؟ أم أن الكراهة مرتفعةً بعنوان من العناوين الثانوية التي ت تعرض في المقام؟

وقبل البحث عن الكراهة فإنه لا بد من السؤال عن الحرمة باعتبار أن النهي ظاهرٌ في الحرمة وأن الظهور حجةٌ، فكيف انتقل البحث إلى رتبة متاخرة وهي الكراهة دون الحرمة؟

قد يقال: إن سياق الحديث يدور حول الآداب لا الإلزاميات فلا بد من حمل النهي على الكراهة دون الحرمة. فإن ادعى استفادة الحرمة من حكم العقل، حيث

أن بإمكانه أن يستفيد حرمة وكراهة من سياق واحد، فلنا إن الحديث منصرفٌ عن الحرمة ولا يوجد تبادرٌ إليها وإن كان أصل النهي في اللغة منصرفًا إلى الحرمة، إلا أن ارتكازات المتشربة صارفةٌ لمثل هذا الظهور عرفاً، وموجبةٌ لغيره من التبادر، وحيث إن الحكم مورد ابتلاء عام وخصوصاً في هذه الأزمان فإنه لو كان النهي نهياً تحريمياً لذاع واشتهر على ألسن الفقهاء وفي الروايات، وخصوصاً وأنكم تفترضون أن الرسول ﷺ كان في مقام بيان حكم تكليفي وهو الحرمة، فإنه حتى وإن كانت الكتابة في زمانه غير رائجة إلا أنها راجت فيما بعد ذلك، فهي حينئذ كانت متربقة الرواج بنحو شديد، فلا يكفي للتحريم لمثل هذه الحالة العامة المتربقة روایة واحدة غير قطعية الدلالة في الحرمة، فلا أقل من بيان الأئمة علیهم السلام لهذا التشريع الإلزامي في الكتابة الآخذة في الرواج يوماً بعد آخر.

وبعد ذلك نقول: إذا ثبت أن النهي ليس تحريمياً، فإنما أن يحمل على الكراهة للموضوعية في تعليم الكتابة، أو أن يقال بعدها لعدم الموضوعية. ومع التنزل إلى القول بالكرابة لذات تعليم المرأة الكتابة فإنه يمكن أن يعرض عنوان ثانوي يغير الحكم الأولي لتعليم المرأة الكتابة، وأما إذا ثبت وجود التعارض بين روایة البحث وروایات أخرى بنحو مستقر فإن أصل ثبوت الكراهة يكون موضع نظر. فيمكن لنا أن نبحث المسألة من جانبيين:

أولاً : التزاحم:

وهو أن يكون هناك حكمان شرعاً ينافي أحدهما الآخر، مما يتطلب إيجاب أحدهما وإيجاب الآخر، إلا أن قدرة تعارض في عالم الثبوت يجعل الحكم وإيجابه على المكلف، إلا أن قدرة

المَكْلُفُ ضَاقَتْ عَنِ الْإِتِيَانِ بِكُلِّ هَذِينَ التَّكْلِيفِينَ مَعًا، فَالْتَّسَافِي بَيْنَهُمَا إِنَّمَا هُوَ فِي عَالَمِ الْأَمْتَالِ وَالْخَارِجِ، لَا أَنَّهُ تَنَافَى ذَاتِي بَيْنَ نُفُسِ الْحَكَمِينَ بِمَا لَهُمَا مِنْ مَبَادِئٍ.

وَهُنَا يُمْكِنُ أَنْ يَدْعُوا بِأَنَّ هُنَّاكَ أَحْكَامًا شُرُعِيَّةً مُوجَّهَةً لِلْمَرْأَةِ هِيَ أَهْمُّ مَلَاكًا مِنْ هَذَا الْحَكْمِ - كُرَاهَةِ تَعْلِيمِهَا الْكِتَابَةَ - فَلَا بُدُّ فِي الْمَقَامِ مِنْ تَقْدِيمِ الْأَحْكَامِ ذَاتِ الْمَلَاكَاتِ الْأَهْمَمِ.

الحكم الأول: تعلم المرأة:

وَمِنْ هَذِهِ الْأَحْكَامِ الْأَهْمَمِ مَلَاكًا (تعلم المرأة) لِأَنَّ الْعِلْمَ فِي نَفْسِهِ رَاجِحٌ وَمَطْلُوبٌ عَلَى أَقْلِ التَّقَادِيرِ، بَلْ هُوَ وَاجِبٌ فِي بَعْضِ الصُّورِ، كَمَا لَوْ كَانَ عَلَمًا بِالْأَحْكَامِ الشُّرُعِيَّةِ الْمُرْتَبَطَةِ بِالْمَرْأَةِ مِنْ صَلَةٍ وَصُومٍ وَحِيْضٍ. وَقَدْ يُقَالُ بِأَنَّ تَعْلِمَ هَذِهِ الْوَاجِبَاتِ وَالْأُمُورِ الرَّاجِحةَ لِيُسْتَوْقَفَ عَلَى تَعْلِيمِ الْكِتَابَةِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَسْتَشَهِدَ الْقَائِلُ لِذَلِكَ بِوُجُودِ نِسَاءٍ لَا يُجَدِّنُ الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُنَّ عَلَى مَسْتَوِيِّ رَاقٍ مِنَ الْعِلْمِ. إِلَّا أَنَّ هَذَا الإِشْكَالَ غَيْرَ وَارِدٍ، فَتَشْرِيعُ الشَّارِعِ لِلْأَحْكَامِ لَا يَكُونُ مَبْنِيًّا عَلَى النَّظَرِ إِلَى الْفَرَدِ النَّادِرِ وَالشَّاذِ، بَلْ هُوَ يَتَنَاوِلُ نُوْعَ الْمُشَرِّعِ لَهُمْ، وَهَذَا القَوْلُ إِنْ تَمْ فِي عَصْرٍ مِنَ الْعَصُورِ؛ كَأَنْ يَكُونَ عَدْدُ النِّسَاءِ قَلِيلًا، يُمْكِنُهُنَّ أَنْ يَسْأَلْنَ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ مَسَائِلِهِنَّ، فَإِنَّهُ لَا يَتَمَمُ فِي هَذَا العَصْرِ مَعَ اتساعِ رِقَعَةِ الدُّولَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَانْتِشارِ مَلَيْنِ الْمُسْلِمِينَ فِي شَتَّى أَقْطَارِ الْعَالَمِ، بِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَعْقِيدَاتٍ فِي ظَرُوفَ كُلِّ شَعْبٍ مِنَ الشَّعُوبِ، وَالَّتِي تَصْلِي فِي بَعْضِ الْحَالَاتِ إِلَى أَنْ يَعْزِلَ شَعْبًا مِنَ الشَّعُوبِ عَنِ الْعَالَمِ بِأَكْمَلِهِ، بَلْ حَتَّى عَنِ الْعِلْمِ وَمَعْرِفَةِ الْأَحْكَامِ الشُّرُعِيَّةِ، بَلْ عَنِ الْغَذَاءِ وَمَسْتَلزمَاتِ الْعِيشِ الضروريَّةِ، فَهَلْ يَمْكُنُ تَرْكُ الْكِتَابَةِ وَالْقِرَاءَةِ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ؟!

والتي قد تكون الطريق الوحيد في معرفة التكليف؟! ولا يمكننا أن نفرق بين الكتابة والقراءة في المقام لأنهما وإن تغايراً حقيقة إلا أنهما متلازمان خارجاً لدى الأعم الأغلب من الناس، ولهذا فلا معنى للقول بالتفريق في تعليم القراءة دون الكتابة، بل حتى إن قلنا بالتفريق فإن التزاحم باق على حاله، فالتكاليف الشرعية الأخرى والأهم ملاكاً ليست بقليلة، فكما أن التعلم واجب في بعض صوره، فكذلك التعليم وهداية الناس واجب في كثير من الحالات، ولا سبيل - مجذٍ ومُؤَدٍ للغرض - لإيصال العلم وتعليم الشريعة من دون الكتابة وتعليمها وتعلمها.

فالكتاب ليست أقل حظاً من العلوم الآلية التي يجب لغيرها من العلوم ومعرفة الأحكام الشرعية، فكما أن النحو والصرف وغيرهما من العلوم قد تجب كمقدمة لواجب، فكذلك الكتابة، بل إن تلك العلوم الآلية قائمة بالكتاب، ولا بأس هنا بالإشارة إلى بعض الجنابات التي يتلمس منها وجود هكذا تزاحم في عالم الامتثال.

١- الآيات والروايات الداعية للتعلم:

وردت عدة آيات وروايات تدعو للعلم والتعلم، وهذا مما لا يختلف عليه اثنان، وإنما الدعوى التي تدعى في المقام هي أن الكتابة هي القاعدة والأساس التي ينطلق من خلالها لتحصيل العلوم وإيصالها، ومما جاء في فضل العلم والدعوة إليه في القرآن الكريم:

١) ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَاب﴾^(٢٢).

٢) ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(٢٣).

٣) ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٢٤).

ومما روي في طرق العامة من الروايات:

١) عن رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»^(٢٥).

٢) وعنه ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»^(٢٦).

٣) وعنه ﷺ: «اطلبو العلم ولو بالصين»^(٢٧).

ومما روي من طرق الخاصة:

١) عن الرسول الأكرم ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم، فاطلبو العلم في مظانه، واقتبسوه من أهله، فإن تعلمته لله تعالى حسنة، وطلبه عبادة، والمذاكرة به تسبيح، والعمل به جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة إلى الله تعالى؛ لأنَّه معالم الحلال والحرام، ومنار سبيل الجنة، والمؤنس في الوحشة، والصاحب في الغربة والوحدة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والزین عند الأخلاص، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة، تقتبس آثارهم ويقتدى بفعالهم، وينتهي إلى آرائهم، ترغب الملائكة في خلتهم، وبأجنبتها تمسحهم، وفي صلواتها تبارك عليهم، يستغفر لهم كل رطب ويباس، حتى حيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه، إن العلم حياة القلوب من الجهل، وضياء الأ بصار من الظلمة، وقوة الأبدان من الضعف، يبلغ بالعبد منازل الآخيار، ومجالس الأبرار، والدرجات العلى في الآخرة والأولى، الذكر فيه يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام، به يطاع رب ويعبد، وبه توصل الأرحام، ويعرف الحلال والحرام، والعلم إمام والعمل تابعه، يلهمه السعادة، ويحرمه الأشقياء، فطوبى

لمن لم يحرمه الله من حظه»^(٢٨).

٢) عن الأمير عثيمان بن عثيمان رضي الله عنه: «أيها الناس اعلموا أن كمال الدين طلب العلم والعمل به، ألا وإن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال، إن المال مقسوم مضمون لكم، قد قسمه عادل بينكم، وقد ضمنه وسيفي لكم، والعلم مخزون عند أهله [وقد أمرتم بطلبه من أهله] فاطلبوه»^(٢٩).

٣) وعن الصادق عطية: «لوددت أن أصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفرقوا»^(٣٠).

هذه بعض الشواهد القرآنية والروائية المؤيدة لدعوى التزاحم بين استيفاء ملائكة طلب العلم وملائكة كراهة تعليم المرأة الكتابة - لو سلمت في نفسها - وإن كان التزاحم معلقاً على دعوى أن الكتابة هي الطريق المنحصر لتحصيل هذا العلم بنحو مجز، والتي قد يناقش أحدهم فيها. ولهذا نبه بمثال على ما ندعوه من أن الكتابة طريق لا غنى عنه في العلم المجزي والمبرئ للذمة من التكاليف الإلزامية، أو المحقق للملائكة الأهم وإن كانت مستحبةً على أقل التقادير، وهذا المنبه هو معجزة الرسول الأكرم عطية الله بما كان أمياً، حيث جاء بالقرآن المليء بالمعارف والعلوم والتحديات، وهو مع ذلك لم يكن يكتب - بعض النظر عن النقاش الدائر في كونه حائزاً لكمال الكتابة أو لا - وقد علمنا أن القرآن لم ينزل من السماء مكتوباً في الصحف، فالرسول عطية الله لم يتحدا القرشيين بكتابه، وإنما تحداهم بقرآن مليء بالعلم والمعرفة، ومع هذا استدلوا على كونه معجزةً بكون النبي عطية الله أمياً لا يكتب، وهذا ما يتبينه الوجدان إلى أن الإتيان بالمعارف والعلوم وإيصال أحكام الشرع، ونيل الكمالات المندوبة، والتعرف على الأسرار والحقائق إنما يتم عن

طريقة المتعارف وهو تعلم الكتابة والقراءة، هذه قاعدة عادلة متعارفة، لا عقلية، فلهذا لا يضر تقييدها وتخسيصها وخروج بعض الأفراد عنها ممن استطاعوا الوصول للعلوم والمعارف بغير طريق القراءة والكتابة، إما لظروفهم المحيطة بهم كأن يكونوا ملتفين حول المقصوم عَلَيْهِ الْكَفَرُ وَعَلَيْهِ الْمُحَاجَّةُ، وإما لخصوصية فيهم كأن يكونوا مقصومين عالمين غير معلمين.

٢- الكتابة مقدمة لأداء الواجب ومعرفة الحكم الشرعي:

ذكر الشهيد الثاني في كتابه الشريف «منية المريد في أدب المفید والمستفید» استدلاً لطيفاً على أهمية الكتابة، فقال جَلَّ جَلَّ: «الكتاب من أجل المطالب الدينية وأكبر أسباب الملة الحنيفية، من الكتاب والسنة، وما يتبعهما من العلوم الشرعية، و[ما] يتوقفان عليه من المعارف العقلية. وهي منقسمة في الأحكام حسب العلم المكتوب: فإن كان واجباً على الأعيان فهي كذلك؛ حيث يتوقف حفظه عليها، وإن كان واجباً على الكفاية، وإن كان مستحبة فكتابته مستحبة. وهي في زماننا هذا بالنسبة إلى الكتاب والسنة موصوفة بالوجوب مطلقاً؛ إذ لا يوجد من كتب الدين ما يقوم بفرض الكفاية بالنسبة إلى الأقطار، سيماماً كتب التفسير والحديث، فإن معالمهما قد أشرفت على الاندرس، ورويات أعلامها قد آذنت بالانتكاس، فيجب على كل مسلم الاهتمام بحالهما كتابةً وحفظاً، وتصحیحاً، وروايةً، كفايةً.

ومن القواعد المعلومة أن فرض الكفاية - إذا لم يقم به من فيه الكفاية - يخاطب به كل مكلف، ويأثم بالقصیر فيه كل مكلف به، فيكون في ذلك كالواجب العيني إلى أن يوجد ما فيه كفاية»^(٣١).

٣- فتاوى الفقهاء حول المرأة والتعلم:

(السؤال: حرمـت المرأة في بعض المجتمعات من الثقافة الدينية، فكيف يمكن معالجة ذلك؟

الجواب: يجب الاهتمام بهذا الأمر، فإن المرأة نصف المجتمع، فلا بد من اهتمام العلماء والمبادرات بهذا الجانب، إما بتخصيص وقتهم لإرشادهن وتعليمهن، وإما بتشييف مجموعة خاصة من النساء ليقمن بتعليم الثقافة الدينية على الباقى، وإما بفتح دورات تدريبية لهن... إلى غير ذلك مما يتيسر حسب اختلاف الإمكانيات والظروف، ولا أقل من تنبيه الرجال على لزوم اهتمامهم بتشييف من يتعلق بهم من النساء، وتأكيد ذلك عليهم خروجاً عما يجب عليهم من إرشاد أهاليهم وإنقاذهـم من النار، فقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوْا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيْكُمْ نَاراً وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحَجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غَلَاظٌ شَدَادٌ لَا يَعْصُمُونَ اللَّهُ مَا أَمْرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ﴾^{(٣٢)(٣٣)}.

(تعلم العلوم والصناعات التي يحتاجها المسلمون والモجـبة لتنمية المجتمعـات الإسلامية، والباعـثة لتفوقـهم على الكـفار، واجـب كـفـائي على الكل)^(٣٤).
فإن كان الطب والتمريض، والرياضيات والصناعة، واستخدام الكمبيوتر، وإقامة الجامـعـات والأكـاديمـيات، والمؤسسات القوية واجـباً كـفـائيـاً على الكل، فـهل يمكن ذلك من دون تعلم الكتابة؟! بل هي أـبرـز مـصـادـيق ما يحتاجـهـ المسلمـونـ، والـموـجـبة لـتنـميـةـ المجتمعـاتـ الإـسـلامـيـةـ، وـأـمـ لـكـلـ هـذـهـ العـلـومـ وـالـصـنـاعـاتـ الـواـجـبـةـ فيـ المـقـامـ.

الحكم الثاني: التقية:

التقية من العناوين الفقهية التي ينطبق عليها أحد الأحكام الخمسة، وكثيراً ما تكون التقية واجبةً، وهي بهذا النحو أجل مصاديقها، ولهذا وردت عدة روايات عن أهل بيت العصمة والطهارة تدعوا للتقوية، وهنا لا بد من الموازنة بين ملاك التقية وبين ملاك ما يقابلها من أحكام لتعرف على حكمها، فنقدمها إن كان ملاكها أهم من ملاك مقابلها، وإلا فالعكس، كما أن مستند هذا الحكم غير منحصر بالروايات، بل القرآن كذلك أشار إليه في آياته المباركة وبذلك يمكن دفع الشنعة عن مذهب آل الرسول ﷺ، فمن الآيات:

- ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتَةً وَيَحْذِرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾^(٣٥).

- ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾^(٣٦).

ولفظة (مؤمن) جاءت مدحأً في القرآن، فلو كانت التقية - كتمان الإيمان - تنافي ذلك لما عبرت الآية الشريفة عنه بالمؤمن.

ومن الروايات الشريفة:

- عن رسول الله ﷺ: «رفع عن أمتي تسعة: الخطأ، والنسيان، وما أكرهوا عليه، وما لا يعلمون، وما لا يطيقون، وما اضطروا إليه، والحسد، والطيرة، والتفكير في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق بشفة»^(٣٧).

- وعن الصادق ع: «المؤمن مجاهد لأنه يجاهد أعداء الله عز وجل في دولة

الباطل بالتجهيز، وفي دولة الحق بالسيف»^(٣٨).

- وعن الرضا عَلَيْهِ الْحَمْدُ: «رفع القلم عن شيعتنا، فقلت [الراوي]: يا سيدى كيف ذاك؟ قال: لأنّه أخذ عليهم العهد بالتجهيز في دولة الباطل، يأمن الناس ويخوفون ويكرهون فينا، ولا نكره فيهم، ويقتلون بنا، ولا نقتل بهم، ما من أحد من شيعتنا ارتكب ذنباً أو خطأً إلا ناله في ذلك غمًّا يمحض عنه ذنبه، ولو أنه أتى بذنب بعد القطر والمطر، وبعد الحصى والرمل، وبعد الشوك والشجر، فإن لم ينله في نفسه ففي أهله وماليه، فإن لم ينله في أمر دنياه وما يغتم به تخايل له في منامه ما يغتم به فيكون ذلك تمحيضاً لذنبه»^(٣٩).

وبناءً على كل ذلك يمكن القول بأن كراهة تعليم المرأة الكتابة وإن كان لعنوان كونها كتابة، فإنها مزاحمة في الخارج بلزوم التجهيز للزوم الشنة وتوهين المذهب، بل للزوم الإساءة للإسلام كل الإسلام بعد أن ثبت في بداية البحث كون الرواية النافية عن تعليم المرأة الكتابة رواية إسلامية ينقلها رواة السنة والشيعة. هذا تمام الكلام في المزاحمة، وهي وإن لم ثبت في عنوان من العنوانين، وأمكن النقاش في هذا العنوان، إلا أن العنوان الآخر واضح التزام مع هذه الكراهة الذاتية لتعليم المرأة الكتابة، على فرض التسليم بها.

ثانياً: التعارض:

ويدعى في هذا العنوان أن هذه الرواية النافية عن تعليم المرأة الكتابة معارضة بروايات عديدة تدعو لكتابتها، ولهذا نستعرض شيئاً من هذه الروايات التي تتعارض مع رواية البحث على فرض كون النهي عن الكتابة بعنوانها، فإن تم هذا الادعاء

وإلا انتقلنا إلى الوجه الثاني لإثبات عدم الموضوعية للكتابة في هذا النهي، بل موضوع الكراهة أمر آخر كان محتفًا بتعلم الكتابة ومع انتفائه فلا كراهة.

الروايات الداعية للكتابة:

ونذكر بعض الروايات من المصادر الإسلامية الشيعية والسننية:

- عن رسول الله ﷺ: «قيدوا العلم. قيل: وما تقييده؟ قال: كتابته»^(٤٠).

- عن رسول الله ﷺ: «سبعة أسباب يكتب للعبد ثوابها بعد وفاته: رجل غرس نخلًا، أو حفر بئرًا، أو أجرى نهرًا، أو بنى مسجداً، أو كتب مصحفًا، أو ورث علمًا، أو خلف ولدًا صالحًا يستغفر له بعد وفاته»^(٤١)، ومحل الاستشهاد قوله عليه السلام: «أو كتب مصحفًا»، ولا خصوصية للرجل في الرواية وإن عبرت بـ«رجل»، وهذا ما يفهم بقرينة قوله عليه السلام: «يكتب للعبد ثوابها» المنصرفة عن خصوصية الذكورة والأنوثة.

- عن رسول الله ﷺ: «اكتبوا العلم قبل ذهاب العلماء، وإنما ذهاب العلم بموت العلماء»^(٤٢).

- وعن النبي ﷺ: «من كتب عني علمًا أو حديثًا لم يزل يكتب له الأجر ما بقي ذلك العلم والحديث»^(٤٣).

- روي أن رجلاً من الأنصار كان يجلس إلى النبي ﷺ يستمع منه الحديث فيعجبه ولا يحفظه، فشكراً ذلك إلى النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «استعن بيمنيك، وأوْمَأْ بيده أي خط»^(٤٤).

- عن الأمير عائشة: «رسولك ترجمان عقلك، وكتابك أبلغ ما ينطق عنك»^(٤٥).

- عن الإمام الحسن عليه السلام أنه دعا بنيه وبني أخيه فقال: «إنكم صغار قوم ويوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين، فتعلموا العلم، فمن لم يستطع منكم أن يحفظه فليكتبه ولি�ضعه في بيته»^(٤٦).

- عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «اكتبوا فإنكم لا تحفظون حتى تكتبوا»^(٤٧).

- وعنده عليه السلام: «القلب يتكل على الكتابة»^(٤٨).

- عن عبيد بن زرارة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام قال: «احتفظوا بكتبكم فإنكم سوف تحتاجون إليها»^(٤٩).

- عن المفضل بن عمر قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «اكتب وثبت علمك في إخوانك، فإن مُتْ فأورث كتبك بنيك، فإنه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلا بكتبهم»^(٥٠).

- الصدوق في أماليه بإسناده إلى النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «إن المؤمن إذا مات وترك ورقةً واحدةً عليها علم كانت الورقة ستراً فيما بينه وبين النار، وأعطاه الله تعالى بكل حرف مدينةً أوسع من الدنيا وما فيها، ومن جلس عند العالم ساعةً ناداه الملك: جلست إلى عبدي، وعزتي وجلالي لأسكنتك الجنة معه ولا أبالي»^(٥١).

- عن جميل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «مَنْ أَنْجَى نَاسًا بِرَحْمَةٍ وَفَاجَرَهُمْ بِالْكِتَابِ وَالْحِسَابِ لَوْلَا ذَلِكَ لَتَغَالَطُوا»^(٥٢).

فإن قيل بعد أن استعرضنا هذه الروايات بأنه لا تعارض مستقرًا في المقام، فكل هذه الروايات الداعية للكتابة إنما هي عمومات وإطلاقات، ولا ضير في تخصيصها وتقييدها برواية البحث، فتكون الكتابة مطلوبة من الرجال دون النساء. فقد يجاب

بأن هذا التقيد والتخصيص ليس وارداً وإن سلمنا أن النهي عن تعليمهن الكتابة بعنوانها؛ أي إن سلمنا بموضوعية الكتابة في هذا النهي. وعليه يكون هذا التعارض مستقراً وذلك لأن العمومات والإطلاقات على نحوين، منها ما يكون آبياً عن التخصيص والتقيد، ومنها ما هو غير آبٍ عن التقيد والتخصيص، وهذه الروايات الداعية للكتابة آبيةً عن التقيد والتخصيص، وذلك يستشم من عدة من النصوص بلغت من الكثرة ما يوجب الاطمئنان بأن الروايات الداعية للكتابة والتعلم وبشكل مطلق - يشمل المرأة - منسجمة مع روح الشريعة وذوق الشارع، فالشارع الأقدس مع كل هذه الدعوات المتکثرة يبعد، أو يستحيل منه أن ينهى عن الكتابة بعنوانها، ولو في حق فرد أو جنس منبني الإنسان، وإنما يكون نهيه عنها إن احتفت بعنوان آخر أخذ في ملاكه المبغوضية ولو بنحو لا يوصلها إلى الحرمة، ولا مبغوضية في ملاك الكتابة بما هي كتابة، فبالإضافة لما تقدم من نصوص في الدعوة للكتابة، نضيف بعض الأحاديث والتعليقات الدائرة حول آيتين قرآنیتين تخدمان البحث.

آیتان من القرآن في الكتابة:

قال تعالى: ﴿أَفْرَا وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَمَ بِالْقَلْمَ﴾^(٥٣).

وقال عز من قائل: ﴿نَ وَالْقَلْمَ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^(٥٤).

١- الروايات المحتفة بالآیتين الكريمتین:

وقد وردت روايات في التعليم بالقلم، نذكر منها:

- الشيخ أبو الفتوح الرازى في تفسيره: عن عبد الله بن عمر، ما معناه أنه قال:

قلت لرسول الله ﷺ: لا يمكن إلا أن أكتب ما أسمعه منك من الأحاديث لئلا

أنساه، فقال: «لَا بَأْسُ، أَكْتُبْ، فِإِنَّ اللَّهَ عَلِمَ بِالْقَلْمَ - قَالَ - وَالْقَلْمُ مِنَ اللَّهِ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ، وَلَوْ لَا الْقَلْمُ لَمْ يَسْتَقِمْ الْمُلْكُ وَالدِّينُ، وَلَمْ يَكُنْ عِيشَ صَالِحٌ»^(٥٥).

- توحيد المفضل: برواية محمد بن سنان، عنه، عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: قال:

«تَأْمِلُ يَا مَفْضِلُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ «تَقْدِيسْتَ أَسْمَاؤِهِ» مِنْ هَذَا النُّطْقِ الَّذِي يَعْبُرُ بِهِ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ - إِلَى أَنْ قَالَ - وَكَذَلِكَ الْكِتَابَةُ الَّتِي بِهَا تَقْيِدُ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ لِلْبَاقِينَ، وَأَخْبَارَ الْبَاقِينَ لِلآتِينَ، وَبِهَا تَخْلُدُ الْكِتَبُ فِي الْعِلُومِ وَالْأَدَابِ وَغَيْرِهَا، وَبِهَا يَحْفَظُ الْإِنْسَانُ ذَكْرَ مَا يَجْرِي بَيْنِهِ وَبَيْنِ غَيْرِهِ مِنَ الْمَعَامِلَاتِ وَالْحِسَابِ، وَلَوْلَاهُ لَأَنْقَطَعَ أَخْبَارُ بَعْضِ الْأَزْمَنَةِ عَنْ بَعْضِهِ، وَأَخْبَارُ الْغَائِبِينَ عَنْ أُوتَانِهِمْ، وَدَرَسَتِ الْعِلُومُ، وَضَاعَتِ الْأَدَابُ، وَعَظِيمُ مَا يَدْخُلُ عَلَى النَّاسِ مِنَ الْخَلْلِ فِي أُمُورِهِمْ وَمَعَالِمِهِمْ، وَمَا يَحْتَاجُونَ إِلَى النَّظرِ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ، وَمَا رُوِيَ لَهُمْ مَا لَا يَسْعُهُمْ جَهَلُهُ، وَلَعِلَّكَ تَظَنُّ أَنَّهَا مَا يَخْلُصُ إِلَيْهِ بِالْحِيلَةِ وَالْفَطْنَةِ، وَلَيْسَتِ مَا أُعْطِيَهُ الْإِنْسَانُ مِنْ خَلْقِهِ وَطَبَاعِهِ - إِلَى أَنْ قَالَ - فَأَصْلِ ذَلِكَ فَطْرَةُ الْبَارِي عَزُّ وَجَلُّهُ، وَمَا تَفْضِلُ بِهِ عَلَى خَلْقِهِ، فَمَنْ شَكَرَ أَثْبَبَ، وَمَنْ كَفَرَ فِإِنَّ اللَّهَ عَنِ الْعَالَمِينَ»^(٥٦)، وَلَا مُزِيدٌ عَلَى مَا نَطَقَتْ بِهِ هَذِهِ الرِّوَايَةِ.

٢- أقوال العلماء في الآيتين الكريمتين:

- قال علي بن إبراهيم في تفسيره: «في قوله تعالى: ﴿أَفْرَأَ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ * الَّذِي عَلِمَ بِالْقَلْمَ»، يعني علم الناس الكتابة، التي تتم بها أمور الدنيا والآخرة، في مشارق الأرض ومغاربها^(٥٧).

- قال العلامة الطباطبائي جعفر: «وقوله: ﴿الَّذِي عَلِمَ بِالْقَلْمَ﴾ الباء للسببية؛ أي علم القراءة أو الكتابة والقراءة بواسطة القلم، والجملة حالية أو استئنافية، والكلام

مسوق لقوية نفس النبي ﷺ وإزالة القلق والاضطراب عنها، حيث أمر بالقراءة وهو أمي لا يكتب ولا يقرأ، كأنه قيل: أفرأ كتاب ربك الذي يوحيه إليك ولا تخف، والحال أن ربك الأكرم الذي علم الإنسان القراءة بواسطة القلم الذي يخط به فهو قادر على أن يعلمك قراءة كتابه وأنت أمي وقد أمرك بالقراءة، ولو لم يدرك عليها لم يأمرك بها.

ثم عزم سبحانه النعمة فذكر تعليمه للإنسان ما لم يعلم فقال: ﴿عَلِمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ﴾، وفيه مزيد تقوية لقلب النبي ﷺ وتطيب نفسه.
والمراد بالإنسان الجنس كما هو ظاهر السياق، وقيل: المراد به آدم عليه السلام، وقيل: إدريس عليه السلام لأنه أول من خط بالقلم، وقيل: كلنبي كان يكتب وهي وجوه ضعيفة بعيدة عن الفهم^(٥٨).

أقول: ورد في بعض الروايات أن قوله تعالى: ﴿عَلِمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ﴾ «يعني علم علياً الكتابة لك ما لم يعلم من قبل ذلك»^(٥٩)، فلو تمت مثل هذه الرواية قيل بأنه لا مانع من كون كلام التفسيرين صحيحين بناءً على الجري وأن القرآن يجري كما تجري الشمس والقمر، فيكون على عليه السلام مصداقاً من مصاديق الإنسان الذي علم بالقلم. إلا أن يصرف هذا القول بما يأتي بعد ذلك من قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَأَهُ اسْتَغْنَى﴾^(٦٠)، و يؤيده بيان صاحب الكتاب - علي بن إبراهيم - في ذيل الرواية: «قال علي بن إبراهيم في قوله: ﴿أَفْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ قال: أقرأ باسم الله الرحمن الرحيم، ﴿الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ قال: من دم، ﴿أَفْرَأَ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلِمَ بِالْقَلْمَ﴾ قال: علم الإنسان الكتابة التي

بها يتم أمور الدنيا في مشارق الأرض ومحاربها، ثم قال: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَىٰ أَنْ رَأَهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ قال: إن الإنسان إذا استغنى يكفر ويطغى وينكر^(٦١). وإذا كان كذلك تم القول بأن المقصود بالإنسان هو جنسه كما ذهب إليه العلامة الطباطبائي.

وبعد كل هذا يتضح ما تقدم من تصوير للتلازم بين تعلم العلوم وبين تعلم الكتابة، وتتضمن الدعوة للكتابة بنحو مطلق يشمل كلا الجنسين، آبية عن التقييد والتخصيص لعمق هذه الدعوة في روح الشريعة وذوق الشارع.

قال العلامة الطبرسي في ذيل الآية ﴿نَّ وَالْقَلْمَ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾: «والقلم هو الذي يكتب به^(٦٢)، أقسم الله تعالى به لمنافع الخلق، إذ هو أحد لسانى الإنسان يؤدي عنه ما في جنانه، ويبلغ البعيد عنه ما يبلغ القريب بلسانه، وبه يحفظ أحكام الدين، وبه تستقيم أمور العالمين، وقد قيل: إن البيان بيان: بيان اللسان، وبيان البنان، وبيان اللسان تدرسه الأعوام، وبيان الأفلام باق على مر الأيام»^(٦٣).

قال العلامة الطباطبائي: «قوله تعالى: ﴿وَالْقَلْمَ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ القلم معروف، والسطر بالفتح فالسكنون وربما يستعمل بفتحتين - كما في المفردات - الصف من الكتابة، ومن الشجر المغروس ومن القوم الوقوف وسطر فلان كذا كتب سطراً سطراً. أقسام سبحانه بالقلم وما يسطرون به وهو المكتوب فإن القلم وما يسطر به من الكتابة من أعظم النعم الإلهية التي اهتدى إليها الإنسان، يتلو الكلام في ضبط الحوادث الغائبة عن الأنظار والمعاني المستكنة في الضمائر، وبه يتيسر للإنسان أن يستحضر كل ما ضرب مرور الزمان، أو بعد المكان دونه حجاباً.

وقد امتن الله سبحانه على الإنسان بهدايته إليهما وتعليمهما له فقال في الكلام

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَمَهُ الْبَيَان﴾^(٦٤)، وقال في القلم: ﴿عَلِمَ بِالْقَلْمِ * عَلِمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ﴾، فإن سماه تعالى بالقلم وما يسطرون إقسام بالنعم، وقد أقسم تعالى في كلامه بكثير من خلقه بما أنه رحمة ونعمه كالسماء والأرض والشمس والقمر والليل والنهار إلى غير ذلك حتى التين والزيتون»^(٦٥).

وخلاله القول أن دعوى التعارض إن تمت فلا كراهة، وإن فقد يقال بأن كل ما ذكر في مبحث التعارض لا يشكل سوى عمومات ظاهرة في الشمول للرجل والمرأة، ولكن هذا الظهور إما أن ينعدم برواية البحث، أو أنه يسقط عن الحجية لأن رواية البحث أظهر في النهي عن تعليم المرأة، ولا بد من تقديم الأظهر على الظاهر، وعلى هذا فالتعارض ليس مستقراً.

فالمحصلة من الوجه الأول أن التعارض غير المستقر لا يمكن أن تنفي به الكراهة، ولكن التراحم تام، فكثير من العناوين الثانوية تعرض في المقام فتفني الكراهة، بل توجب تعليم المرأة في كثير من الحالات، ولا أقل من باب كون التعليم مقدمة للواجب فبذلك يثبت وجوبها الغيري العقلي أو الشرعي، بحسب المبني.

الفواطم الزاكيات يكتب:

وهذه بعض الشواهد والمؤيدات نأتي بها من غير ملاحظة للسند، وإنما نسوقها لتدعيم ما مر من استدلال على مطلوبية الكتابة من المرأة كما هي من الرجل. ومما يذكر في المقام:

- الزهراء عليها السلام تكتب وصيتها: البحار، عن كتاب مصباح الأنوار: عن أبي

جعفر عليه السلام. قال محمد بن إسحاق: وحدثني أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام: «إن فاطمة عليها السلام عاشت بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ستة أشهر، قال: وإن فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتب هذا الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما كتبت فاطمة بنت محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مالها إن حدث بها حادث، تصدقت بثمانين أوقية تنفق عنها، من ثمارها التي لها كل عام في رجب بعد نفقة السقي ونفقة العمل، وأنها أنفقت أثمانها العام وأثمانها ^(٦٦) القمح عاماً قبلاً في أوان غلتها، وأنها أمرت لنساء محمد أبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خمساً وأربعين أوقية، وأمرت لفقراءبني هاشم وبنبي عبد المطلب بخمسين أوقية، وكتبت في أصل مالها في المدينة، أن علياً عليه السلام سألاها أن توليه مالها، فيجمع مالها إلى مال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا تفرق، ويليه ما دام حياً، فإذا حدث به حادث دفعه إلى ابني الحسن والحسين فيليانه، وإنني دفعت إلى علي بن أبي طالب على أنني أحلله فيه، فيدفع مالي ومال محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا يفرق منه شيئاً، يقضى عني من أثمان المال ما أمرت به وما تصدقت به، فإذا قضى الله صدقتها وما أمرت به، فالأمر بيد الله تعالى وبيد علي عليه السلام، يتصدق وينفق حيث شاء لا حرج عليه.

إذا حدث به حادث دفعه إلى ابني الحسن والحسين، المال جميعاً مالي ومال محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ينفقان ويتصدقان حيث شاءوا ولا حرج عليهم، وإن لابنة جندب يعني بنت أبي ذر الغفارى التابوت الأصغر، ويعطيها في المال ما كان، ونعلى الآدميين والننمط والحب والسرير والزربة والقطيفتين، وإن حدث بأحد منمن أوصيت له قبل أن يدفع إليه، فإنه ينفق عنه في الفقراء والمساكين، وإن الأستار لا يستر بها امرأة إلا إحدى ابنتي، غير أن علياً عليه السلام يستر بهن إن شاء ما لم ينكح، وإن هذا ما كتب فاطمة عليها السلام في مالها وقضت فيه، والله شهيد، والمقداد بن الأسود، والزبير بن العوام،

وعلي بن أبي طالب كتبها^(٦٧)، وليس على علي حرج فيها^(٦٨) فعل من معروف، قال
جعفر بن محمد عليهما السلام: قال أبي: هذا وجدها، وهكذا وجدها وصيتها^(٦٩).

- تعلمي ما فيها: (الكافي: علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن إسحاق بن عبد العزيز، عن زرارة عن أبي عبد الله عليهما السلام قال: «جاءت فاطمة تشكو إلى رسول الله عليهما السلام بعض أمرها، فأعطتها رسول الله عليهما السلام كربة وقال: تعلمي ما فيها، فإذا فيها: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذني جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو يسكت»^(٧٠).

- فاطمة المعصومة عليهما السلام تكتب: نقل في الكتابات وعلى ألسنة الخطباء عن كتاب كشف الآلي لابن العرندس الحلي أن جماعاً من الشيعة قصدوا بيت الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام للتشرف بلقائه والسلام عليه، فأخبروا أن الإمام عليهما السلام خرج في سفر، وكانت لديهم عدة مسائل فكتبوها، وأعطوها للسيدة فاطمة المعصومة عليهما السلام ثم انصرفوا. وفي اليوم التالي - وكانوا قد عزموا على الرحيل إلى وطنهم - مروا ببيت الإمام عليهما السلام، ورأوا أن الإمام عليهما السلام لم يعد من سفره بعد، ونظراً إلى أنه لا بد لهم أن يسافروا، طلبوا مسائلهم على أن يقدموها للإمام عليهما السلام في سفر آخر لهم للمدينة، فسلمت السيدة فاطمة عليهما السلام المسائل إليهم بعد أن كتبت أجوبتها، ولما رأوا ذلك فرحوا وخرجوا من المدينة قاصدين ديارهم. وفي أثناء الطريق التقوا بالإمام الكاظم عليهما السلام وهو في طريقه إلى المدينة، فحكوا له ما جرى لهم، فطلب إليهم أن يروه تلك المسائل، فلما نظر في المسائل وأجوبتها، قال ثلاثاً: «فداها أبوها».

- فاطمة بنت الحسين عليهما السلام: ينقل خطباء المنابر أن إحدى بنات الإمام الحسين عليهما السلام وهي المسماة بفاطمة الصغرى (فاطمة العليلة) بقيت في المدينة ولم

تخرج مع ركب الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء لأنها كانت عليلة، وأنها كتبت كتاباً إلى الحسين عليه السلام وأعطته أعرابياً ليوصله إلى الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء. ومن ثم يتفنن الشعراء الحسينيون في تصوير هذه القصة في أبياتهم الريائية، ولم أجد مصدراً ينقل هذه الحادثة.

نساء أهل البيت والرواية:

وهذا عنوان آخر نسقه لتجمیع القرائين، ولا ندعی أنه دلیل على المطلوب لوحده. وقد نسب إلى نساء أهل البيت عليه السلام أنهن يروين بعض الروایات، وهذا ما يدعو لاحتمال كونهن يكتبن، وخصوصاً وأن بعض الروایات تنقل تفاصيل ربما تغیب عن الذهن إذا لم تقيـد بالكتابـة، وأنه قد عبر عن بعضهن بأن لها كتابـ.

وقد جاء في مستدرکات علم رجال الحديث:

(عليـة بـنت مـولـانـا السـجـاد عليـهـ السلامـ: لها كـتاب فـيـ الحـدـيثـ، يـرـوـيـ عـنـها زـرارـةـ) ^(٧١).
وكـذـلـكـ فإنـ الرـوـاـةـ تـنـقـلـ روـاـيـاتـ عنـ السـيـدـةـ سـكـيـنـةـ بـنـتـ الإـلـامـ الحـسـيـنـ عليـهـ السلامـ،
وـعـنـ فـاطـمـةـ بـنـتـ الإـلـامـ الحـسـيـنـ عليـهـ السلامـ، وإنـ ذـكـرـ بـعـضـهـمـ أـنـهـ تـرـوـيـ مـرـسـلاـ عـنـ جـدـتهاـ
فـاطـمـةـ وـعـنـ أـبـيـهـاـ. وـكـذـلـكـ ماـ يـنـقـلـ مـنـ روـاـيـةـ عـنـ حـكـيـمـةـ بـنـتـ الإـلـامـ الجـوـادـ...
ويـسـتـدـلـ بـعـضـهـمـ بـرـوـاـيـةـ عـامـيـةـ قـاسـرـةـ عـنـ الدـلـالـةـ عـلـىـ مـطـلـوـيـةـ تـعـلـيمـ الـمرـأـةـ،
وـهـيـ مـاـ رـوـاهـ أـبـوـ بـكـرـ بـنـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ سـلـیـمـانـ بـنـ أـبـیـ حـشـمـةـ عـنـ الشـفـاءـ بـنـ عـبـدـ
الـلـهـ قـالـتـ: دـخـلـ عـلـيـنـاـ النـبـيـ «صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ [وـآلـهـ] وـسـلـمـ» وـأـنـاـ عـنـ حـفـصـةـ فـقـالـ لـيـ:
«أـلـاـ تـعـلـمـيـ هـذـهـ رـقـيـةـ النـمـلـةـ كـمـاـ عـلـمـتـيـهـ الـكـتـابـةـ» ^(٧٢).

نساء المسلمين يكتبن:

ومن ضمن ما نأتي به من مؤيدات هو ما نقل عن كتابة بعض نساء المسلمين في محضر الإمام المعصوم عليه السلام، فقد ورد في امرأة الهيثم بن الأسود أنها: كانت علوية الرأي، تكتب بأخبار معاوية في أعناء الخيل وتدفعها إلى عسكر علي عليه السلام بصفين فيدفعونها إليه^(٣).

والمحصلة مما تقدم:

والمحصلة مما تقدم أن هذه الروايات المنسوبة عن كتابة الزهراء عليها السلام والفواطم إن صحت فيها، وإنما مع غيرها من الأحاديث والقصص تشكل قرينةً على مطلوبية الكتابة من النساء أيضاً.

وأقصى ما يمكن أن يقال في أمثالها أنها روايات موضوعة، وضعها المسلمون أو الشيعة لمدح رموزهم من النساء العظيمات وإبرازها على أنها فضائل لهن. وهنا وعلى فرض كونها من الموضوعات، وأنه لم تصح أي منها، فإنها تكشف عن ارتكاز عام متغلغل في وجдан المترسحة على اختلاف أجناسهم، ومفاد هذا الارتكاز هو مطلوبية الكتابة بشكل مطلق شامل للمرأة، ويزداد هذا الارتكاز شدةً في كون النهي عن الكتابة بما هي كتابة غير متصور، ولو على نحو الكراهة، ومنشأ هذا الارتكاز هو السيل الهدار من النصوص الدينية التي أشرنا فيما سبق إلى بعضها. وأما فيما يتعلق بالفواطم الزاكيات والكتابة فإنه قد يقال بعدم الملائمة بين كتابتهن وبين تعليم الرسول والأئمة لهن فإنهن عالمات غير معلمات، إلا أن العرف لا يدقق في أمثال هذه الخصائص، بل يرى معرفتهن للكتابة دعوةً للكتابة ومقدماتها.

الوجه الثاني: لا موضوعية للكتابة:

والصحيح أن الكتابة لا موضوعية لها في هذا النهي، والذي اعتبر سند روایته على أحد الطرق كما مر في بداية البحث، بل إنما كان النهي لخوف المفسدة، وأما مع أمن المفسدة، ومع الاطمئنان بعدها فلا محل للنهي، فهو إذن نهي عن تعليم الكتابة لا بعنوانها. فإن قيل بأن الأصل في العناوين التي تؤخذ في النصوص هو الموضوعية لا الطريقة وأن الخروج عن الموضوعية يحتاج إلى قرينة فعل خوف المفسدة حكمة من حكم النهي عن تعليمهن الكتابة لا علة، وعليه فمع الأمن من المفسدة لا ينتفي النهي لأن إثباته ينتفي بانتفاء علته لا حكمته، قلنا إن هناك عدة قرائن تبين أن النهي ليس لذات الكتابة بل لخوف المفسدة، وبناءً على ذلك لا يكون التعارض بين الروايات الداعية للكتابة وبين رواية البحث تعارضًا مستقرًا، بل يمكن الجمع العرفي بين القسمين بجعل النهي على من خيف عليهما ولم تأمن الفساد، دون غيرها. وهذا ما يمكن الاستدلال عليه بما يأتي من عناوين.

وقفة مع الحديث لاستنطاقه:

يمكنا أن نتعقل النهي عن تعليم المرأة الكتابة وبشكل واضح حينما نتصور أن الكتابة ربما كانت في ذلك الزمان سببًا لاتصال النساء بالرجال، بنحو يميزها عن غيرها من الأمور فتعد حينها من الأمور التي يخشى منها الفساد على المرأة، فهي ليست كالآلات المشتركة بمقدار ما تكون كآلات اللهو، وأقرب مثال يوضح هذه الحالة في زماننا المعاصر هو «البلوتون»، الذي تكون الفتاة في غنى عن استخدامه في أغلب الحالات، وإن عد آلة مشتركة، فهو جائز في نفسه، ما لم يصل إلى حد

المقدمة الموصولة للحرام، ولكن مع ذلك الجواز يبقى أنه سبب لعدم الاطمئنان على الفتاة، خاصة مع ظروف الاختلاط في الجامعات والأكاديميات، حيث إنها بمجرد أن تفتحه فإنه يستقبل أي ملف يرسله الآخرون، وبهذا تكون في معرض الفساد. وهذا التقريب يمكن فهمه من خلال نص الرواية، حيث تقول: «لا تنزلوا النساء بالغرف، ولا تعلموهن الكتابة، وعلموهن المغزل وسورة النور»، فإن المقصود من الغرف هو ما يكون في أعلى البيت؛ أي ما يكون مطلأً على الخارج، وهذا ما يسبب الاتصال بالخارج والقرب من الرجال، الذي هو مظنة لاتصالهن بالرجال، وداع لخوف الفساد. وقد قال الشاعر في ذلك:

نَظَرَةُ فَابْتِسَامَةَ فَسَلَامٍ
فَكَلَامُ فَمَوْعِدِ فَلَقَاءِ

وَلَا بَأْسَ هُنَا بِتَوْضِيْحِ أَقْسَامِ الْبَيْتِ بِالْتَّعْبِيرَاتِ الَّتِي كَانَتْ سَائِدَةً فِي السَّابِقِ:
الْدَّارِ وَهِيَ مَا نَعْبُرُ عَنْهُ بِالْبَيْتِ.
الْبَيْتُ وَهُوَ مَا نَعْبُرُ عَنْهُ بِالْغُرْفَةِ أَوِ الْحِجْرَةِ أَوِ الدَّارِ.
الْغُرْفَةُ وَهِيَ مَا يَكُونُ فِي أَعْلَى الْبَيْتِ (الْعُلِيَّةِ).

أقوال في توضيح معنى الغرفة:

* ما جاء في لسان العرب لابن منظور: وذكر ابن منظور في معنى الغرفة عدة أمور:

- (الغرفة: العلية، والجمع غُرُفَاتٌ، وغُرَفَاتٌ، وغُرْفَاتٌ، وغُرَفٌ).
- (الغرفة: السماء السابعة).

- (الغرفة: حبل معقود بأشوطة يُلقى في عنق البعير) ^(٧٤).

* ما جاء في مفردات الراغب الإصفهاني:

(والغرفة: علية من البناء، وسمى منازل الجنة غرفاً. قال تعالى: ﴿يُجْزِوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾^(٧٥)، وقال: ﴿لَنْ يَنْهَا مِنَ الْجَنَّةِ غُرْفَةً﴾^(٧٦)، ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾^(٧٧)).

* ما جاء في الميزان:

(قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزِوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيَلْقَوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسِنَتْ مُسْتَقْرَأً وَمَقَامًا﴾، الغرفة - كما قيل - البناء فوق البناء فهو الدرجة العالية من البيت، وهي كنایة عن الدرجة العالية في الجنة)^(٧٩).

وقد ورد في نفس رواية البحث في إحدى طرقها العامية تصريح بكون الغرفة في الأعلى، فقد روى ابن عباس عن النبي ﷺ هذه الرواية فكان منها: «ولا تسكنوهن الغرف العالى»^(٨٠).

فمن هنا ندرك ما تقدم من أن المرأة إذا ما كانت تسكن في أعلى الدار فإنها تكون في معرض الاتصال بالرجال بحسب ما كان سائداً في الدور القديمة.

القرائن المؤيدة لهذا المعنى من الرواية:

يمكنا استفاداة أن النهي في الرواية إنما هو لخشية المفسدة من قوله ﷺ: «علموهن سورة النور»، حيث إن سورة النور مليئة بالموعظة وبعيدة عما يوجب الإثارة وتحريك الغريزة لدى المرأة، وفيها ما يخوف من يهم بالفاحشة من الجزاء المترتب عليها، وهذا ما صرحت به الرواية المنسوبة للأمير عثيمان حيث قال فيها: «لا تعلموا نساءكم سورة يوسف، ولا تقرؤوهن إياها فإن فيها الفتنة، وعلموهن سورة

النور فإن فيها الموعظ»^(٨١)، وكذلك فقد روى الصدوق عليه السلام عن الصادق عليه السلام: «لا تنزلوا النساء الغرف، ولا تعلموهن الكتابة، ولا تعلموهن سورة يوسف، وعلموهن المغزل وسورة النور»^(٨٢). وفي رواية أخرى ينسب الإمام الصادق عليه السلام هذا المعنى إلى جده الرسول الأكرم صلوات الله عليه بما فيه النهي عن تعليمهن سورة يوسف، ومن المقطوع به في هذه الروايات عدم الموضوعية في النهي عن تعليمهن سورة يوسف؛ أي النهي عنها بما هي قرآن، وهذا خير قرينة على أن الكلام هو الكلام في تعليمهن الكتابة، وخصوصاً مع وحدة السياق، والذي يستفاد منه أن كل هذه التحفظات إنما هي من باب الخشية على المرأة، وذلك في قول الأمير عليه السلام في سورة يوسف: «فإن فيها الفتنة، وهل من قرينة أشد من هذا التصريف؟! وقوله عليه السلام في سورة النور: «فإن فيها الموعظ». هذا أولاً، وأما ثانياً فإن الكتابة بما هي كتابة، وبما هي مورد امتحان على الإنسان كما تصرح به النصوص، فهي كمال مطلوب وإلا لما وردت مورد الامتحان على الإنسان، ومن هذه الناحية نقطع بعدم الموضوعية للرجل. وثالثاً: يمكننا أن نتمسك بالانصراف والتبادر الحاصل من هذه الرواية، وهو تبادر إلى غير الموضوعية في النهي، وهذا الانصراف حاصل وخصوصاً مع معرفة ذوق الشارع فيما يتصل بستر المرأة وعفافها وصونها، وإليك بعض القرائن والمؤيدات لهذا المعنى الذي جعل الإسلام فيه للمرأة خصوصيةً ما، وليس ذلك لعنوان هذه الأحكام في نفسها، وإنما ذلك لما يخشى عليها من فساد وانحراف، فمن هذه الأمور:

١) كراهة ابتداء النساء الشابات بالسلام، والحال أن السلام في نفسه من المستحبات، وقد نسب للأمير عليه السلام قوله: «أفسحوا السلام»^(٨٣)، إلا أن الخشية المتقدمة

هي سبب هذه الكراهة، فقد نسب للأمير عليه السلام أيضاً أنه كان يكره السلام على الشابة، وأنه قال: «أتخوف أن يعجبني صوتها فيدخل من الإثم على أكثر مما طلبت من الأجر»^(٨٤).

(٢) استروهن بالبيوت.

(٣) باعدوهن من الرجال.

(٤) لا تسكنوهن الغرف.

(٥) خير للمرأة أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل.

(٦) علموهن الغزل وسورة النور.

(٧) ما ورد من أمثلة وقصص في تاريخ نساء أهل البيت عليهم السلام كضرب ستراً للزهراء عليها السلام لتلقي خطبتها من خلفه، وكخروج السيدة زينب عليها السلام لزيارة قبر الرسول صلوات الله عليه وآله ليلاً والأمير أمامها والحسنان عليهما السلام عن جنبيها، فإذا وصلوا للقبر الشرييف أخذم على عليه السلام ضوء القناديل.

(٨) ليس على النساء أذان ولا إقامة، ولا جمعة، ولا جماعة، ولا عيادة المريض، ولا اتباع الجنائز، ولا إجهاض بالتلبية، ولا الهرولة بين الصفا والمروءة، ولا استلام الحجر الأسود، ولا دخول الكعبة.

(٩) وجاء في كيفية صلاتها: فإذا قامت في صلاتها ضمت رجليها ووضعت يديها على صدرها، وتضع يديها في ركوعها على فخذيها، وتجلس إذا أرادت السجود سجدت لاطئة بالأرض، وإذا رفعت رأسها من السجدة جلست ثم نهضت إلى القيام، وإذا قعدت للتشهد رفعت رجليها وضمت فخذيها.

- ١٠) وليس للنساء من سروات الطريق شيء ولهم جنبتاهم.
- ١١) وإذا حضر ولادة المرأة وجب إخراج من في البيت من النساء كيلا يكن أول ناظر إلى عورتها.
- ١٢) وإذا قامت المرأة من مجلسها فلا يجوز للرجل أن يجلس فيه حتى يبرد.
- ١٣) ولا يجوز للمرأة أن تنكشف بين يدي اليهودية والنصرانية؛ لأنهن يصفن ذلك لأزواجهن.
- ١٤) ولا يجوز لها أن تتطيب إذا خرجت من بيتها.
- ١٥) ولا يجوز لها أن تتشبه بالرجال لأن رسول الله ﷺ لعن المتشبهين من الرجال بالنساء ولعن المتشبهات من النساء بالرجال.
- ١٦) ولا يجوز للمرأة أن تصافح غير ذي محرم إلا من وراء ثوبها، ولا تباع إلا من وراء ثوبها.
- ١٧) وإذا صلت المرأة وحدها مع الرجل قامت خلفه ولم تقم بجنبه.
وفي هذه الكلمات المستفادة من الروايات دلالة واضحة على حررص الإسلام على ستر المرأة وإيلائه المرأة أهمية خاصةً فيراعي كل ما من شأنه أن يحفظها ويصونها، إلى درجة أنه يعبر عن بعض هذه الأمور بالواجدة وهي ليست كذلك بالوجوب الشرعي، وإنما شددت الروايات لبيان أهمية هذه الأمور، وضرورة عدم التساهل والتسامح فيها.

صلوة المرأة في بيتها:

وتبعاً لما جاء في الروايات، فإن علماءنا يفتون بكون صلاة المرأة في بيتها خيراً

لها من الصلاة في المسجد، وصلاتها في مخدعها خير لها من الصلاة في أي بيت آخر من بيوت الدار، وأنها إذا صلت في بيتها فإنه يحسب لها ثواب الصلاة في المسجد الذي تنوي الصلاة فيه، فتنازل فضيلة الصلاة المعدة لكل مسجد، فإن كانت الصلاة في هذا المسجد تعد بألف صلاة وكانت تزيد الصلاة فيه فإنها تناول ثواب الصلاة فيه عندما تصلي في بيتها.

مسجد المرأة بيتها:

(ورد في الأئمّة بأنّ الأفضل في حقّها الصلاة في البيوت، وفي النص «أنّها خير مساجد نسائكم»).^(٨٥)

ثواب صلاة المرأة في بيتها هو ثوابها في المسجد:

«(الأفضل المسجد) لغير المرأة أو مطلقاً بناءً على إطلاق المسجد على بيتها بالنسبة إليها كما ينبه عليه، (وتفاوت) المساجد (في الفضيلة) بحسب تفاوتها في ذاتها، أو عوارضها كثيرة الجماعة: (فالمسجد الحرام بمائة ألف صلاة) ومنه الكعبة وزواجها الحادثة وإن كان غيرهما أفضل، فإن القدر المشترك بينهما فضله بذلك العدد، وإن اختص الأفضل بأمر آخر لا تقدير فيه كما يختص بعض المساجد المشتركة في وصف بفضيلة زائدة عما اشترك فيه مع غيره (والنبيوي) بالمدينة (بعشرة آلاف) صلاة، وحكم زياته الحادثة كما مر (وكل من مسجد الكوفة والأقصى) سمي به بالإضافة إلى بعده عن المسجد الحرام (بألف) صلاة (و) المسجد (الجامع) في البلد للجمعة، أو الجمعة وإن تعدد (بمائة، و) مسجد (القبيلة) كالمحلّة في البلد (بخمس وعشرين، و) مسجد (السوق باشتبي عشرة).

(ومسجد المرأة بيته) بمعنى أن صلاتها فيه أفضل من خروجها إلى المسجد، أو بمعنى كون صلاتها فيه كالمسجد في الفضيلة، فلا تفتقر إلى طلبها بالخروج، وهل هو كمسجد مطلق أو كما تريده الخروج إليه، فيختلف بحسبه؟ الظاهر الثاني»^(٨٦).

صلاة المرأة في مخدعها:

(والأفضل للنساء الصلاة في بيوتها، وأفضل البيوت بيت المخدع؛ أي بيت الخزانة في البيت)^(٨٧).
ومما يدل على ما ذكرناه من تأويل لمعنى الرواية، وأن النهي عن الكتابة لا بعنوانها، بل لخوف المفسدة تأويل بعض العلماء لها بهذا المعنى.

كلمات علماء الشيعة في تأويل الرواية:

١) النراقي في جامع السعادات: «ولذلك ورد في الأخبار منعهن عن تعلم سورة يوسف عليه السلام إذ استماعهن لأمثال القصة المذكورة فيها ربما أدى إلى انحرافهن عن طريق العفة^(٨٨)، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تعلموا نساءكم سورة يوسف ولا تقرؤوهن إياها فإن فيها الفتنة وعلموهن سورة النور فإن فيها الموعظ»، وقال عليه السلام: «لا تحملوا الفروج على السروج فتهيجونهن للفجور»، وقال رسول الله عليه السلام: «لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة، وعلموهن الغزل وسورة النور». وبالجملة: مقتضى العقل والنقل أن يمنعن عن جميع ما يمكن أن يؤدي إلى فساد وريبة، وعن مبادئ الأمور التي تخاف غوايelaها»^(٨٩).

٢) السيد السيستاني (استفتاءات): (س: «لا تنزلوا نساءكم الغرف ولا تعلموهن

الكتابة ولا تعلموهن سورة يوسف وعلموهن المغزل وسورة النور» هذا حديث جداً غريب، وهل فعلاً يعقل عدم تعليمهن الكتابة؟! وفي حديث آخر يقول: «العلم فريضة على كل مسلم وMuslimة»، وما المقصود من عدم إنزالهن الغرف، وعدم تعليمهن سورة يوسف؟

ج: سنته غير معتبر، ولعل هذه أوامر تخص الوضع الاجتماعي في ذلك الزمان والمكان، والحديث متصل إلى الرسول ﷺ وما كان المجتمع آنذاك بحاجة إلى تعلم الكتابة وتعميمه حتى للنساء، ولعله كان موجباً لبعض المفاسد، وهكذا سائر ما ورد فيه^(٩٠).

(٣) السيد الشيرازي: «وعن محمد بن علي بن الحسين قال: قال أبو عبد الله: «لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة ولا تعلموهن سورة يوسف، وعلموهن المغزل وسورة النور» - الحديث.

أقول: المراد بالنهي ما كان معرض الفتنة^(٩١).

هذا بعض ما وجدته من تأویل العلماء للرواية، وهناك غيرهم ممن قال بهذا المعنى.

كلمات علماء السنة في تأویل الروایة:

١) القرطبي في تفسيره: «و كذلك تعليم الكتابة ربما كان سبباً للفتنة، وذلك إذا علمت الكتابة كتبت إلى من تهوى، والكتابة عين من العيون، بها يبصر الشاهد الغيب، والخط هو آثار يده»^(٩٢).

٢) الشوكاني في نيل الأوطار: «قال الشوكاني في نيل الأوطار على حديث

المنتقى وحديث عائشة: إن حديث الشفاء دليل على جواز تعليمهن، وحديث النهي: محمول على من يخشى من تعليمها الفساد، أعني تعليم الكتابة والقراءة»^(٩٣). وبعد كل ما تقدم، وما خلصنا إليه من أن النهي هو في خصوص من يخشى عليها الفساد، ولم تصل الخشية إلى حد العلم بالوقوع في الحرام، وإنما كانت الكتابة مقدمة موصلة للحرام فتحرم بذلك.

وعلى ذلك قد يقال بإمكان الإفتاء بعدم الكراهة في تعليم من لا يخشى عليها ذلك، بل يقال بالاستحباب والوجوب في بعض الأحيان كما تقدم خلال البحث، والمرجع في المقام هو ما يفتني به علماؤنا أعلى الله كلامهم.

حكم الفقهاء في المسألة:

١) الشيخ المفید: يفهم من كلامه أنه يفتی بالكراهة: «ويكره للنساء الحرائر الشابات أن يكون سکناهن في الغرف الشارعات، ويكره لهن تعلم الكتابة وقراءة الكتب، ولا ينبغي لهن أن يتعلمن من القرآن سورة يوسف خاصة دون غيرها، ويتعلمن سورة النور»^(٩٤).

٢) الشيخ الحر العاملی: وقد عنون أحد أبواب كتابه «وسائل الشیعة» بعنوان: (باب کراهة إِنْزَال النِّسَاءِ الْغُرْفَ وَتَعْلِيمُهُنَّ الْكِتَابَ وَسُورَةَ يُوسُفَ، وَاسْتِحْبَابِ تَعْلِيمِهِنَّ الْغَزْلَ وَسُورَةَ النُّورَ، وَوُجُوبِ أَمْرِ الْأَهْلِ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيِهِمْ عَنِ الْمُنْكَرِ»^(٩٥)، فبناءً على أنه يعنون الأبواب بما يفتني به، فحينها تستفاد الكراهة من قوله عليه السلام.

٣) السيد کاظم الحائری: «س: هل کراهة تعليم المرأة الكتابة ثابتة لما ورد من

نهي في روایة معتبرة؟ أو أن عنواناً ثانوياً يطرأ في المقام؟

ج: بسم الله الرحمن الرحيم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، لا إشكال في تعليمها ولا يلتفت لمثل هذه الروايات^(٩٦).

٤) السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم: «س: هل كراهة تعليم المرأة الكتابة

ثابتة لما ورد من نهي في روایة معتبرة؟ أو أن عنواناً ثانوياً يطرأ في المقام؟

بسم الله الرحمن الرحيم وله الحمد. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ج: يظهر من بعض النصوص ذلك، ولم يتيسر لنا الفرصة لبحث حيّثيات

الموضوع، وعلى كل حال فهناك عنوانين ثانويّة تقتضي رجحان دراسة المرأة

وخدمتها للمجتمع. وفقكم الله تعالى^(٩٧).

٥) ويظهر مما تقدم من تأويل للرواية عند السيد السيستاني والسيد الشيرازي

أنهما لا يقولان بالكرابة.

المواهش:

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٥، ص٥١٦، ح١.

(٢) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج٣، ص٤٤٢، ح٤٥٣٥.

(٣) وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي، ج٦، ص١٨٥.

(٤) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج١٤، ص٢٥٩، باب كراهة إنزال النساء الغرف...

(٥) الموسوعة الرجالية الميسرة، الشيخ الترابي والشيخ الرهائى، ج١، ص٥٧٢، رقم٣٦٦٠.

(٦) نفس المصدر، ص٤٢، رقم٢١١.

(٧) معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، ج١، ص٣١٧، الطبعة القديمة.

(٨) الموسوعة الرجالية الميسرة، ج١، ص٢٩٢، رقم١٩٤٥.

(٩) وفي هذا القسم ذكر من لا يعتمد على روایته.

(١٠) معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، ج٣، ص١٠٥-١٠٧، الطبعة القديمة.

- (١١) تفسير السمعاني، السمعاني، ج٣، ص٤٩٧.
- (١٢) فتح القدير، الشوكاني، ج٤، ص٣.
- (١٣) المستدرك، الحاكم النسابوري، ج٢، ص٣٩٦.
- (١٤) زاد المسير، ابن الجوزي، ج٥، ص٣٣٩.
- (١٥) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج١٤، ص٢٢٧، رقم٧٥٢٠.
- (١٦) الموضوعات، ابن الجوزي، ج٢، ص٢٦٨.
- (١٧) تفسير القرطبي، القرطبي، ج٢٠، ص١٢١.
- (١٨) أضواء البيان، الشنقيطي، ج٩، ص٢٠.
- (١٩) الموضوعات، ابن الجوزي، ج٢، ص٢٦٩.
- (٢٠) عون المعبد، العظيم آبادي، ج١٠، ص٢٦٨.
- (٢١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ج٣، ص٦٥١.
- (٢٢) الزمر: ٩.
- (٢٣) المجادلة: ١١.
- (٢٤) فاطر: ٢٨.
- (٢٥) منية المريد، الشهيد الثاني، ص٩٩، نقلًا عن بعض الجواجم السنوية.
- (٢٦) نفس المصدر، ص٩٩.
- (٢٧) نفس المصدر، ص١٠٣.
- (٢٨) نفس المصدر، ص١٠٨-١٠٩.
- (٢٩) نفس المصدر، ص١٠٩.
- (٣٠) نفس المصدر، ص١١٢.
- (٣١) نفس المصدر، ص٣٣٩-٣٤٠.
- (٣٢) التحرير: ٦.
- (٣٣) مرشد المغترب، السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم، ص٤١٦.
- (٣٤) منتخب المسائل، السيد مفتى الشيعة، ص٦٥١، مسألة ٢٥٣٦.
- (٣٥) آل عمران: ٢٨.
- (٣٦) غافر: ٢٨.

- (٣٧) التوحيد، الشيخ الصدوق، ص ٣٥٣.
- (٣٨) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ٤، ص ٣٦٥٣.
- (٣٩) عيون أخبار الرضا علیه السلام، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٢٦١، رقم: ٨
- (٤٠) منية المرید، الشهید الثاني، ص ٣٤٠.
- (٤١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ٣، ص ٢١٢٤.
- (٤٢) نفس المصدر، ج ٣، ص ٢٦٦٣.
- (٤٣) نفس المصدر، ج ٣، ص ٢٦٦٣.
- (٤٤) منية المرید، الشهید الثاني، ص ٣٤٠.
- (٤٥) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٦٦٢.
- (٤٦) منية المرید، ص ٣٤٠.
- (٤٧) نفس المصدر.
- (٤٨) نفس المصدر.
- (٤٩) نفس المصدر، ص ٣٤٠ - ٣٤١.
- (٥٠) نفس المصدر، ص ٣٤١.
- (٥١) نفس المصدر، ص ٣٤١.
- (٥٢) الفصول المهمة في أصول الأئمة، الحر العاملي، ج ١، ص ٦٨٧.
- (٥٣) العلق: ٣.
- (٥٤) القلم: ١.
- (٥٥) نفس المصدر، ص ٢٥٨.
- (٥٦) نفس المصدر، ص ٢٥٨ - ٢٥٩.
- (٥٧) مستدرک الوسائل، المیرزا النوری، ج ١٣، ص ٢٥٨.
- (٥٨) المیزان في تفسیر القرآن، العلامۃ الطباطبائی، ج ٣٠، ص ٣٢٤.
- (٥٩) بحار الأنوار، العلامۃ المجلسی، ج ٩، ص ٢٥٢، نقلًا عن تفسیر علی بن ابراهیم.
- (٦٠) العلق: ٦-٧.
- (٦١) بحار الأنوار، ج ٩، ص ٢٥٢، نقلًا عن تفسیر علی بن ابراهیم.
- (٦٢) وذکر ذلك للاختلاف في حقيقة القلم والمعنى المقصود منه في القرآن الكريم.

- (٦٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٥٤، ص ٣٦٢.
- (٦٤) الر حمن: ٣-٤.
- (٦٥) الميزان في تفسير القرآن، ج ٢٩، ص ٣٦٧-٣٦٨.
- (٦٦) وفي البحار: "أثمار القمح".
- (٦٧) في البحار: "كتبتها" وصاحب المستدرك قد نقلها عن البحار.
- (٦٨) والظاهر أن الصحيح: "فيما" كما هو المثبت في رواية البحار.
- (٦٩) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ١٤، ص ٥٦-٥٤، عن البحار، فيما نقله العلامة المجلسي عن مصباح الأنوار
- (٧٠) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٤٣، ص ٦١-٦٢.
- (٧١) مستدركات علم رجال الحديث، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ج ٨، ص ٥٨٨.
- (٧٢) مسنن أحمد، أحمد بن حنبل، ج ٦، ص ٣٧٢.
- (٧٣) مستدركات علم رجال الحديث، الشيخ علي النمازي، ج ٨، ص ٥٦٢.
- (٧٤) لسان العرب، ابن منظور، ج ١٠، ص ٥٤.
- (٧٥) الفرقان: ٧٥.
- (٧٦) العنكبون: ٥٨.
- (٧٧) سبأ: ٣٧.
- (٧٨) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ٦٠٥.
- (٧٩) الميزان في تفسير القرآن، العلامة الطباطبائي، ج ١٥، ص ٢٤٥.
- (٨٠) الموضوعات، ابن الجوزي، ج ٢، ص ٢٦٨.
- (٨١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٥، ص ٥١٦.
- (٨٢) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٣٧٤، رقم ١٠٨٩.
- (٨٣) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٦٤٥.
- (٨٤) مستند الشيعة، المحقق النراقي، ج ١٦، ص ٦١.
- (٨٥) شرح تبصرة المتعلمين، الشيخ ضياء الدين العراقي، ج ١، ص ٤٢٣.
- (٨٦) الزبدة الفقهية في شرح الروضة البهية، الترجيبي، ج ٢، ص ٩٢-٨٩، وقد نقلنا متن اللمعة للشهيد الأول مع شرحه للشهيد الثاني.

(٨٧) العروة الوثقى، السيد اليزدي، ج١، ص٤٥٢، مسألة: ٤.

(٨٨) أثارت بعض المواقع التكفيرية شبهة بغرض الطعن في مذهب أهل البيت عليهما السلام فقالوا: إن الشيعة يقولون بأن القرآن يسبب الانحراف والضلال فلذلك يجب عدم تعليم النساء سورة يوسف، فالنتيجة أنه يجب طمس القرآن لأنه سبب للضلال والانحراف بينما يصرح القرآن أنه هدى للعالمين، وأنه لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً.

والجواب على هذه الشبهة أن القرآن هدى كلّه، ونور كلّه، ولا اختلاف فيه، وإنما الكلام في القابل والمتعلقي لهذا القرآن، فقد يكون قابلاً ضعيفاً لا يؤثر فيه القرآن، بل قد يتأثر سلباً ببعض القرآن، وهذا لا لنقص في القرآن، بل لخلل في نفس المتعلق، وضعف واعوجاج في سليقته، فكان لا بد له من أن يصلح مواطن الخلل في نفسه حتى يستفيد من القرآن كما ينبغي، ولا نطيل كثيراً في رد الشبهة، فالقرآن بنفسه يصرح في آياته أنه يصلع بعضاً من الناس:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُسْتَحِي أَنْ يُضْرِبَ مَثَلًا مَا بِعَوْضِهِ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِذَا مَثَلًا يُضْلِلُ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضْلِلُ بِهِ إِلَّا فَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦].

﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْتَ سُورَةً فِيهَا مِنْ يَقُولُ أَيْكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبِشُونَ، وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ فَزَادَتْهُمْ رُجْسًا إِلَى رُجْسِهِمْ وَمَا تَوَلَّ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤ - ١٢٥]

(٨٩) جامع السعادات، التراقي، ج١، ص٢٤١.

(٩٠) استفتاءات، السيد السيستاني، ص٥٧٦ - ٥٧٧، من برنامج مكتبة أهل البيت، والظاهر أن الجواب صادر من قبل مكتبه لا من قبله.

(٩١) منتخب المسائل، السيد الشيرازي، فصل (يستحب لحامل القرآن ملازمة الخشوع والعبادة).

(٩٢) تفسير القرطبي، القرطبي، ج٢٠، ص١٢٢.

(٩٣) أضواء البيان، الشنقيطي، ج٩، ص٢٠.

(٩٤) أحكام النساء، الشيخ المفید، ص٥٦.

(٩٥) وسائل الشيعة (آل البيت)، الحرس العالمي، ج٢٠، ص١٧٦.

(٩٦) استفتاء أرسلناه على الموقع الإلكتروني لسماحته.

(٩٧) استفتاء أرسلناه على الموقع الإلكتروني لسماحته.

لِقَوْقَعُ الْمَرْأَة

محمد حسن صالح الكراني

في هذه الأيام تكاثرت الوسائل المختلفة من الجرائد والمجلات والإنترنت والفضائيات تطالب بحقوق المرأة، وترفع شعار تحرير المرأة، والدفاع عن المرأة، ولكن قبل كل شيء نتساءل من الذي حرّم المرأة من حقوقها؟! من الذي ظلم المرأة؟ هل الدين هو الذي ظلمها؟ أو هي المجتمعات والشعوب أو الحكومات؟ ونتساءل أيضاً من هو الذي له الحق في أن يتكلم ويدافع عن حقوق المرأة؟ مع الأسف الجميع فتح باعه، وصار يكتب ويtalk حتى الذين لا يعرفون أبجديات حقوق المرأة، ولم يعرفوا أدنى فكرة عن الأشياء التي لا بد أن تتحلى بها المرأة، وعن الأمور التي لا ينبغي لها.

شعارات براقة جذابة:

ومن شعاراتهم المساواة بين الرجل والمرأة، مسألة تعدد الزوجات، مسألة الميراث، مسألة مشاركة المرأة في القضايا السياسية والاجتماعية وغيرها، شعارات براقة جذابة، من صميم الواقع، يراد فيها في كثير من الأحيان عمداً أو سهواً إيجاد ضبابية حول المفاهيم، وصناعة المغالطات.

لماذا هذه الحملة الشرسة؟!

الإسلام لا يرفض تقديم المرأة، ولا يرفض مشاركة المرأة في جميع المجالات

المختلفة السياسية والاجتماعية، أراد إلى المرأة أن تكون مشاركةً مع الرجل في جميع شؤون الحياة، وأن تكون امرأةً نموذجيةً ومثاليةً وحضاريةً، ولكن مع مراعاة عفتها وحشمتها وكرامتها.. قال رسول الله ﷺ: «استوصوا النساء خيراً»، وفرق بين وضع قيود للمرأة تتناسب مع طبيعتها وقابليتها، وبين إلغاء المرأة واحتقارها، والإسلام جرى مجرى الأول، ولأن الله خالق الإنسان وبما فيه الذكر والأنثى، فهو أعلم بما تقتضيه طبيعتها، ويما ترى من أرأف وأعرف وألطف وأعدل وأعلم بما تحتاجه طبيعة كل المخلوقات فضلاً عن الرجل والمرأة من الخالق جل وعلا؟! وهل الإسلام وهل الدين إلا منه جلاً وعلا؟!

ولكن من الذي ظلم المرأة؟ ومن الذي احتقر المرأة؟ ومن الذي ضيع حقوق المرأة؟

تعالوا نرجع إلى العصور القديمة وبعدئذ نأتي ونعرف من هو الذي حرم المرأة حقوقها؟ إن المرأة قبل الإسلام كانت مضطهدةً بأنواع الاضطهاد، مثلاً في اليونان القديمة كانت المرأة تعد كالبضائع والسلع التجارية تباع وتشترى في الأسواق، ولا يحق لها الحياة بعد وفاة الزوج، والزوج هو مالكها. وقالوا: «المرأة هي الموجود ذو الشعر الطويل والعقل القصير»، «المرأة نقلة بين الحيوان والإنسان»، وأفلاطون يقول: «أشكر الله لأنني خلقت يونانياً لا غير يوناني، وأنني خلقت رجلاً لا امرأةً»^(١)، وله أيضاً كلمات يقلل من مكانة المرأة.

وفي الهند كانت المرأة تحرق مع جثمان زوجها وهي على قيد الحياة كي تتخلص روح الزوج من العزلة والانفراد^(٢).

وفي الروم: إن المرأة ليست ذات روح إنسانية أساساً وأن الرجل وحده هو

الذي يحمل بين جنبيه مثل هذه الروح دون غيره.

وفي الجزيرة العربية (أيام الجاهلية): «وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأَنْتَيْ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ»، تدس الطفلة في التراب وهي حية، المرأة عندهم تكون ملك أيها إذا قدر وعاشت ومن بعده إلى زوجها، وتحرم من الإرث، والشيء العجيب والملفت للنظر أن العلماء المسيحيين في إسبانيا كانوا يبحثون - حتى إلى الآونة الأخيرة - في أن المرأة هل تملك مثل الرجل روحًا إنسانية أم لا؟ وأن روحها هل تخلد بعد الموت أم لا؟ وقد وصلوا بعد مداولات طويلة إلى أن المرأة روح بروزخية وهي نوع متوسط بين الروح الإنسانية والروح الحيوانية، وأنه ليس هناك روح خالدة بين أرواح النساء إلا روح مريم عليه السلام.

المذهب الكاثوليكي الذي يعد المرأة مخلوقاً في المرتبة الثانية، الإسلام ماذا يقول؟ يقول: لا يختلف الرجل عن المرأة، «بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ».

وفي القرن العشرين:

ظهر لأول مرة ما يسمى «حقوق المرأة» في مقابل حقوق الرجل، واعترفت إنجلترا لأول مرة في أوائل القرن العشرين بتساوي حقوق المرأة والرجل. أما الولايات المتحدة الأمريكية فاعترفت بالحقوق الإنسانية وصادقت عليه عام ١٩٢٠م^(٣).

في فرنسا عقد اجتماع يبحث شأن المرأة ماذا كانت تعد إنساناً أو لا تعد إنساناً وبعد النقاش قرر المجتمعون أن المرأة إنسانٌ ولكنها مخلوقة لخدمة الرجل، فقد صدر قانون في فبراير سنة ١٩٣٨ م يلغى القوانين التي كانت تمنع المرأة الفرنسية

من بعض التصرفات المالية، ويجيز لها لأول مرة في تاريخها بدون إذن القاضي أن تفتح حساباً جارياً باسمها في البنك وأن توقع بالتالي على شيكات الصرف، وأن تمضي العقود المالية وتستولي على الإرث^(٤).

وأخيراً أعلنت جمعية حقوق الإنسان في الأمم المتحدة في عام ١٩٤٨ بعد الحرب العالمية الثانية الاعتراف بحقوق الإنسان وقيمة الفرد الإنساني وتساوي حقوق الرجل والمرأة، اتفقت شعوب الأمم المتحدة عليها^(٥).

وكما نعلم فإن جميع مواد لائحة حقوق الإنسان التي كانت جديدة على الأوروبيين كان الإسلام قد طرحتها قبل ألف وأربعين عام.

ماذا قال؟

﴿لِلرَّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾^(٦) يعني للرجل نصيبه مما اكتسبه من جهده وتعبه وهو يملكه ويعرف فيه ما يشاء، وأيضاً المرأة تملك مما اكتسبته وليس لأحد أخذها من عندها حتى الزوج أو أبوها.

المصادقة على إباحة الملواط بدلاً من تعدد الزوجات:

الفيلسوف البريطاني السيد «رسل» يقترح على الحكومة البريطانية قائلاً: إن نظام الزوجة الواحدة مبني على افتراض تساوي عدد النساء والرجال في البلد فحين ينعدم التساوي يقع ظلم عظيم على أولئك الذين يعيشون حالة العزوبة، يقول «رسل»: في إنجلترا اليوم أكثر من عدة ملايين امرأة أكثر من الرجال في هذه الدولة؛ ولذا فهو يقترح حلًّا ولكن أي حل؟ إنه ببساطة يقترح أن تمنع تلك النساء الحرية في اصطياد الرجال وإنجاب أطفال مجهولي الآباء قد لا يعشن الحرمان من

الذرية، فيجب أن تقوم الحكومة مقام الآباء وتتكفل دفع المعونة المادية لمثل هؤلاء النساء، ولكن إن الشعب البريطاني وقد حل مشكلته بنفسه دونما انتظار لأن يتخذ اقتراح السيد «رسل» صورته القانونية، وما فعلته الحكومة البريطانية كان على خلاف رأي السيد «رسل»، فإنها بدلًا من أن تحل مشكلة العازبات اعترفت بمنافسين لهن من جنس الرجال فزادت في حرمتهن وذلك بالمصادقة على قانون إباحة اللواط بعد نقاش دام ثمان ساعات^(٧)، وفي الوقت الحاضر تعدد الزوجات ممنوع في بريطانيا، أما اللواط فمباح، فإذا جاء الزوج بشريكة لزوجته من جنسها يكون قد ارتكب جريمةً وعملًا غير إنساني، أما إذا كان الشريك من جنس الرجال فقد قام بعمل مشرف وإنساني يتناسب مع العصر، إذا كانت الشريكة ذات شارب ولحية فتعدد الزوجات في هذا الحال أمر جائز، ليسمع أولئك الذين يدعون أنهم حضاريون وعصريون أن العالم الغربي قد وجد حلًا لمشكلاته الجنسية فعلى الأقلام المأجورة والأفواه الجارحة بدل أن تنتقد الإسلام في تعدد الزوجات فعليكم أن تناشدوا وتقرحو على لجنة ما يسمى حقوق الإنسان وحقوق المرأة في منظمة الأمم المتحدة الاعتراف بتعدد الزوجات في ظل الشروط المنطقية التي سنها الإسلام كحق من حقوق الإنسان وأن يكون هذا الاقتراح باسم الدفاع عن الحقوق الحقيقية للمرأة إذا أرادوا أن يخرجوا من مستنقع الرذيلة.

لا مساواة بل عدل:

ينتقدون الإسلام على تقسيم الميراث والإرث بين الرجل والمرأة، جاءت هذه الأفكار نتيجة لعدم إدراكهم العلة والسبب من هذا التقسيم إذ قرر الإسلام

﴿فَلَذَّكَ مِثْلُ حَظِّ الْأَنْثَيْنِ﴾^(٨)، لماذا؟ نذكر بعض الأسباب: لأن المرأة معفاة من التكاليف المالية قبل الزواج وبعده، فقبل الزواج يتلزم أبوها بالإنفاق عليها وبعد الزواج يصير الإنفاق عليها وعلى أولادها مسؤولية الزوج، حتى يقول بعض الباحثين أن المرأة أوفر حظاً في الميراث من الرجل، فلنأخذ المرأة خمسة وتدخلها خير من أن يأخذ الرجل عشرة وينفقها.

الإسلام أعطى المرأة حقها ورفض حرمانها من الميراث كما في أيام الجاهلية التي تعتبر أن المرأة بأكملها ملك إلى أبيها وبعده إلى زوجها فضلاً عن أنها تملك نفسها، فستان بين المرأة في عصر الإسلام وقبله.

المرأة والحجاب:

إن الغرب والمغاربة والذين معهم يطلبون وينتقدون النساء المحجبات، يقولون إن النساء يشكلون نصف المجتمع والحجاب يجعلهن في معزل عن المجتمع ويكون ذلك سبباً في تأخرهن في الأمور الثقافية والاجتماعية. أولاً: من الذي قال أن الحجاب الإسلامي يعزل المرأة عن المجتمع؟ دعوى باطلة لا دليل عليها؛ لئن صعب علينا الجواب عن هذا السؤال في السابق فما نظن أنها بعد قيام الجمهورية الإسلامية المباركة والمجتمعات الإسلامية الأخرى في العالم نحتاج إلى دليل على نهضة المرأة نهضة كريمة ومشاركتها في تشيد المجتمع الإسلامي المنشود. خذ مثلاً واضحاً أن المرأة الإيرانية تراها تعمل في المراكز الصحية والمدارس والجامعات وفي الإذاعات والتلفاز والمصانع وأيضاً في شؤون الدولة والسياسة، وتعمل في الجيش والشرطة، بحسب الإحصائيات - وهي قديمة -

٣٠٪ من موظفي الدولة الإسلامية، ٥٠٪ في وزارة التربية والتعليم، ٤٥٪ في وزارة الصحة، ٣٥٪ في الكوادر العلمية في الجامعات الطبية، مع مساواتها مع الرجل في الأجرة^(٩).

يقول روح الله الخميني: «لست ضد تطور المرأة بل نحن ضد الفحشاء». انظر إلى الذين يدعون الحرية والديمقراطية مثل فرنسا، أليس في قانونها وفي مواد الدستور أن للمواطن الفرنسي الحرية الفكرية والحرية الدينية ولكن حتى بمبادئهم وقوانينهم لا يتزمون ولا يعملون بها وأنتم تعرفون أنه قبل أكثر من سنتين أو أقل صدر أمر يمنع ارتداء الحجاب في المدارس والمؤسسات الحكومية والأهلية، إذا كنتم تدعون الحرية لماذا تمنعون المسلمات من مواطنكم ارتداء الحجاب؟! أليست حرية اللباس مكفولة؟! وأنتم لديكم مواطنون يعرون ويلبسون ما يشاؤون هذا أليس ممنوعاً! وقطعة قماش توضع على الرأس ممنوع؟! هذه حريتكم؟! وهذه عدالتكم؟!

دنماركية فلسطينية الأصل قد تصبح أول نائبة محجبة بأوروبا:

ذكرت جريدة الوفاق الصادرة يوم الثلاثاء ١٥-٥-٢٠٠٧م : «تشير أسماء عبد الحميد خمسة وعشرين عاماً جدلاً على الساحة السياسية ولدى الرأي العام الدنماركي منذ إعلان نيتها في الترشح لمقعد نوابي لكونها امرأة ترتدي الحجاب وترفض مصافحة الرجال، وفي أول رد فعل على احتمال دخول امرأة إلى البرلمان وصف المتحدث باسم حزب الشعب الدنماركي (يمين متطرف) سورين كراروب الحجاب بأنه رمز استبدادي يشبه الصليب المعقوف النازي، وكذلك قال النائب في

البرلمان الأوروبي موجينس كامري أن أسماء بحاجة إلى علاج نفسي، أما زعيمة حزب الشعب الدنماركي بيا كيرسفارد التي بنت نجاح حزبها على رفض المهاجرين المسلمين فاعتبرت على هذا الترشيح معتبرةً أن الحجاب غالباً ما يفرض على فتيات بريئات من رجال متسلطين. وقالت إنها تشعر بنوع من الشفقة على امرأة تحاول أن تقنعنا بأن الحجاب يحررها»^(١٠).

انظروا إلى هذه العقول المتحجرة والمختلفة إلى أين وصل بها الأمر، قامت الدنيا ولم تقععد على امرأة مسلمة ترتدي الحجاب، قطعة قماش على الرأس تخيفكم؟! أليس هذا حقاره واستبداد واضح وجلي؟! كبار القوم في الدنمارك لا عقل لهم ولا حرية لهم، هؤلاء جامدون وجاهلون.

هذه حرب واضحة على الإسلام:

يقول السيد قطب في كتابه (هل نحن مسلمون؟): «إن أحد الباباوات جمع كافة القساوسة في الفاتيكان وطلب منهم تقديم ما يقترحونه من أجل القضاء على الإسلام بأسلوب لا يكلف الفاتيكان والمسيحية الكثير من التكاليف فتشكلت اللجان لهذا الغرض وباشر الكل لإبداء وجهات نظرهم ومن بين جميع الآراء والنظرياتحظى رأي واحد بموافقة البابا وسائر القساوسة، ومفاد هذا الرأي أن أمضى سلاح وأزهد سبيل للقضاء على الإسلام يتمثل في إخراج النساء المسلمات من ارتداء الحجاب وتعریضهن أمام الشباب والرجال سافرات في الأسواق والأماكن العامة والمنتزهات وصالات السينما والمراكز التجارية...»^(١١).

نعم المرأة عندهم سلعةٌ رخيصةٌ، جعلوا المرأة بضاعةً تجاريةً، جعلوها تتعرى

لأجل دعاية شامبو ووضعوا صورتها على صابونة أو على أغلفة المجالات حتى تروج وتبيع بصورة سريعة، هذا هو مستوى المرأة عندكم يا أصحاب الحضارة والثقافة؟! أين أنتم من حقوق المرأة؟!

فاطمة بنت محمد ﷺ هي القدوة للمرأة المثلية:

ذكرت إحدى الصحف مقالاً عن فاطمة الزهراء ؑ وصاحب المقال يدعي أن الزهراء ؑ كانت امرأة عادلة بسيطة من نساء المسلمين وأنه لم يعرف لها أي نشاط سياسي أو اجتماعي، ويتعجب الكاتب من كون الشيعة يحيطونها من التمجيل والقدسية بما لا تستحقه، ولكن هذا الكاتب لا يلبث وأن يدين نفسه حين يعترف بأن الزهراء اشتراك في فتح مكة وأنها شاركت في حجة الوداع وشاركت في تشيع أبيها ودفنه، نتساءل فهل حجة الوداع وفتح مكة من الأحداث البسيطة العادلة؟! أو أن الكاتب ينسى وقوفها يوم أحد مع رسول الله ﷺ وقيامها بتضميده جراح والدها وزوجها ؑ؟ وكذلك ينسى خطبها العظيمة أمام ذلك الرجل الذي ظلمها، تلك الخطبة التي جمعت فيها كل أركان العقيدة الإسلامية، وكل أبعاد الحضارة الإسلامية، وكذلك جلوسها في مسجد الرسول ﷺ بعد وفاة النبي ﷺ بحيث استطاعت أن تحرك قلوب المسلمين وتفتح عيونهم على ما يجري بين ظهرياتهم، ولكي نعرف أولئك الجهلة على مصادر السنة قبل مصادر الشيعة ليرغبوا من هي الزهراء وما هو فضلها عند الله ورسوله، فليقرؤوا أحاديث النبي الواردة في صحيح البخاري وصحيح مسلم وغيرها: «إن الله ليرضى لرضا فاطمة ويغضب لغضبها».

المواهش:

- (١) نظام حقوق المرأة في الإسلام: ١٨٧.
- (٢) من صفحات الإنترنت.
- (٣) نظام حقوق المرأة في الإسلام: ١٥١.
- (٤) من صفحات الانترنت.
- (٥) نظام حقوق المرأة في الإسلام: ١٥١
- (٦) سورة النساء: ٤.
- (٧) نظام حقوق المرأة في الإسلام : ٣٧٥ - ٣٧٦.
- (٨) سورة النساء: ١١.
- (٩) المرأة ودورها في النهضة الإسلامية: ٢٥ - ٢٦.
- (١٠) جريدة (الوفاق) الإيرانية الصادرة يوم الثلاثاء ١٥-٥-٢٠٠٧م.
- (١١) «هل نحن مسلمون؟» للسيد قطب (نسخة من الانترنت).

نظرة الإسلام للمرأة

قصي الشيخ علي العربي

الحمد لله رب العالمين الذي وضع كل شيء موضعه المناسب بتشريعه الأحكام والقوانين العادلة، والصلوة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد المصطفى عليه وآله المبعوث من قبل الله تعالى ليبين للناس هذه الأحكام والقوانين وسائر المعرف الدينية الأخرى في إطار الدين الإسلامي، والصلوة والسلام على أئمة الهدى وأئمهم الزهراء «صلوات الله عليهم أجمعين» الذين جعلهم الله حماة دينه وناشرى أحكامه.

والإسلام العظيم - كما يعلم قارئي الكريم - شريعة ونظام شامل ومتكملاً يهدف إلى تنظيم حياة الإنسان على وفق ما أراده الله سبحانه وتعالى له، فمن ظهور الإسلام وانتشار تعاليمه السامية دخلت حياة المرأة مرحلة جديدة بعيدة كل البعد عما سبقها.

❖ ما هي المرحلة الجديدة - بعد ظهور الإسلام - في حياة المرأة؟

❖ في مرحلة ظهور الإسلام أصبحت المرأة مستقلةً ومتمنعةً بكل حقوقها الفردية والاجتماعية والإنسانية فمنها:

١- تقوم تعاليم الإسلام بشأن المرأة على أساس الآيات التي ندرسها في هذا المبحث حيث يقول تعالى:

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(١).

يقول الطبرسي تدبر في مجمع البيان: إنه يستفاد من هذه العبارة العجيبة والجامعة

فوائد كثيرة جداً^(٢)، فهي قد جرّت البحث إلى مسائل أهم بكثير من مسائل أخرى، وقررت مجموعة من الحقوق المتبادلة بين الرجال والنساء فتقول: كما أن للرجال حقوقاً على النساء، فكذلك للنساء حقوق على الرجال أيضاً، فيجب عليهم مراعاتها؛ لأن الإسلام اهتم بالحقوق بصورة متعادلة ومتقابلة ولم يتحيز إلى أحد الطرفين، فالمرأة بمحض هذه الآية الشريفة تتمتع بحقوق تعادل ما عليها من واجبات ثقيلة في المجتمع.

٢- اعتبر الإسلام الرجل كالمرأة كائناً ذا روح إنسانية كاملة، وهذا إرادة واختيار، ويطوي طريقة على طريق تكامله الذي هو هدف الخلقة، ولذلك خاطب الرجل والمرأة معاً في بيان واحد حين قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وضع لهما منهجاً تربوياً وأخلاقياً وعلمياً ووعدهما معاً بالسعادة الأبدية الكاملة في الآخرة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾^(٣).

فالقياس عند الله سبحانه وتعالى هو العمل، أما التمايزات المادية والظاهرية - التي تقرها الأنظمة البشرية الفاسدة - فلا معنى لها أبداً.

بلى، هناك أمر واحد يرتكز عليه العمل فلا يقبل إلا به وهو الإيمان، والذين يتوفرون لديهم هذان الشرطان «العمل والإيمان» هم الذين يدخلون الجنة، فيوجد في هذه الآية إشارة للتلازم القائم بين الإيمان والعمل الصالح، ولا فرق في ذلك بين الرجل والمرأة في محضر الله تبارك وتعالى، وفي القيم الإنسانية، ومن هذا المعنى تتضح - لقارئي الكريم - قضية عدالة الله تبارك وتعالى، حيث يقاضي الإنسان بما اكتسبت يداه خيراً أو شراً.

٣- أكد الإسلام العظيم أن الجنسين - أي: الرجل والمرأة - قادران على انتهاج طريق الإسلام للوصول إلى الكمال المعنوي والمادي ولبلوغ الحياة الطيبة المفعمة بالطمأنينة، نظير ما جاء في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنَحْيِيهِ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرُهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٤). يبين القرآن الكريم في هذه الآية الشريفة قانوناً عاماً بالنسبة لنتائج الأعمال الصالحة المرافقة للإيمان التي يؤديها الإنسان وبأية صورة كانت في هذه الدنيا وفي الآخرة.

وعليه - وكما أشرنا فيما سبق - فالقياس وهو الأعمال الصالحة الناتجة عن الإيمان بلا قيد أو شرط، من حيث السن أو الجنس أو المكانة الاجتماعية أو ما شابه ذلك في هذا الأمر.

٤- إن الإنسان يرى المرأة كالرجل إنساناً مستقلأً حرّاً، وذلك جاء في مواضع عديدة من القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾^(٥) فهذه الآية الكريمة تبين لنا قاعدة جارية على كل نفس بدون استثناء أو تمييز بين أبيض وأسود، أو ذكر وأنثى، أو عربي وأعجمي، فلا قيمة أسمى من العمل الصالح، هكذا يشرع الله لعباده، وذلك يعني أن كل الفلسفات الضيقة العنصرية والعرقية والقومية و... و... مرفوضة.

٥- إن الرجل والمرأة متساويان أمام قوانين الجزاء: ﴿الرَّانِيَةُ وَالرَّانِيُّ فَاجْلِدُوَا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ﴾^(٦).

٦- لما كان الاستقلال يستلزم الإرادة والاختيار، فقد قرر الإسلام هذا الاستقلال في جميع الحقوق الاقتصادية، وأباح للمرأة ألوان الممارسات المالية،

وَجَعَلَهَا مَالِكَةً لِأَمْوَالِهَا، يَقُولُ اللَّهُ سَبَّحَنَهُ وَتَعَالَى: ﴿لِلرَّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾^(٧).

كلمة اكتساب - خلافاً لـكلمة كسب - لا تستعمل إلا فيما يعود نتيجةً على الإنسان نفسه.^(٨)

ولو أضفنا إلى هذا المفهوم القاعدة العامة القائلة: «الناس مسلطون على أموالهم» لفهمنا مدى الاحترام الذي أقره الإسلام للمرأة بمنحها الاستقلال الاقتصادي، ومدى التساوي الذي قرره بين الجنسين في هذا المجال.

فالمرأة - في مفهوم الإسلام - ركن المجتمع السياسي، ولا يجوز التعامل معها على أنها موجود تابع عديم الإرادة يحتاج إلى قيم^(٩).

❖ ما هو المفهوم الصحيح للمساواة بين المرأة والرجل؟

❖ طبعاً هنا ينبغي الالتفات إلى مسألة الاختلافات الروحية والجسمية بين المرأة والرجل، وهي مسألة التفت إليها الإسلام بشكل خاص وأنكرها بعضهم منطلقيين من تطرف في أحاسيسهم.

إن أنكرنا كل شيء فلا نستطيع أن ننكر الاختلافات الصارخة بين الجنسين في الناحية الجسمية والناحية الروحية، وهذه مسألة تناولتها تأليفات مستقلة ملخصها: أن المرأة قاعدة انباث الإنسان، وفي أحضانها يتربى الجيل ويترعرع، وهي لذلك خلقت لتكون مؤهلاً جسمياً ل التربية الأجيال، كما أن لها من الناحية الروحية سهماً أو في من العواطف والمشاعر.

وهل يمكن مع هذا الاختلاف الكبير أن ندعى تساوي الجنسين في جميع الأعمال واشتراكيهما المتساوي في كل الأمور؟!

أليست العدالة أن يؤدي كل كائن واجبه مستفيداً من موهبه وكفائه
الخاصة؟!

أليس خلافاً للعدالة أن تقوم المرأة بأعمال لا تتناسب مع تكوينها الجسمي
والروحي؟!

من هنا نرى الإسلام - مع تأكيده على العدالة - يجعل الرجل مقدماً في بعض
الأمور مثل الإشراف على الأسرة و... ويدع للمرأة مكانه المساعد فيها.

العائلة والمجتمع يحتاج كل منهما إلى مدير، ومسألة الإدارة في آخر مراحلها
يجب أن تنتهي بشخص واحد، وإلا ساد الهرج والمرج.
فهل من الأفضل أن يتولى هذه المسؤلية المرأة أم الرجل؟

كل المحاسبات البعيدة عن التعصب تقول: إن الوضع التكويني للرجل يفرض
أن تكون مسؤلية إدارة الأسرة بيد الرجل، والمرأة تعاونه^(١٠).

❖ ما هو المفهوم الذي يستفيده من جملة قوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَة﴾؟ هل يلزم أن يكون الجنسان؟ أي المرأة والرجل متساويان تماماً في
الواجبات والحقوق؟

❖ في الحقيقة إن هذه الجملة من الآية المباركة تكمل القاعدة السابقة في
الحقوق المقابلة بين الرجل والمرأة، وفي الواقع إن مفهومها هو أن مسألة العدالة
بين الرجل والمرأة لا تكون بالضرورة بمعنى التساوي في الحقوق وأن يكونا في
عرض واحد.

ولو أخذنا بنظر الاعتبار الاختلافات الكبيرة بين الجنسين على صعيد القوى
الجسمية والروحية لاتضح الجواب على السؤال.

المرأة بطبيعة مسؤوليتها الحساسة في إنجاب الأبناء وتربيتهم تتمتع بمقدار أوفر من العواطف والمشاعر والإحساسات، في حين أن الرجل وطبقاً لهذا القانون أنيطت به مسؤولية الواجبات الاجتماعية التي تستلزم قوة الفكر والابتعاد عن العواطف والأحساس الشخصية أكثر، ولو أردنا إقامة العدالة فيجب أن تضع الوظائف الاجتماعية التي تحتاج إلى تفكير وتحمل أكثر بعهدة الرجال والوظائف والمسؤوليات التي تحتاج إلى عواطف وإحساسات أكثر بعهدة المرأة، وعلى أي حال فلا يكون هذا مانعاً من تصدّي المرأة للمسؤوليات الاجتماعية المتنوّعة مع قدراتها الجسمية وملكاتها البيولوجية فتؤدي تلك الوظائف والمسؤوليات إلى جانب أداء وظيفة الأمومة في الأسرة.

وكذلك لا يكون هذا التفاوت مانعاً من تفوق بعض النساء من الجهات المعنوية والعلمية والتقوائية على كثير من الرجال.
فما نرى من إصرار أو ما يرد من إشكالات وشبهات وتساؤلات حول مقوله التساوي بين الجنسين في جميع الأمور هو إصرار لا تؤيده الحقائق على أرض الواقع حيث ينكرهن في دعواهم هذه الثوابت العلمية في هذه المجال.

ولا شك ولا ريب أن الحكمـة الإلهية والتدبـير الربـاني يستوجبـان أن يكونـ لكل شخصـ في المجتمعـ وظـائفـ وحقـوقـ معـينةـ منـ قـبـلـ قـانـونـ الخـلـقةـ ويـتنـاسـبـ معـ قـدرـاتـهـ وـقـابـليـاتـ الـجـسمـيـةـ وـالـرـوحـيـةـ، وبـذـلـكـ فـإـنـ الحـكـمـةـ الإـلـهـيـةـ تـسـتـوجـبـ أنـ تـكـوـنـ للـمـرـأـةـ فـيـ مـقـابـلـ الـوـظـائـفـ وـالـمـسـؤـولـيـاتـ الـمـلـقاـةـ عـلـىـ عـاتـقـهـاـ حـقـوقـ مـسـلـمـةـ كـيـماـ يكونـ هـنـاكـ تـعـادـلـ بـيـنـ الـوـظـيـفـةـ وـالـحـقـ.

ولهذا يستفاد من أبحاث العـلامـةـ الـكـبـيرـ آـيـةـ اللهـ الشـيـخـ الجـوـادـيـ الـآـمـلـيـ «ـحـفـظـهـ اللهـ تـعـالـىـ»: إنـ المـرـأـةـ كـذـاتـ لـاـ تـخـلـفـ عـنـ الرـجـلـ، وـلـاـ يـخـلـفـ الرـجـلـ عـنـهـاـ،

ولذلك أفسح المجال لكل منها للوصول إلى مقام الخلافة الإلهية، ولم يكن هذا المكان خاصاً بالرجل، وإنما كان خاصاً بالإنسان، وكما أن الرجل إنسان فالمرأة إنسان، ولا يقل أحدهما في مقام الإنسانية عن الآخر - طبعاً الإنسانية على مستوى الإمكانية؛ لأن الإنسانية الاكتسابية وجودها بالقوة، والإنسانية الإمكانية وجودها فعلي - وهنا يرى الإمام الخميني بأن هدف الإسلام هو صنع الإنسان، وكما أن الرجل أعطي إمكانية الوصول إلى أعلى مراتب الخلافة الإلهية، فكذلك المرأة، لأن هذا المقام لم يلحظ الذكورة والأنوثة، وإنما يلحظ الإنسانية التي يمتلكها الرجل كما المرأة.

ولا سبيل في يوم القيمة للذكورة والأنوثة، حيث لا يضيع الله عمل عامل من ذكر أو أنثى، لا الذكورة تهب الرجل حقاً لا يستحقه، ولا الأنوثة تمنع المرأة حقاً فتبخسه؛ لأن الذي يملك الفاعلية في كليهما هو الروح، والروح لا تصنف بالذكورة ولا الأنوثة، أما البدن ف مجرد مركب تشق فيه الروح عباب بحر الحياة.

﴿ هل توجد - إضافةً لما تقدم - فروقات بدنية ونفسية بين الرجل والمرأة تجعل المؤهلات والإمكانيات الإجرائية لكل منها تختلف عن الآخر؟

❖ طبعاً رأت بعض المذاهب أن المرأة لا تختلف عن الرجل من ناحية العمل الإجرائي، فكل ما يقوم به الرجل تستطيع المرأة أن تقوم به، كما أن كل ما تقوم به المرأة يستطيع الرجل أن يقوم به، حتى أن أبحاثاً قد جرت حول إمكانية أن يقوم الرجل بعملية الحمل التي تقوم بها المرأة، وكذلك فإن رعاية وتربية الأطفال ليس بالضروري أن تكون بالدرجة الأولى من اختصاص المرأة، وغيرها من هذه الأمور،

لكن هذه الآراء وإن أشبعت بحثاً على المستوى النظري، لكنها ثبت فشلها شيئاً فشيئاً على المستوى العملي، والسبب أنها لم تراع الفروقات الموجودة بين الرجل والمرأة.

لكن مذاهب أخرى ذهبت إلى القول بضرورة وجود الاختلاف على المستوى الإجرائي بين الرجل والمرأة، وإن كانت تختلف فيما بينها أيضاً في مدى سعة هذا الاختلاف ونوعيته.

المرأة تزاول من الأعمال ما تمتلك من مؤهلاتها وإمكانياتها، والرجل كذلك يزاول منها ما يمتلك من مؤهلاته وإمكانياته.

ثم يضيف سماحته قائلاً:

وهذا التنوع في الأدوار أمر طبيعي وضروري لا يقتصر على الجانب التشريعي بل يتعداه إلى التكويني في جميع مراافق الكون ومفاصل المادة، فعالם الكثرة والتنوع يقتضي تعدد وتنوع الحاجيات بعكس عالم الوحدة والأحدية، وهذا التنوع في الحاجيات يتطلب تنوعاً في الأدوار؛ لأن الإنسان لا يستطيع أن يقوم لوحده بجميع الأدوار، وبالتالي كان لا بد لكل من مؤهلات تكوينية تجعله مستعداً لأداء الدور الذي أوكل إليه، وفي هذا تعاون واجتماع البشر لأنه وإن كان كل ما في عالم الكثرة تعداداً وكثرةً تكويناً وتشريعياً، لكن الله عزوجل أراد أن يوحى بالكثرة إلى الوحدة، وأن يشير بالتعدد إلى الأحادية⁽¹¹⁾.

﴿إِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ حَامِلاً لِّصَفَاتِ خَلِيفَةِ اللَّهِ، وَكَانَ مَقَامُ الْإِنْسَانِيَّةِ مَنْزَهٌ عَنِ الذُّكُورَةِ وَالْأُنْوَثَةِ، فَلِمَاذَا وَصَلَ أَفْرَادٌ كَثِيرُونَ مِنَ الرِّجَالِ إِلَى هَذَا الْمَقَامِ فِي حِينِ أَنَّهُ قَدْ وَصَلَ إِلَيْهِ أَرْبَعَةٌ مِّنَ النِّسَاءِ فَقَطْ؟﴾

❖ نقول في جواب هذا السؤال إنه:

١- هناك الكثير من النساء اللواتي لم تدون فضائلهن في التاريخ.

٢- هؤلاء الأفراد الأربع لسن بياناً على سبيل الانحصر.

٣- إذا كان المجتمع مجتمعًا راشدًا فإنه يسعى لأن يضع إمكانات الترقى والسعادة في اختيار كلا الصنفين، وإذا كان المجتمع متخلفًا فيجب ألا ينسب هذا التحجر الفكري الاجتماعي إلى الدين؛ لأن الدين العظيم قد فتح الطريق أمام الصنفين، ولم يكن الكمال بأي حال من الأحوال مشروطاً بالذكورة وممنوعاً بالأئنة، واحتراط الذكورة بالأقسام الإجرائية سوف يطرح في الأبحاث الفقهية، وستتبين الإجابات المناسبة لها، بإذن الله تعالى^(١٢).

❖ هل تهمل مسألة الذكورة والأئنة في يوم القيمة؟

❖ بدأ القرآن الكريم الكلام حول محور الخلافة في بدء وجود الإنسان ولم يكن للخلافة امرأة ورجل، فإنه في نهاية وجوده وفي ختام العالم أيضاً عندما يطرح مسألة المعاد، ومسألة مواقف القيامة، ومسألة البرزخ والحضر، ومسألة السؤال والجواب، والكتاب وزن الأعمال، والعبور على الصراط، والكوثر ومثلها...، فإنه لا يفرق في أي حال من الأحوال بين الرجل والمرأة، وفي جميع هذه الموارد فإن كلام الرجل والمرأة هما مع بعضهما البعض، وحتى هذه المسألة التي جاءت في بعض الروايات أن أهل الجنة يقولون:

«يا معاشر الخلق، غضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة عليها السلام بنت

محمد صلوات الله عليه وآله»^(١٣).

غضوا أبصاركم، لأنكم من غير المحارم إجازة لرؤيتها، فلا كلام هناك عن

التكليف ولا كلام عن الحرمة والحلية أو الجواز وعدم الجواز، بل إن هذا أمر تكوبني، أي أنه عندما تمر هذه السيدة مع ذلك الجلال وتلك العظمة فإن أهل المحسن ليس لهم القدرة على رؤيتها وإن نور أعينهم سوف يطفأ، ولن تكون لهم القدرة على مشاهدتها؛ لذلك يقال: «يا أهل المحسن غضوا أبصاركم»؛ لأن فاطمة الزهراء عليها السلام تريد أن تجوز.

إن ما جاء في الرواية أن لحضرية الزهراء عليها السلام عبادة بحيث إنها يمكن أن تصل إلى يد جميع أهل المحسن وأنهم يستطيعون أن يستفيدوا من نسيج هذه العبادة العظيمة، طبعاً ليس بمعنى أن العبادة قد نسجت بخيط الصوف أو القطن وأمثال ذلك وأن حضرية الزهراء عليها السلام قد ليسته وهي تعتبر به، بل هو فقط لباس الرحمة ومقام الولاية الشامخ، الذي يكون محيطاً، هم مظهر: ﴿رَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(١٤) وسعة تلك الرحمة تصل إلى الجميع، وإنما يكون عبادة ظاهراً فهو ليس من الحرير أو القطن وأمثالهما، هم وإن قالوا هذا الحديث بلغتنا ولنا، فإن المقصود من ذلك اللباس هو الرحمة التي سوف تكون على سعة جميع أهل المحسن^(١٥).

✿ ما هي قدرة الروح الإنسانية في بحثنا؟

❖ قبل أن نجيب على هذه السؤال أود الإشارة إلى مسألة تمهدية وهي أن حجم دماغ المرأة أو وزن دماغها أقل من حجم وزن دماغ الرجل، وبناءً على هذا فإن القدرة الفكرية التي يملكتها الرجل لا تملكتها المرأة لأن الدماغ آلة الفكر وعندما تكون الآلة ضعيفة فإن ما هو مطلوب عبر الآلة سوف يكون ضعيفاً. هذا البيان وإن كان يظهر في أول الأمر أنه تام، ولكن سوف يتضح بعد

الدخول في فصل البحوث العقلية أن الإنسان وإن كان يملك بدنًا وروحًا ولكن ليس على نحو تكون فيه الروح في رباط البدن، بل إن البدن هو الذي يكون في رباط الروح، فالحقيقة كل الحقيقة نفهم من هذا المعنى: أن البدن لا يصنع الروح بل الروح هي التي تصنع البدن.

إذا كانت الروح قوية فإنها تستطيع أن تصنع آلة قوية، وإذا كانت الروح ضعيفة فإنها لا تمتلك القدرة على صنع آلة قوية.

نقل المرحوم الصدوق في الكتاب الشريف الأمالي والمرحوم الحكيم الطوسي وأيضاً كبار أهل الحديث والحكمة أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عندما اقتحم باب خير ورماه بعيداً قال:

«ما قلعت بباب خير ورميت به خلف ظهري أربعين ذراعاً بقوة جسدية ولا حرفة غذائية لكنني أيدت بقوة ملكوتية ونفس بنور ربها مضيئة»^(١٦).

قال عليه السلام: أنا لم أقم بهذا العمل بسواعد قد تغذت واشتدت من وراء سفرة الطعام، بل قد أنجزت هذا العمل بقدرة إلهية، وعلى كل حال يمكن أن نقول إنه قد قام بهذا العمل بصرف الإرادة ويمكن أن نقول إنه قد قام بهذا العمل باليد، فضلاً عن الإرادة، وعلى كل صورة لم يكن هناك قدرة مطبخية كما أن قدرة الروح الإنسانية ليست من المطبخ، وقدرة الأنبياء أيضاً لم تكن من المطبخ، وبناءً على هذا ليس لديها عمل مع الطعام والأجزاء العنصرية والمادية؛ لذلك فإن ذلك العمل الذي أنجز من تلك السيدة النموذجية - أي حضرية فاطمة الزهراء عليها السلام - لا ينجز من أي رجل غير الإنسان الكامل، أي الأنبياء العظام والعترة الطاهرة، والروح هي التي تعطي القدرة لهذا الدماغ^(١٧).

✿ ما هي قصة المرأة في التاريخ؟ وما هي حقوقها المهدورة؟

❖ عانت المرأة خلال العصور التاريخية المختلفة ألواناً من الظلم والاضطهاد والتعسف، ويشكل هذا التاريخ المؤلم المر جزءاً هاماً من الدراسات الاجتماعية. وبشكل عام يمكن تقسيم تاريخ حياة المرأة إلى مراحلتين:

المرحلة الأولى: مرحلة ما قبل التاريخ، وليس لنا معلومات صحيحة عن وضع المرأة في هذه المرحلة، ومن الممكن أن تكون قد تمت آنذاك بحقوقها الإنسانية الطبيعية.

والمرحلة الثانية: هي المرحلة التي تسمى بمرحلة التاريخ، وقد كانت المرأة خلالها في كثير من المجتمعات شخصيةً غير مستقلة في جميع الحقوق الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، واستمر هذا الوضع في قسم من المجتمعات حتى القرون الأخيرة.

هذا اللون من التفكير بشأن المرأة مشهودٌ حتى في القانون المدني الفرنسي بتقدميته، على سبيل المثال نشير إلى بعض فقراته المتعلقة بالشؤون المالية للزوجين: يستفاد من المادتين ٢١٥ و ٢١٧ أن المرأة المتزوجة لا تستطيع بدون إذن زوجها وتوقيعه أن تؤدي أي عمل حقوقي، وتحتاج في كل معاملة إلى إذن الزوج، هذا إذا لم يرد الرجل أن يستغل قدرته وأن يمتنع عن الإذن دون مبرر.

وبحسب المادة ١٢٤٢ يحق للرجل أن يتصرف لوحده بالثروة المشتركة بين المرأة والرجل بأي شكل من الأشكال، ولا يلزمها استئذان المرأة بشرط أن يكون التصرف في إطار الإرادة، وإلا لزمت موافقة المرأة وتوقيعها، وأكثر من ذلك ورد في المادة ١٤٢٨: إن حق إدارة جميع الأموال الخاصة بالمرأة موكول إلى الرجل، على أن المعاملة الخارجية عن حدود الإدارة تتطلب موافقة المرأة وتوقيعها.

وفي أرض الرسالة الإسلامية - أي الحجاز - كانت المرأة تعامل معاملة الكائن

غير المستقل، وكانوا يستثمرونها بشكل فظيع قريب من حالة التوخش.
وبلغ وضع المرأة من الانحطاط بحيث إن صاحبها كان يستفيد منها للارتزاق
أحياناً، فيعرضها للإيجار.

وما كان يعانيه هؤلاء من فقر حضاري وفقر مادي جعل منهم قساة لا يتورعون
عن ارتكاب جريمة الْوَادِ بحق الأُنْثَى^(١٨).

﴿ هل هناك تلازم بين الحق والوظيفة؟ ﴾

❖ يشير القرآن الكريم إلى أصل وأساس، وهو أنه كلما كانت هناك وظيفة
ومسؤولية كان هناك حق إلى جانبها، يعني أن الوظيفة والحق لا ينفصلان أبداً،
فمثلاً إن على الوالدين وظائف بالنسبة للأولاد، وهذه الوظائف تسبب إيجاد حقوق
في عهدة الأولاد، أو إن القاضي موظف في تحقيق العدالة في المجتمع ما أمكنه
ذلك، وفي مقابل هذه الوظيفة والمسؤولية له حقوق كثيرة في عهدة الآخرين،
وهكذا بالنسبة إلى الأنبياء عليهما السلام وقومهم.

ففي قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرَبْصُنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُونَ وَلَا يَحْلُّ لَهُنَّ
أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعُولَتِهِنَّ
أَحَقُّ بِرَدْهَنَ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الدِّيْنِ عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ
وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١٩) إشارة إلى هذه الحقيقة، حيث
تقول إن النساء لهن من الحقوق بمقدار ما عليهن من الواجبات والوظائف، وهذا
التساوي بين الحقوق والواجبات يسهل عملياً إجراء العدالة في حقهن، وكذلك
يثبت عكس هذا المطلب أيضاً، فمن جعل له حقاً ففي مقابلة عليه واجبات
ومسؤوليات لا بد من أدائها؛ ولذلك لا نجد أحداً له حق من الحقوق في أحد

الموارد وليس في ذمته وظيفة ومسؤولية^(٢٠).

✿ ما هي السورة القرآنية التي تضمنت أبحاثاً كثيرةً ومفصلةً حول أحكام المرأة وحقوقها؟

❖ اختار القرآن الكريم اسم النساء على السورة التي تعتبر من حيث عدد الكلمات والأحرف أطول سور بعد سورة البقرة، وتحتوي على «١٧٦» آية، وسميت بسورة النساء لأنها تتحدث عن حقوق المرأة في بدايتها، ثم عن علاقة المرأة بالرجل، وعن جوانب من حياة المرأة.

وبما أن المرأة حسب النظرية الإسلامية تعتبر وجه حضارة البشر، والتي تعكس مدى التزام الحضارة بالقيم السامية التي تأمر بالمحافظة على حقوق الضعفاء؛ ولأن الإسلام يوليه اهتماماً كبيراً كان من المفروض أن يعالج موضوعها في سورة من القرآن، وكانت سورة النساء بحكم موضوعها الاجتماعي أفضل موقع للحديث عنها.

فهذه السورة الشريفة تحتوي على موضوعات مهمة، فعندما نزلت في المدينة وكان النبي الأكرم ﷺ مقبلاً على تأسيس حكومة إسلامية وتكونين مجتمع إنساني قويم، نزلت وهي تحمل جملةً من القوانين التي لها أثرٌ كبيرٌ في إصلاح المجتمع، وإيجاد البيئة الاجتماعية السالمة.

وعلى العموم فإن هذه السورة المباركة تحدثت عن موضوع بحثنا المتواضع، سائلًا العلي القدير التوفيق والتسديد، لتوسيع وبيان التفسير الموضوعي للآيات المتعلقة بالمرأة وحقوقها، من خلال هذه السورة المباركة، بعد الاستفادة من التفاسير العظيمة لعلمائنا الأعلام.

﴿ كَيْفَ كَانَ زَوْجُ أَبْنَاءِ آدَمَ وَحَوَّاءً؟ هَلْ كَانَ الْأَخْ يَتَزَوَّجُ أَخْتَهُ أَمْ مَاذَا؟ ﴾

❖ قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾^(٢١).

يستفاد من هذه الآية الشريفة أن انتشار نسل آدم عليه السلام وتکاثره قد تم عن طريق آدم وحواء فقط، أي بدون أن يكون لموجود ثالث أي دخالة في ذلك.

وبعبارة أخرى: إن النسل البشري الموجود إنما ينتهي إلى آدم وزوجته من غير أن يشار كهما في ذلك غيرهما من ذكر أو أنثى.

وهذا يستلزم أن يكون أبناء آدم إخوة وأخوات قد تزاوجوا فيما بينهم؛ لأنه إذا تم تکثير النسل البشري عن طريق تزويجهم بغيرهم لم يصدق ولم يصح قوله:

﴿ مِنْهُمَا ﴾.

وقد ورد هذا الموضوع في أحاديث متعددة أيضاً، ولا داعي للتعجب والاستغراب إذا لاحظنا الاستدلال الذي جاء في طائفة من الأحاديث المنقوله عن أهل البيت عليهما السلام أن هذا النوع من الزواج كان مباحاً لم يرد بعد حكم بحرمة تزوج الآخر بأخته.

ومن البديهي أن حرمة شيء تتوقف على تحريم الله سبحانه وتعالى له، فما الذي يمنع من أن توجب الضرورات الملحة والمصالح المعينة أن يبيح شيئاً في زمان، ويحرمه بعد ذلك في زمن آخر؟!
وللتوضيح هذا الرأي نقول:

لم يكن آنذاك حكم بحرمة الزواج، وحيث لم يكن من سبيل لحفظ النسل

سوى ذلك فقد وقع زواج الأخ من الأخت، طبعاً ﴿إِنَّ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾^(٢٢). فما الضير في أن تباح تلك المسألة مؤقتاً لجماعة وتحرم بعد ذلك أبداً على الجميع؟! والدليل القرآني الذي ذكره أصحاب هذا الرأي قوله تعالى:

﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ فظاهر الآية أن النسل البشري كان بوسيلة هذين الفردين، ولو كان غير ذلك لقال: «وبث منها ومن غيرها»، أصف إلى ذلك الرواية عن الإمام السجاد عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ والتي ذكرها المرحوم الطبرسي في تأييد هذه الرأي.

غير أنه قد صرخ في أحاديث أخرى بأن أبناء آدم لم يتزوجوا بأخواتهم، وتحمل بشدة على من يرى هذا الرأي ويذهب هذا المذهب.

ولو كان علينا عند تعارض الأحاديث أن نرجح ما وافق منها ظاهر القرآن لوجب أن نختار الطائفة الأولى؛ لأنها توافق ظاهر الآية الحاضرة كما عرفت قبل هذا.

هذا ويوجد احتمال آخر يقول: إن أبناء آدم تزوجوا بمن تبقى من البشر الذين سبقو آدم ونسله؛ لأن آدم - حسب بعض الروايات - لم يكن أول إنسان سكن الأرض، بل كان قبله الكثير من الناس.

وقد كشفت الدراسات والتحقيقات العلمية اليوم أن النوع الإنساني كان يعيش في الأرض منذ عهد ضارب في القدم، في حين لم يمر على تاريخ ظهور آدم عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ في الأرض زمن طويل، فلا بد إذن من القبول بالنظرية التي تقول: بأنه كان يعيش في الأرض قبل آدم بشر آخرون قارن غياب آخر بقائهم ظهور آدم، مما المانع من أن يكون أبناء آدم قد تزوجوا ببقايا النوع البشري السابق الذي كان في أواخر انقراضه؟

ولكن هذا الاحتمال هو أيضاً لا يتوافق وظاهر الآية الحاضرة، وهذا البحث يحتاج إلى توسيع أكثر لا يسعه هذا المجال^(٣٣).

﴿ما زادكم من نفوس واحدةٍ وَ خَلَقَ مِنْهُمَا زَوْجَهَا وَ بَثَ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَ نِسَاءً﴾؟ أي: نريد أن نفهم كيف خلق الله زوج الإنسان من نفسه؟ وهل يعني هذا أن الإنسان الأول كان ذا طبيعة مزدوجة، ثم انفصلت طبيعة الذكر عن طبيعة الأنثى في سائر الأجيال؟ أم هل يعني هذا أن الله خلق آدم عليه السلام ثم انتزع من أصلعه صلصالاً وخلق منه حواء؟

﴿لا نعلم حقيقة ذلك، ولكن هذا التعبير يوحى بفكرة علمية تهمنا في تلاوة آيات القرآن الكريم، وهي أن الذكر والأخرى جنس واحد، وليس الأخرى أقل شأناً من الذكر، لا في الطبيعة ولا في منهج الله، وقد تكررت في آيات القرآن هذه الفكرة مثل قوله تعالى:

﴿خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً﴾^(٤٤).

من هنا نسف القرآن الكريم الفكرة العنصرية الجنسية التي تقول: إن للذكر سلطة مطلقة على الأنثى بسبب أنه من جنس أعلى - كما يقولون - والفارق بينه وبينها يشبه تماماً الفارق بين الإنسان والحيوان!! لقد نسف القرآن الكريم هذه الفكرة وبين أن كل الحواجز بين الناس مصطنعة، ولا رصيد لها من الحق أبداً^(٤٥).

﴿ما هو توضيح قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خَفْتُمُ الْأَنْتَامِ فَانكحُوهُ مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَشْنَى وَ ثَلَاثَ وَ رَبْعَةَ إِنْ خَفْتُمُ الْأَنْتَامِ تَعْدِلُوهُمْ﴾ ما هو توضيح قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خَفْتُمُ الْأَنْتَامِ فَانكحُوهُ مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَشْنَى وَ ثَلَاثَ وَ رَبْعَةَ إِنْ خَفْتُمُ الْأَنْتَامِ تَعْدِلُوهُمْ﴾

فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا ﴿١﴾ وَمَا هُوَ سبب نزول هذه الآية؟

❖ نذكر أولاً سبب نزول الآية الكريمة ثم توضيحها:

لقد نقل لهذه الآية سبب نزول خاص، فقد كان المتعارف في العهد الجاهلي قبل الإسلام أن يتکفل أغلب الناس في الحجاز أمر اليتيمات، ثم يتزوجون بهن، ثم يمتلكون أموالهن، وربما ينكحوهن بدون صداق أو بصدق أقل من شأنهن، بل وربما يترکوهن لأدنى سبب أو كراهيّة بكل سهولة، وبالتالي لم يكونوا يعطونهن ما يليق بهن - كزوجات - بل وحتى كبقية النساء العاديّات من الاحترام والمكانة، فنزلت هذه الآية توصي أولياء اليتيمات إذا أرادوا الزواج بهن أن يلاحظوا جانب العدل معهن، وإلا فليختاروا الأزواج من غيرهن ^(٢٦).

يقول سبحانه في هذه الآية: **﴿وَإِنْ خَفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوهُمَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرَبِيعَ﴾**، وقد جاء هذا الكلام بعد ما جاء في الآية السابقة من الحث على حفظ أموال اليتامي من التلف وعدم التفريط فيها، فجاءت هذه الآية لتنوه بحق آخر من حقوقهم، وهو هذه المرة يتعلق باليتيمات خاصة.

جاء في تفسير الأمثل: بملحوظة ما ذكرناه في سبب النزول يتضح تفسير هذه الآية والمراد منها، كما يتضح الجواب أيضاً على السؤال المطروح هنا وهو: لماذا تبتدئ الآية بذكر اليتامي، وتنتهي بمسألة الزواج؟! ويرتفع ما قد يتوجه من المنافاة بين تلك البداية، وهذه النهاية فالبداية والنهاية كلتاها تتعلقان بمسألة الزواج، غاية ما في الباب أن الآية تقول: إذا لم يمكنكم الزواج باليتيمات ومعاشرتهن على أساس من العدل والقسط فالأفضل أن تتركوا الزواج بهن، وتتزوجوا بغيرهن من

النساء تجنبًا لظلم اليتيمات والإجحاف بحقوقهن، والجور عليهم.

❖ ما هي فلسفة تعدد الزوجات في الإسلام؟

❖ فلسفة تعدد الزوجات في الإسلام هي من أجل حل بعض المشاكل الاجتماعية.

فمنها: لحل مشكلة اليتيم وضع الإسلام حلاً اجتماعياً هو الزواج بالأرملة، أي: صاحبة الأيتام.

ذلك أنه لا يوجد شاب يقدم على الزواج ابتداءً من أرملة عجوز، إلا إذا جعلها زوجته الثانية لكي يسترها ويحافظ على حقوقها وحقوق أبنائها؛ لأن الزواج من الأم يعطي الزوج دافعاً نفسياً إلى المحافظة على حقوق أولادها اليتامي، باعتبار أنهم سوف يصبحون كأولاده بالنسبة، وسوف ينفعونه عند الكبر، ويرفعون اسمه عند الناس وهكذا.

من هنا ربط القرآن الكريم بين الخوف من ظلم اليتيم وبين تعدد الزوجات فقال:

﴿وَإِنْ خَفْتُمُ الَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوهُمَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ مَئْنَى وَثَلَاثَ وَرَبِيعَ﴾^(٢٧).

ثم عاد وحذر من الزواج بنية سيئة، أو مع عدم القدرة على الوفاء بحقوق الزوجية فقال:

﴿فَإِنْ خَفْتُمُ الَّا تَعْدُلُوا فَوَاحِدَةَ﴾.

وعدم العدالة قد يكون بالاهتمام بزوجة وترك الآخريات كالمعلمات لا يحظين بحقوق الزوجية الجنسية والاقتصادية، ولا هنّ مطلقات حتى يتزوجن غيره. فالآية الشريفة تريد أن تقول: إن التزوج بأكثر من زوجة إنما يجوز إذا أمكن

مراعاة العدالة الكاملة بينهن، أما إذا خفتم أن لا تعدلوا بينهن، فاكتفوا بالزوجة الواحدة لكي لا تجوروا على أحد.

ومن الناس من يتزوج أرملةً بهدف التهام أموالها ثم يتركها تعاني الأمرَين، ولقد حذر القرآن الكريم من ذلك وأمر هؤلاء بالاقتصار على زوجة واحدة.

ثم يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم﴾، أي: يجوز أن تقتصروا على الإمام اللاتي تملكونهن بدل الزوجة الثانية، فيمكنكم التسريح بالإمام بهدف تفريغ الشهوة الجنسية، ومن جانب آخر يفتح طريق اللذة الحلال بالزواج أو الملك. وهنا ملاحظة، وهي أن الزواج بالإماء المملوکات بدل الزوجة الثانية باعتبار أنهن أخف شروطاً، طبعاً وإن كن يجب أن يحظين ويتمتعن بما لهن من الحقوق أيضاً^(٢٨).

ثم قال تعالى:

﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَلَا تَعُولُوا﴾، أي أن هذل العمل - وهو الاقتصار على زوجة واحدة أو الاقتصار على الإمام وعدم التزوج بزوجة حرة ثانية - أحرى بأن يمنع من الظلم والجور، ويحفظكم من العداون على الآخرين.

وبتعبير أجل لآلية الكريمة نقول: إن الاكتفاء بزوجة واحدة، أو بالتسري بالإماء، يمنع الميل عن الحق إلى الباطل، بينما تعدد الزوجات قد يتسبب في الظلم والفقر والمسكنة^(٢٩).

❖ ما هو المراد من قوله تعالى في الآية الكريمة: ﴿مَثْنَى وَثُلَاثَةٍ وَرَبِيعَ﴾؟

❖ تعني مثنى في اللغة اثنين اثنين، وثلاثة أي: ثلاثة ثلاثة، ورابع أي: أربعاً أربعاً، وحيث إن الخطاب في هذه الآية الشريفة موجه إلى المسلمين كافة، كان

المعنى: إن عليكم أن تصرفوا عن الزواج بالبيتات تجنباً من الجور عليهم، وأن تتزوجوا النساء اللاتي لا تسمح مكانتهنّ الاجتماعية والعائلية بأن تجوروا عليهم، وتظلموهنّ، ويجوز لكم أن تتزوجوا منها باثنتين أو ثلاث أو أربع، غاية ما في الأمر حيث إن الخطاب هنا موجه إلى عامة المسلمين، وكافتهم عبر بالمشى، والثلاث، والرابع إذ لا شك في أن تعدد الزوجات - بالشروط الخاصة - لا يشمل أكثر من أربع نساء.

ولا بد من التنبيه هنا إلى هذه النكتة وهي أن الواو هنا أتت بمعنى «أو»، فليس معنى هذه الجملة هو أنه يجوز لكم أن تتزوجوا باثنتين وثلاث وأربع ليكون المجموع تسع زوجات؛ لأن المراد لو كان هذا لوجب أن يذكر ذلك بصراحة فيقول: وانكحوا تسعًا، لا أن يذكره بهذه الصورة المتقطعة المبهمة.

هذا مضافاً إلى أن حرمة الزواج بأكثر من أربع نسوة من ضروريات الفقه الإسلامي، وأحكامه القطعية المسلمة.

وعلى كل حال فإن الآية الحاضرة دليلٌ صريحٌ على جواز تعدد الزوجات، طبعاً بشروط قد تم ذكر بعضها وسيأتي ذكرها مفصلاً ومضافةً لشروط أخرى إن شاء الله تعالى في الدراسات القادمة، فإليك - عزيزي القارئ - هذا السؤال أولاً:

﴿ ما هو المقصود من العدل بين الزوجات؟ ﴾

❖ قبل الخوض في بيان فلسفة تعدد الأزواج في الشريعة الإسلامية يجب أن يتضح أولاً المراد من العدل بين الأزواج الذي هو من شروط جواز التعدد، فما هو المقصود من العدل هنا يا ترى؟

أهي العدالة في الجوانب المادية كالمضاجعة وتوفير وسائل العيش وتحقيق الرفاه والمتطلبات المعيشية؟

أم أن المراد أيضاً هو العدالة في نطاق القلب والعواطف والأحساس الإنسانية؟
وبعبارة صريحة: العدالة في الحب والرغبة، مسافاً إلى العدالة في الجوانب
المادية؟

لا شك أن مراعاة العدالة في الميل القلبي والحب رغبة شيءٌ خارج عن نطاق
القدرة البشرية.

فمن ذا يستطيع أن يضبط حبه من جميع الجوانب؟! يعطيه الحجم الذي يريد،
والحال أن موجباته وعوامله خارجة عن نطاق قدرته، وإطار إرادته؟
ولهذا لم يوجب سبحانه مراعاة مثل هذه العدالة حيث قال سبحانه في نفس
هذه السورة - أي النساء - ﴿وَلَن تَسْتَطِعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ
حَرَصْتُمْ﴾^(٣٠)، أي: لا يمكنكم مهما أردتم أن تعدلوا بين الأزواج في الميل القلبي،
والحب والمودة.

إذن فلا ضير في الحب والميل القلبي الذي لا يوجب تفضيل بعض الأزواج
في المواقف العملية، وعلى هذا الأساس فإن ما يجب على الرجل مراعاته هو
العدالة بين أزواجه في الجوانب العملية الخارجية؛ أي في نوع التعامل العملي
خاصةً؛ إذ يستحيل مثل هذه المراعاة في المجال العاطفي.

فالآية الشريفة تريد أن تقول: على الرجل ألا يحرص في الزواج بأكثر من امرأة
واحدة لأن الواجب الشرعي عليه يقضي آنذاك أن يعدل بينهما، وبما أن ميل الشخص
سيكون بالطبع إلى الحسنى منهمما، فلذلك من الصعب أن يقيم العدل في التعامل
معهما، وسيؤدي ذلك بطبيعة الحال إلى ترك واحدة منهما وإهمالها، حتى تصبح
كالمعلقة، فلا هي زوجة تتمتع بحقوق الزوجية ولا هي مطلقة فتكيف حياتها
حسب إرادتها.

﴿وَلَن تَسْتَطِعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾

إلى الزواج بل أجعلوا الزواج من الثانية حسب المصلحة أو الضرورة فقط.

فمثلاً: إذا وجدتم أرملة تحتاج إلى كنف الزوجية، وليس لها من يتکفل بها فتزوجوا منها، أو إذا كان عدد النساء أكبر بكثير من الرجال لسبب أو آخر، مما يشكل مشكلة اجتماعية - لو لا تعدد الزوجات - وإذا كانت الزوجة الأولى عقيم أو مريضة أو مسنة بحيث لا تستطيع الوفاء بحقوق الزوجية وهكذا.

أما في الحالات العادلة التي يكون الزواج بالثانية شهوة جنسية بحثة أو تفتناً في المتعة المجردة، فإن العاقبة المنتظرة هي إهمال إحداهما مما يشكل خرقاً لحقوقها.

﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوهَا وَتَتَقْوَى فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾^(٣١).

أي أن الزواج بالثانية ليس حراماً حتى ولو كان لمجرد المتعة أو الشهوة الجنسية، ولكن بشرط الإصلاح الدائم للعلاقة بين الاثنين معاً، وبشرط التقوى والتحذر من سحق حقوق واحدة منهمما تحت ضغط العاطفة.

من هذا الكلام يتضح بجلاء أن الذين أرادوا من ضمن قوله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾^(٣٢) أن يستنتجو حرمة تعدد الأزواج مطلقاً بحججة استحاله مراعاة العدالة بينهن قد وقعوا في خطأ كبير؛ لأن العدالة المستحيلة مراعاتها - كما أسلفنا - هي العدالة في المجال العاطفي، وليس هذا من شرائط جواز التعدد في الأزواج، بل إن من شرائط جوازه هو مراعاة العدالة في المجال العملي.

وللتوضيح نقول: لا شك في أن المراد من العدل في الآية الكريمة هو العدالة في مقام العمل، أي: عدم الإجحاف وظلم النساء فيما يخص الحقوق الزوجية والأسرية، وإلا فإن المودة والحب الباطني والقلبي لا يمكن السيطرة عليه بشكل

كامل، وبتعبير آخر: إن الرجل المتعدد الزوجات مكلفٌ بالتزام العدالة بين زوجاته، فمثلاً عليه أن يوفر الطعام والملابس والسكن لهن على حد سواء، وإن كان يحب إحداهن أكثر قليلاً بسبب جمالها وكمالها الظاهري أو الباطني.

بناءً على هذا إن الله سبحانه وتعالى لم يكلف الرجل ولم يطالبه بأن يساوي بين زوجاته في المحبة، وفي نفس الوقت لم يسمح له بأن يمارس الظلم بحق الزوجة التي يوليه حباً أقل في مقام العمل وفي مجال الحقوق الأسرية والزوجية ويهملها ولا يعني بها وكأنها امرأة بلا رجل^(٣٣). وخلاصة القول و نتيجته هي أن الذين أمسكوا بقسم من هذه الآية ونسوا القسم الآخر وتورطوا في رفض تعدد الزوجات في خطأ يدهش كل محقق، ويستغرب منه كل باحث.

أضف إلى ذلك أن مسألة جواز تعدد الأزواج بشرائطها على درجة من الثبوت والوضوح في الفقه الإسلامي ومصادره الشيعية والسننية بحيث لا يبقى مجال للجدل، ولا محل للنقاش، بل هو من ضروريات الفقه الإسلامي و المسلمينه وبديهياته.

المواهش:

- (١) سورة البقرة من الآية .٢٢٨
- (٢) مجمع البيان، ج ١، ص .٣٢٧
- (٣) سورة غافر: .٤٠
- (٤) سورة النحل: .٩٧
- (٥) سورة المدثر: .٣٨
- (٦) سورة النور: .٢
- (٧) سورة النساء: .٣٢
- (٨) راجع مفردات الراغب، هذا طبعاً حين تقابل كلمتي: كسب و اكتساب.

- (٩) تفسير الأمثل بتصرف، ج ٢، ص ١٠٥
- (١٠) نفس المصدر بتصرف.
- (١١) استخدنا هذه المعارف العظيمة من خلال ابحاث العارف الجليل سماحة الله الشيخ الجوادى الاملى
حفظه الله تعالى من اشرطه التسجيل، بتصرف
- (١٢) نفس المصدر بتصرف.
- (١٣) بحار الانوار، ج ٤٣، ص ٢٢١، حديث ٤.
- (١٤) سورة الاعراف: ١٥٦.
- (١٥) نفس المصدر بتصرف.
- (١٦) بحار الانوار: ج ٢١، ص ٢٦
- (١٧) من ابحاث سماحة الشيخ دام ظله نقلناها بتصرف.
- (١٨) تفسير الأمثل بتصرف، ج ٢، ص ١٠٤.
- (١٩) سورة البقرة: ٢٢٨
- (٢٠) تفسير الأمثل بتصرف، ج ٢، ص ١٠٤.
- (٢١) سورة النساء: ١.
- (٢٢) سورة يوسف: ٤٠
- (٢٣) سورة النساء: ١ ، بتصرف في تفسير الأمثل.
- (٢٤) سورة الروم: ٢١.
- (٢٥) تفسير هدایت، حول الآية الأولى من سورة النساء (بتصرف).
- (٢٦) مجمع البيان، ج ٣ ، ٥ و ٦ (بتصرف).
- (٢٧) سورة النساء: ٣.
- (٢٨) تفسير الأمثل ، ج ٣، ص ٩١ (بتصرف).
- (٢٩) نفس المصدر (بتصرف)
- (٣٠) سورة النساء: ١٢٩
- (٣١) سورة النساء: ١٢٩
- (٣٢) سورة النساء: ٣.
- (٣٣) سورة النساء: ١٢٩

كيف يكون الطفل مبتهاً؟

السيد عباس جعفر شبر

كلنا يعرف مدى أهمية الإبداع بشكل عام، وكيفية تأثير ذلك المفهوم على حياة الطفل بشكل خاص.

فعندما يعيش التميز في مراحل النمو، ندرك تباعاً أن شأن ذلك الطفل في الأيام القادمة هو المزيد من التقدم والتألق.

وبناءً على أهمية هذا الموضوع سعيت جاهداً أن أتبع الآليات التي تمكنا من استنطاق الإبداعات الكامنة في العقل الباطن والتي قد يغفل المربى عن ضرورة البحث عن هذه الأدوات، ربما لعدم معرفته بها، أو لعدم وجود الوقت الكافي للمطالعة من هنا أو هناك فيكون ضياع ذلك الإبداع المستقبلي نتيجة هجرانه للتربية السليمة للطفل منذ نعومة أظافره، مما يسبب له انتكاسةً حقيقةً على المستوى التكويني والمعنوي.

المرحلة الأولى:

الإبداع:

الإبداع لغة:

الإبداع في اللغة: هو الاختراع والابتكار على غير مثال سابق. وبصورة أوضح: هو إنتاج شيء جديد لم يكن موجوداً من قبل على هذه الصورة.

وقد عرفت الموسوعة البريطانية الإبداع على أنه: القدرة على إيجاد حلول لمشكلة أو أداة جديدة أو أثر فني أو أسلوب جديد.

الإبداع اصطلاحاً:

كما أنه لا يمكننا إلا أن نبرز التعريفات المشهورة للإبداع وقد عرف العالم (جوان) «owan» الإبداع على أنه: مزيج من القدرات والاستعدادات والخصائص الشخصية التي إذا وجدت بيئة مناسبة يمكن أن ترقى بالعمليات العقلية لتؤدي إلى نتائج أصلية ومفيدة للفرد.

كما أن العالم (تورانس) «torance» قد عرفه بكونه: «عملية وعي بمواطن الضعف وعدم الانسجام والنقص بالمعلومات والتنبؤ بالمشكلات والبحث عن حلول، وإضافة فرضيات واختبارها، وصياغتها وتعديلها باستخدام المعطيات الجديدة للوصول إلى نتائج جيدة لتقدير الآخرين».

كما أن هنالك العديد من التعريفات نذكر منها:

* الإبداع عملية تثمر ناتجاً جديداً وغير عادي يتقبله المجتمع لفائدة.

* الإبداع هو التميز في العمل أو الإنجاز بصورة تشكل إضافةً إلى الموجود بطريقة تعطي قيمة أو فائدة إضافية.

* الإبداع هو إيجاد علاقة بين مجموعة أشياء ليس بينها علاقة في الأصل.

* ويعرف الإنسان المبدع على أنه: هو الذي يتطرق إلى شيء ما، لم يسبق لأحد أن تطرق إليه. وعلى هذا الأساس تمت دراسة شخصية (نيوتون) وغيره من العلماء الذين ابتكرروا نظريات علمية مختلفة.

* ونقول وبالله المستعان: إن كل هذه التعريفات لا تعطي الإبداع المعنى الحقيقي الذي وضع له، فالإبداع في نظرنا هو: «عملية تجريدية غير مألوفة تقع على الواقع لتعطي فيه لمسات لم يعهدنا من قبل»^(١).

ماهية الإبداع:

حين بدأ العلماء دراسة مصطلح الإبداع توصلوا إلى نتيجة أولية مفادها أن الإبداع في تفسيره العلمي هو التميز والابتكار والتجديد والتفرد في أي مجال من المجالات، وانطلاقاً من هذا التفسير بدأ الاهتمام بهذه القضية منذ عام ١٨٨٦، حيث وجد العلماء أن صناعة الحضارات تبدأ من هؤلاء المبدعين الذين يتسمون بتلك السمات المميزة.

من هنا بدأت دراسة سمات الشخصية المميزة ومكوناتها ليعرفوا ما إذا كان التميز صفة مكتسبة أم أنها تولد بالفطرة مع الإنسان (أي تأتي عن طريق الوراثة)؛ لذلك تم تأليف كتاب عن قضايا الإبداع عن طريق الجينات الوراثية، وكان السؤال المطروح هو: هل يأتي الإبداع عن طريق الجينات الوراثية؟ أم أنه يكتسب عن طريق مناخ معين يوفره المجتمع من خلال أدوات محددة وتربيه ذات طابع مختلف؟

وفي تلك الأثناء تأكّدت صفات شخصية المبدع وأصبحت تطلق على كل من يحمل الصفات أو السمات المذكورة مجتمعةً في أي مجال من المجالات العلمية أو الأدبية أو العلمية، ولكن كعادة العلماء دائماً تختلف الآراء وتكثر النظريات لديهم حول كل قضية وتظل لكل عالم أفكاره الخاصة وآراؤه التي تحمل وجهة

نظره، فهناك من يعتبر أن الإبداع عملية خيالية تنتج عن الفكر ومن ثم ينبع عنها فكرة واقعية.

مفهوم الإبداع:

لقد شغل مفهوم الإبداع العديد من الباحثين على مر العصور، وصار استخدام كلمة إبداع شائعاً كثيراً من قبل كافة المختصين وغير المختصين، مع أن أكثرهم لا يملك تفسيراً واضحاً لمعنى الإبداع.

ولمحاولة تحديد مفهوم الإبداع لا بد من طرح العديد من الأسئلة التي توضح المفهوم لكافة الطبقات ومن هذه الأسئلة:

- ١- هل الإبداع قدرة عقلية وذهنية يمتلكها كل البشر وإن كان بتفاوت كالذكاء وسرعة البداهة؟
- ٢- هل هنالك علاقة بين الذكاء والإبداع والموهبة؟
- ٣- هل يمكن قياس الإبداع وتحديده وتعليمه والتدرج عليه؟
- ٤- ما هي المعايير لوضع عملٍ ما ضمن مجالات الإبداع؟ وهل هناك أصلاً معايير لتحديد أي عمل إذا كان إبداعاً أم لا؟
- ٥- كيف يمكن الحصول على أفكار إبداعية وكيف يمكن إبراز ذلك؟
- ٦- كيف نستفيد من العوامل الشخصية والوراثية والبيئية والاجتماعية لتطوير الإبداع؟
- ٧- هل يمكننا أن نعمم قواعد معينة يمكن أن تطبق في مجالات الحياة وتعتبر إبداعاً؟

إن هذه التساؤلات وغيرها الكثير تعبر عن مدى اتساع مفهوم الإبداع ومدى غموضه، ومدى صعوبته وصعوبة الحصول على إجابات واضحة وشافية لهذه التساؤلات.

ولكن مع كل هذا الغموض إلا أننا يمكننا أن نتوصل إلى الكثير من الحقائق وذلك بعد مرور تجارب كثيرة قام بها الباحثون.

كيف تنشأ الفكرة الابداعية وتتطور؟

العلماء الذين درسو الإبداع وعرفوا معناه علمياً وجدوا أن الفكرة الابداعية تمر بعدة مراحل وعلى هذا الأساس تكلم «طورانس»، «سكوت» و«والز»، إذ أشاروا إلى أن الإنسان المبدع هو شخصية مختلفة ولكن هل هو الإنسان المتفوق الذكي؟ أم أنه الإنسان الذي يبدو عليه الغباء؟ أم أنه خليطٌ من الاثنين؟

إن دراسة الشخصية المبدعة أخذت بعين الاعتبار كل الظواهر والسمات العامة والخاصة للشخصية الإنسانية وصولاً إلى نتائج محددة، فعند دراسة شخصية (نيوتن) مثلاً وجدوا أنه كان فاشلاً في الدراسة ومثيراً للسخرية ويميل إلى الانطواء والوحدة، ومن ثم تغيرت ملامح شخصيته في مراحل أخرى من حياته، وما ينطبق على العالم (نيوتن) ينطبق بصورة أو بأخرى على غيره من العلماء وأصحاب النظريات التي غيرت العالم أو تعرفنا إلى العالم أكثر من خلالها، كما هو الحال في شخصية صاحب الميزان وشخصية صاحب الكفاية، وهنا نسلط الضوء على الأحداث التي غيرت مجرى حياتهما.

قصة السيد صاحب تفسير الميزان:

ينقل العلامة الحسيني الطهراني في كتابه (مهر تابان) عن العلامة الطباطبائي أنه سُئل: هل صحيح أنك في طفولتك لم تكن تستوعب الدروس جيداً؟ فأجاب السيد: نعم كنت في الصغر لا تستوعب المطالب الدراسية وألاقي صعوبة في فهمها، فسجدت لله ذات يوم وقلت: إلهي إما أن تفهمني أو تقبضني إليك.^(٢)

قصة صاحب الكفاية:

كان في (هرات) من بلاد إيران - حوالي خراسان - رجل مدحه اسمه محمد حسين، يمدح أهل البيت عليهما السلام، وله ثلاث أولاد ذكور.

في ذات ليلة كان أولاده الثلاثة نائمين، فأخذ محمد حسين المداح يتكلم مع زوجته في شأنهم قائلاً: إن الولد الأكبر قد صار إدارياً - أي يعمل في إحدى الدوائر - والأوسط أخذ يكسب في السوق، فبقي كاظم (يد الحمار)^(٣)، يقول كاظم: كنت يقظاً من بين إخوتي وأسمع كل ما جرى من حديث فتأثرت بذلك تأثراً كبيراً وغير مسيري في الحياة، ولما كان الصبح من تلك الليلة (المباركة عليه) يقول: أخذت قليلاً من الخبز وربطته على بطني بواسطة المحزم وخرجت من «هرات» إلى «نيسابور» ومنه إلى «أصفهان» حيث كان معهد العلم آنذاك. ثم كتبت لوالدي عليه السلام، إن كاظم (يد الحمار) قد ذهب ليدرس، ولا يزاحمكم في حياتكم. وكان ما كان حتى صار (كاظم هذا) الآخوند ملا محمد كاظم صاحب الكفاية وكفى.^(٤)

استنتاج:

من هاتين القصتين نستنتج أن الإبداع الكامن في شخصية صاحب الميزان وصاحب الكفاية بعد التسليم بالتدخل الإلهي، وهو العلة الموجدة لهذا التوفيق، هو ردة فعل على الواقع السابق ما دعا الشخصيتان أن ينشئا إبداعات وطفرات في مجالاتهم.

وهناك حقيقة أخرى، وهي أن المبدعين ليسوا من الذين يظهرون ذكاءً في محيطهم ومعدلات درجاتهم العلمية متوسطة لكنهم خياليون بكل معنى الكلمة، ويتمتعون بكم كبير من المعرفة، أما إذا كانت المعرفة قليلةً والخيال كبيراً، فهنا تصبح لدى الطفل مشكلةً عقليةً والعكس صحيح. وبذلك يكون العلماء قد حددوا معنى الإبداع الذي يبدأ مبكراً ويتطور، ويمكن أن نقول إن الإنسان المبدع هو الإنسان الخيالي الذي يسعى إلى تنمية معرفته ليستخدم خياله في توظيف معارفه.

ولقد أثبتت الدراسات المكثفة التي قام بها العلماء أن الشخصية المبدعة ليست بالضرورة متفوقةً دراسياً، وأنها تميل إلى التخيل والتأمل والقدرة على التأقلم مع المجتمع. فالإبداع هو الإنسان قادر على إعطاء أكثر من فكرة إبداعية في فترة زمنية قصيرة، وهو قادر على نسج علاقات اجتماعية مختلفة، وهو أيضاً قادر على التشكيل بمعنى التشكيل اليدوي أو الرسومات وهذه السلوكيات تبدأ مع الإنسان منذ الطفولة.

معايير الإبداع:^(٥)

لا بد من التأكيد في البداية على حقيقة أن المصدر الأساسي لمصادر الإبداع

هي الدراسات التي تناولت الأشخاص الذين بروزوا قديماً وحديثاً وكان لهم تأثير كبير في هذه المسيرة، وهنا يبرز سؤالان:

١- من هؤلاء الأشخاص الذين اعتبروا مبدعين؟

٢- ما هي المعايير التي تبعث لاعتبارهم مبدعين؟

أ - المعيار الأول: الشهرة التاريخية:

أشهر معيار اعتمد لتصنيف المبدعين هي الشهرة التي اكتسبها المبدع عبر السنين وظل نتاج أعماله يحظى بالاعتراف والتقدير من المثقفين والمحترفين والناس وأمثال ذلك الشيخ البهائي، الملا صدرا، ابن سينا، السيد محمد باقر الصدر، سيد محمد حسين الطباطبائي، اينشتاين، نيوتن، وغيرهم الكثير.

ومن غير المحتمل أن يشير أحد شركوكاً حول أي من هؤلاء لأن إبداعاتهم لم تفقد رونقها وقيمتها على مر السنين، وأصحاب الشهرة هؤلاء لا يستطيع إخفاء إبداعهم ولو أغفلنا العديد من جوانب شخصياتهم سواء كانت سلبية أو إيجابية وأكبر دليل على إبداعهم صمود إبداعاتهم أمام اختبار التاريخ.

ب - المعيار الثاني: المصادر والمطبوعات:

ويقصد هنا الموسوعات والمعاجم وكتب الترجم وكتب التاريخ والتي تبرز حياة شخص عبر تاريخه وذكر الأعمال التي قام بها، ولعل من أقدم من ألف في هذا المجال (جالتون) «galton» بكتابه المشهور (العقيرية الموروثة).

ج - المعيار الثالث: أحكام الجزاء:

وهذا المعيار له أهمية خاصة، حيث إن الباحث أو الخبير تكون عنده علاقةً مع المبدع موضوع الدراسة، بحيث إنه يرى نتاجه ومدى فاعليته وتميزه عن النتاجات الأخرى في المجال نفسه.

وهنا يقوم الباحث أو الخبير بوضع عدة أساليب لاختيار المبدع ومن هذه الأساليب:

- ١- ترتيب المرشحين في قائمة تبرز درجة إسهام كل واحد في مدى تقدمه العلمي ويراد ترتيبهم من الأعلى إلى الأدنى وكلُّ في مجال تخصصه.
- ٢- وضع عناوين رئيسية لمواصفات كل واحد على حدة وتباعثة نموذج يبرز أصالة التفكير، المرونة، التخطيط، الدقة، الرقابة، وغيرها.
- ٣- ترشيح عدد من الأشخاص وهم الأكثر إبداعاً في مجالهم.

د - المعيار الرابع: غزاره الإنتاج:

ويقصد بها عدد الدراسات أو المؤلفات أو المنشورات أو براءات الاختراع أو البحوث التي أنجزها بمفرده أو مع آخرين. وتؤخذ نوعية الإنتاجات بعين الاعتبار إضافةً إلى الكم. وهناك سلبية لا بد من ذكرها، وهي أن الإنتاجات إذا كانت مؤلفات أو نظريات أو منشورات فإنه يصعب فعلياً معرفة عدد المساهمين في العمل، وإذا كانت اختراعاً فإنه ينبغي الاكتفاء ببراءة الاختراع، حيث إن العديد من الاختراعات لا تبرز مواصفاتها خوفاً من المنافسة وينبغي الاكتفاء بالمعايير التي يضعها وكتب تسجيل براءة الاختراع.

هـ - المعيار الخامس: مستوى الأداء على اختبارات الإبداع:

تستخدم الاختبارات النفسية من قبل باحثي علماء النفس والتربويين المعنيين بموضوع اختبارات الإبداع بصورة واسعة. وإن الأشخاص الذين يتم اختيارهم كمبدعين هم الحاصلون على درجات عالية في هذه الاختبارات.

وهذه الاختبارات تعطي قياساً موضوعياً يسجل عملية التمييز بين الأفراد حسب أدائهم، ولكنه قياسٌ يقتصر على الخصائص العقلية والمصرفية وليس له علاقة بالخصائص الشخصية والاجتماعية. وأيضاً من سلبيات هذا المعيار أنه هناك العديد من حصلوا على درجات عالية باختباراتهم ولم يحققوا أي إنجاز أو إبداع يذكر، وأيضاً لا تزال قدرة التبوء لهذه الاختبارات موضع شك لدى العديد من الباحثين.

وـ - المعيار السادس: الملاحظة المباشرة:

يتميز هذا المعيار بالرؤى المباشرة والتجارب الحية التي يمكن على أثرها معرفة الإبداع وتميزه، وهذا المعيار يعتبر من أهم معايير الإبداع، حيث إن النتيجة تظهر أمامك مباشرةً، ويمكنك لمس حركة الإبداع ويعتبر هذا هو الأسلوب الوحيد الذي يتيح فرصة التعرف على الإطار المرجعي الداخلي للفرد في مقابل الأساليب الأخرى التي تعتمد أساساً على أطر مرجعية خارجية كتقديرات الخبراء أو المحكمين، وقد يساعد في التعريف على أفراد يرون أنفسهم مبدعين بينما لا يراهم الآخرون كذلك.

صفات المبدع:

يتتصف المبدعون عموماً بعده من الخصائص الشخصية والتي تولد دافع

الإبداع، وتبغى الإشارة إلى أنه ليس من الضروري توفر كل صفات المبدع في شخص واحد ولا سيما أننا نقوم بتجميع كل صفات المبدع التي توصل إليها الباحثون، علماً أن العديد من الباحثين وضعوا صفات ولم يضعوا الأخرى، ولكن رأينا أن وضعها كلها أفضل.

(١) الثقة بالنفس.

(٢) اليقظة والوعي والإحاطة بما يدور حوله.

(٣) الاجتهاد والانهماك الزائد بالعمل.

(٤) الانهماك المفرط بالعمل.

(٥) عدم الاهتمام بالحياة الاجتماعية والحيويات الشخصية واعتبارها مضيعة للوقت.

(٦) عدم التمسك بالأعراف والأتيكيت وقواعد السلوك والتصرف بطريقة غير تقليدية.

(٧) الميل للعزلة ومواجهة الصعوبات في التعامل مع الآخرين.

(٨) المزج بين الطفولة والرشد في الأفكار والسلوك.

(٩) التعبير عن العواطف بصرامة وبقوة بصورة مباشرة وغير مباشرة.

(١٠) معاناة حالة من الكآبة والتوتر بين الحين والآخر.

(١١) مقاومة الضغوط الخارجية والقيود المفروضة وحب التحرر.

(١٢) حب الاستطلاع والمساءلة.

(١٣) حب التعلم والانفتاح على الخبرات الجديدة.

- ١٤) الانتماء للعمل والاندماج فيه.
- ١٥) التركيز على المهام وعدم التشتت.
- ١٦) القدرة على التنظيم الذاتي.
- ١٧) التأثير بالآخرين.
- ١٨) التأمل والانسحاب من المواقف الم يؤوس منها.
- ١٩) الميل للتلاعيب بالأفكار.
- ٢٠) تقدير الأصالة والإبداع.
- ٢١) الحدس وسرعة البداهة.
- ٢٢) الأمانة والشجاعة والحرص على الإقدام والمثابرة.
- ٢٣) التعاطف مع الآخرين.
- ٢٤) القدرة على جذب الجماهير.
- ٢٥) الحاجة للدعم.
- ٢٦) البحث عن التشويق والإثارة.
- ٢٧) تجنب العلاقات مع الآخرين وعدم الاقتراب كثيراً من الرفاق.
- ٢٨) المعاناة من شدة التوتر والانفعال.
- ٢٩) الانشغال الذهني والتخطيط والتبصر بالأمور.
- ٣٠) الاعتماد على الذات بدرجة كبيرة.

خصائص المبدعين:^(٦)

الخصائص التطورية:

- ١) غالباً ما يكون المبدع هو المولود الأول للأسرة.
- ٢) قد يكون عانى من فقدان أحد الوالدين (يعيش حالة اليتيم).
- ٣) أجواءه الأسرية غنية بالخبرات والتنوع.
- ٤) يستمتع بالشهرة ويثابر على العمل.
- ٥) يقدم مبادرات تدل على نبوغه المبكر.
- ٦) يفضل التعلم على صحبة الناس وينكب على المطالعة.
- ٧) يتعرض لتجارب وخبرات متنوعة من سن مبكرة.
- ٨) يحب الدراسة والنجاح.
- ٩) يقيم علاقات مميزة مع مجموعات ضيقة.
- ١٠) يتأثر بالقدوة.
- ١١) يتمتع بإنتاج ضخم.

الخصائص المنطقية:

- ١) الانضباط الذاتي والاستقلالية وكراهية السلطة.
- ٢) مقاومة الضغوط الاجتماعية.
- ٣) الانتباه لتفاصيل.
- ٤) تحمل الغموض والقلق.

- ٥) حب المغامرة والإثارة.
- ٦) تفضيل المسائل المعقدة.
- ٧) امتلاك قاعدة معرفة كبيرة.
- ٨) القدرة على التفكير المتشعب.
- ٩) الحاجة للاسترخاء.
- ١٠) الحاجة لمجتمع وبيئة داعمة.
- ١١) عدم تحمل الملل والروتين.
- ١٢) حسن الفهم والاستيعاب.

الخصائص الحدسية:

- ١) الانفتاح بغير حدود.
- ٢) الرومانسية.
- ٣) الحساسية الزائدة.
- ٤) الحماس والتسرع.
- ٥) الإحساس المتزامن بالألوان والأصوات والروائح.
- ٦) تقديم أفكار جديدة لحل المشكلة.
- ٧) التفاعل مع الأفكار الجديدة والأصلية.
- ٨) القدرة على تحرير الأفكار والتعبير عنها.
- ٩) القدرة على مقاومة الاتهام بالشذوذ وغرابة الأفكار.

الخصائص العاطفية:

- ١) كفاء في التعبير عن نفسه.
- ٢) يدرك الأشياء بطريقة خاصة.
- ٣) ينجذب إلى المواقف المجهولة والمتحيرة.
- ٤) له قدرة خاصة على حل الصراعات الداخلية والتناقضات الثنائية.
- ٥) له قدرة على دمج العناصر المتفرقة.
- ٦) يتقبل ذاته جيداً ولا يعبأ برأي الآخرين عنه.
- ٧) يتحمل المواقف المربكة.
- ٨) له القدرة على التركيز.
- ٩) لا يكتب مشاعره ويعبر عن مواقفه جيداً.
- ١٠) يتحلى بالشجاعة لمخالفة العادات وال المسلمات.
- ١١) سريع البداهة.
- ١٢) يشعر مع الآخرين ويتوحد معهم بسرعة.

الخصائص الحسية:

- ١) منفتح على الأفكار والخبرات الجديدة.
- ٢) يضبط نفسه ويتحكم بذاته.
- ٣) عنده قدرة على التلاعيب بالعناصر والمفاهيم.
- ٤) عنده اهتمام بالعالم الخارجي والداخلي.

٥) لا يستعجل النهايات.

٦) يتقبل الصراعات والتوتر.

٧) عنده قيم نظرية وجمالية مرتفعة.

٨) عنده أداء حاذق للفنون التقليدية.

معرفة الطفل المبدع:

ما هي الخطوات التي يمكن للأسرة والمدرسة أن تقوم بها لمعرفة الطفل المبدع؟

بالنسبة للأسرة ينبغي أن تكون غير خاضعة لضغط العادات والتقاليد التي تضع الطفل في مربع لا يستطيع الخروج منه، فالإنسان المبدع هو إنسان حر منطلق في تفكيره يستخدم خياله، ولكن إذا وضع في قالب فلن يستطيع الإفلات منه، وهنا تكمن خطورة إلغاء الإبداع في الطفل نتيجةً لجهل الأسرة معنى الإبداع وكيفية تربية هذه الفكرة في عقل وخيال الطفل.

وعملية التربية الإبداعية تحتاج إلى بيئة صحية ومتفهمة وواعية لمعنى الإبداع؛ لأن الطفل سيخضع بصورة تلقائية لمجموعة من الاختبارات تتطلب مساحةً غير محددة من الحرية وأعني بها طريقة الحوار والتعبير في فضاءات مفتوحة، أي نستمع إلى الطفل وإلى آرائه وأن نتباه لكل ما يقوله ونناقشه ونسمح له بإبداء رأيه في كل شيء يراه، ونجيبه عن تساؤلاته.

ولابد أن يتمتع الأبوان معاً بثقافة إبداعية أولاً حتى ينمو الطفل في بيئة صالحة، بمعنى البيئة التي تعامل مع الطفل من منطلق أنه إنسان يحق له التفكير والتخيل

والتساؤل وإبداء الرأي والحوار، وليس القمع أو فرض الرأي عليه بصورة سلبية وقاسية، ولا يفترض أن يخضع الطفل المميز لمزاجية الأم أو الأب أو يخضع للمحاكمة في الوقت الذي يتطلب منا التحاور معه؛ لذا نجد الكثير من الأطفال مكتوبين لعدم توفر أسرة مفهومة لأوضاعهم.

أما بالنسبة للمدرسة فالسؤال البديهي يدور حول المنهج الذي يدرسه الطفل، وهل هذه المناهج تدعوا إلى الإبداع؟ أو إلى الحفظ والاستيعاب ومن ثم الترديد لا أكثر؟

هذه المناهج على وضعها الحالي تبني ملكة الاستيعاب والحفظ فقط وتهمل قضية الخيال، وكما هو معروف فإن عقل الإنسان مقسم إلى قسمين على وفق نظرية (روجر سبيري سنة ١٩٦٠م) ونال بسببها جائزة نوبل، وهناك من قسمه إلى ثلاثة أقسام - ألا وهو (بول ماكلين) في السبعينات - فقال إن دماغ الإنسان يتكون من ثلاثة أدمة هي:

دماغ الزواحف، دماغ الثدييات، والدماغ الإنساني العاقل، وجاء (هيرمان) ودمج نموذج (سبيري) ونموذج (ماكلين) في نموذج واحد هو نموذج (هيرمان الرباعي)، ولكن ما يتميز به نموذج (هيرمان) هو نموذجه الرمزي وليس الفسيولوجي.

أما الأول فقال قسم يعتمد على التراكم المعرفي وعلى الاستيعاب والحفظ والتذكر وتنمية هذه القدرات، وقسم آخر يعتمد على الخيال وتنسيق الألوان وفي حال ضعف الخيال يصبح الاتصال بين القسمين صعباً، بمعنى آخر إن الخيال هنا لا يستطيع أن يخدم التراكم المعرفي.

والمناهج الموجودة في المدارس حالياً لها دور كبير في كبت الإبداع،

فالشخص مملة وتنوعها يزيد الموضوع صعوبةً، فكل يوم دراسي هو عبارة عن رياضيات وعلوم وعربي وإنكليزي واجتماعيات وسوى ذلك من مواد مقررة. كل هذه المواد مجتمعةً تضغط على عقل الطفل لأنه لا يوجد استراتيجية واحدةٌ يتخصص فيها أو يحبها مرتباً بالتفكير، ولا يوجد تنسيق بين المواد، فالذى وضع كتاب العلوم لا يعرف شيئاً عن الذي وضع كتاب العربي أو الاجتماعيات. الطفل يحفظ وفي آخر السنة يسترجع ما حفظه، ولا يستخدم أي مهارة في البحث عن فكرة أو طرح رأي، فالمنهج الدراسي يلغى رأيه تماماً، وتفكيره يكون محصوراً داخل (المربع)، وهذه المناهج تلعب دوراً كبيراً في كبت التفكير الإبداعي.

فإذا كانت الأسرة معوقةً للتفكير الإبداعي وكذلك المدرسة فإن الطفل بالتالي ينتقل إلى مجتمع لا يتقبل الفكر الإبداعي عند الطفل لأن طبيعة المجتمع سلبية من جميع النواحي وليس فيه أي مناخ إبداعي، وهكذا يمكن القول: توجد ثلاثة موانع تعيق الإبداع هي: الأسرة، المدرسة، والمجتمع.

المطلوب:

القاعدة العامة تقول:

«إن كل الناس مبدعون ولكن العوامل هي التي تحدد النسبة بينهم». فقبل كل شيء لابد أن نتعامل مع الطفل من منطلق أنه إنسان له كافة الحقوق في إبداء الرأي وال الحوار، وإعطائه كل الفرص ليعبر عن نفسه ونحترم أفكاره، وإذا طرح فكرةً ما، قد تكون مضحكةً أو غير عقلانية ولكن علينا أن نأخذها بعين

الاعتبار في جميع الأحوال.

وهذا لا يحدث إلا إذا كانت الأسرة مثقفةً إبداعياً وتعرف معنى ما تفعل.

كذلك بالنسبة للمناهج الدراسية فإنها تحتاج إلى إعادة صياغة لتحاكي عقل الطفل وتفكيره وخياله وتحثه على الابتكار، وليس مجرد حفظ المعلومة أو ترديدها، وبالتالي يصبح المجتمع الذي يتكون من الأسرة والمدرسة أكثر إيجابيةً في تقبل الطفل المبدع ليعمل على تربية إبداعه بوعي وإدراك.

كيف يمكن حتى الأسرة على مثل هذا الطرح؟ وخصوصاً وأن أساسيات التربية في مجتمعنا وعلى مر السنين لا تخضع سوى لمجموعة من الاعتبارات أهمها الشدة وفرض الأمر الواقع على الأطفال مع وجود استثناءات قليلة تعطي للطفل حقوقه كاملةً.

المطلوب في الأساس أن نتعامل مع الطفل بصورة عامة من منطلق التربية الإبداعية سواء لاحظنا سلوكاً مختلفاً عند هذا الطفل أو ذاك أو لم نلاحظ، فنحن كأسرة تقع علينا المسؤولية الأولى في خلق الشخصية الإبداعية التي سوف يستفيد منها المجتمع كله بعد ذلك وقبل كل ذلك الأسرة نفسها، علينا أن نصنع الإبداع في شخصية الطفل من خلال استعداده الذي نتلمسه في سلوكه وتصرفاته ونظرته إلى الأمور، وكذلك تقع المسؤولية على المدرسة ومن ثم المجتمع، عليه أن يصنع أطفالاً مبدعين وذلك استناداً للقاعدة العامة سالف الذكر، فالطبيب يمكن أن يكون مبدعاً في مجاله، كذلك المهندس أو المدرس أو الفنان أو الكاتب وغيرهم، وأن تكون القضية الإبداعية هدفاً يسعى إليه الجميع.

تجربة أحد الباحثين:

إذ يقول: «إن المجتمع ينظر بسلبية إلى مسألة الإبداع ولا يتقبله».

يردف قائلاً: «كنت مسؤولاً عن مركز الإبداع التابع للنادي العلمي في عام ١٩٩٥، وقمنا بعمل اختبارات على مجموعة من الناس وطبقنا اختبار (طورانس)، وجدنا أن أغلب الناس تحت الدرجة المعيارية المطلوبة. وهذا يؤكّد أن هناك خللاً في المجتمع والأسرة والمناهج الدراسية، وحتى لو وضعنا مناهج مختلفة تدعو إلى الإبداع، فإن ما يتم بناؤه في المدرسة سوف يهدم داخل الأسرة. للأسف المجتمع لا يوجد فيه أي مناخ إبداعي لأن طبيعة المجتمع الموجودة في جمعيات النفع العام وفي أجهزة الإعلام تلعب دوراً سلبياً في الفهم الخاطئ لتفكير الإبداعي».

في النادي العلمي أيضاً يقول: «قمنا بعمل برنامج اسمه التفكير الإبداعي عند الأطفال في مركز الإبداع، وقمنا بقياس التفكير لدى الأطفال المتسبّبين، وخلال شهرين من عمر البرنامج وجدنا تزايداً في التفكير الإبداعي عند بعض الأطفال، وكنا على اتصال دائم بأسرهم لنضعهم في الصورة بحيث تتم معاملة الأطفال بطريقة مدرّوسة من خلال لقاءات معهم.

والبرنامج الخاص الذي أقمناه يعطي الطفل مجالاً أكبر للحرية واستراتيجيات التفكير، كذلك أعطيناهم مجموعةً من النصائح ولا حظنا زيادةً في قبل الطفل لمنهج التفكير الإبداعي، ولو تمت معاملة هؤلاء الأطفال على وفق منهجهة سليمة لكافة المستويات ستكون عندها العملية مجديّة، خصوصاً وأن الطفل أصبح لديه مجال أكبر للتفكير، ولكن المسألة تحتاج إلى طريقة تدعم هذا التفكير وإلى استراتيجيات وإلى ثقافة».

نظريّة الإِبَدَاع:

حاول الإنسان فهم ظاهرة الإِبداع ولكنه لم يستطع الوصول إلى مفهوم واضح حتى أخضع هذا المفهوم للبحث والتجارب وقد تنوّعت النظريات التي تسعى إلى تفسير الأعمال الإِبداعية، وسنعرض أهم النظريات والتي لا تزال تتفاعل مع مجتمعنا في العصر الراهن.

نظريّة القياس النفسي:^(٧)

وتعتبر هذه النظرية امتداداً لحركة القياس النفسي، والتي بدأت مع العالم الفرنسي (ألفريد بينيه) (binet) في تطوير أول اختبار لقياس الذكاء، وترتکز على قياس الذكاء وعلى وجود علاقة بين السلوك والذكاء والإِبداع. وعلى أن الإِبداع شأنه شأن الذكاء يجب أن يخضع للبحث التجريبي والقياس وهو موجود لدى كل الأفراد وبنسب متفاوتة وبالتالي فإنه يمكن قياسه وتحديده.

نظريّة حل المشكلة والإِبداع:

وتفترض هذه النظرية أن العملية الإِبداعية هي عملية إيجاد حل إبداعي لمشكلة غير عادية.

نظريّة أسبورن Osborn:

اعتقد (أسبورن) أن أفضل طريقة للتوصّل إلى حلول ناجحة وهو توليد أكبر عدد من البديل الممحتملة وتقييمها واحدة بعد الأخرى، وقد اعتمد هذا الأسلوب في إجراء دراسة مكثفة حول الطبيعة العملية الإِبداعية وتعليم الإِبداع وهذا انعكس

بصورة إيجابية على تطوير برامج تربوية بهدف تقوية الإبداع، وكان يعتقد أن تفعيل القدرة على التخييل هي المفتاح لعملية الحل الإبداعي لأي مشكلة، ومن الجدير ذكره أن المشكلة التي نتحدث عنها هي الأسلوب المتبع لحل يكمن

بتراتب هذه الخطوات:

(١) إيجاد المشكلة.

(٢) إيجاد الحقائق.

(٣) إيجاد الأفكار.

(٤) إيجاد الحل.

(٥) قبول الحل.

حل المشكلة بالأسلوب الإبداعي:

إن حل المشكلات كان دائمًا مُناظرًّا باهتمام علماء النفس، وأصبحت دراسة التفكير وحل المشكلات ومبادئ التعلم ونظرياته حسب مراحل النمو تمثل محور الاهتمام لعلم النفس، وكان ينظر إلى عملية «حل المشكلات» على أنها عملية تعلم عن طريق التجربة والخطأ ثم مستكشفاً الاستبصار.

العالم «ديبوبي» قدم نموذجاً لحل المشكلات يتضمن خمس مراحل:

(١) إدراك وجود المشكلة.

(٢) تحديد المشكلة بوضوح.

(٣) اقتراح الحلول الممكنة.

(٤) دراسة سلبيات وإيجابيات الحلول.

٥) اختيار الحل الأمثل.

الحل الإبداعي للمشكلات:

وهذا جوهر الموضوع، وهو عملية تفكير مركبة تتطلب استخدام كل مهارات التفكير والنقد وفق خطوات منطقية متعاقبة، محددة الهدف بحيث نصل إلى أفضل الحلول.

كيف نطور التفكير لحل مشكلات الإبداع؟

لا بد أن نذكر هنا أنه بالممارسة يمكن أن نطور تفكير الطفل بحيث يعتاد على نمط معين في التعامل مع المشكلات التي تواجهه.

وهذه نماذج من التقنيات المتبعة لزيادة الفاعلية في توليد الأفكار:

١) وضع قائمة تصف خصائص المشكلة للطفل.

٢) استخدام أسئلة مهيجة للفكر والأفكار له.

٣) استخدام قوائم الشطب بحيث تقلل الاحتمالات.

٤) استخدام الصور المجازية.

٥) استخدام أوراق العمل المتنوعة.

٦) تقسيم المشكلة الكبيرة إلى مشاكل متعددة صغيرة والتعامل مع كل مشكلة

على حدة، وبعدها بتجميع النتائج.

ومن البرامج البارزة لتطوير التفكير لدى الطفل وحل المشكلات بالأسلوب

الإبداعي ما قدمه العلماء لتطوير التفكير في هذا المجال، حيث تم وضع مخطط

يساعد على تطوير التفكير وأعدوا على ضرورة المحافظة على توازن بين نوعين أساسيين من التفكير هما توليد الأفكار وتركيز الأفكار، وهذا الجدول يربط بينهما:

جلسة تركيز الأفكار.		جلسة توليد الأفكار.
قبول التحدي والشروع في عمل منهجي لمواجهة الموضوع.	إيجاد الحقائق.	البحث عن الأوضاع المعروفة، واختلطت من واقع الخبرات واكتشاف الغرض.
تحديد أهم المعلومات ذات العلاقة وتحليلها.	إيجاد المعلومات.	فحص الوضع من زوايا متعددة وتجميع المعلومات ذات العلاقة.
اختيار صياغة مناسبة للجملة.	إيجاد المشكلة.	توليد صياغات متعددة للمشكلة الأساسية والفرعية.
اختيار الأفكار التي تبدو مثيرة وواعدة.	إيجاد الأفكار	توليد عدة أفكار وبدائل واقتراحات لحل المشكلة وتسجيلها في القائمة.
اختيار بعض محكّات لتقدير الأفكار وتحسينها.	إيجاد الحل.	تطوير قائمة محكّات لمراجعة الأفكار وتقديرها.
التركيز على الحلول	قبول الحل.	تطوير قائمة بمصادر

الواعدة ووضع خطة محددة للتنفيذ.	الدعم والمقاومة المحتملة وتحديد خطوات التنفيذ.
------------------------------------	--

وهنالك عددٌ من الموجهات لتسهيل عمل الفرد أو المجموعة في ممارسة عملية حل المشكلات الإبداعية في كل خطوة من الخطوات التي يمكن إثارتها لتوجيه عمليات توليد الأفكار مثل الأسئلة التي تبدأ بمن وماذا وأين ومتى ولماذا وكيف، بالإضافة إلى ضرورة استخدام جميع الحواس في استكشاف كل الخصائص المرتبطة بشيء ما في التمرينات التي تهدف إلى شحذ مهارة الملاحظة. ولنطلع عن قرب على المراحل الخمسة بين جلسة توليد الأفكار وجلسة تركيزها كما هو مبين في الجدول السابق:

١- إيجاد الحقائق:

تهدف هذه المرحلة إلى جمع أكبر قدر من الحقائق أو المعلومات ذات العلاقة بالمشكلة التي تكون عادة غامضة وغير محددة، ويمكن استخدام الجدول التالي ذي الثلاثة أعمدة:

ويخصص العمود الأول لكتابة جميع الأسئلة الموجهة للحصول على الحقائق أو المعلومات المطلوبة، بينما توضع في العمود الثاني قائمة بمصادر المعلومات أو الأفراد والجهات التي يمكن الحصول منها على إجابات عن الأسئلة في العمود الأول، أما العمود الثالث فتتوسط فيه الحقائق أو المعلومات التي يتم الحصول عليها بحيث تكون المعلومة ومصدرها والسؤال الذي تجيب عنه على نفس الخط.

المعلومات	مصدر المعلومات	أسئلة جمع المعلومات

٢ . إيجاد المشكلة : problem finding

تتم في هذه المرحلة إزالة الصيابية والغموض الذي يكتفى المشكلة عن طريق التركيز على المشكلات الفرعية التي تُشتق من المشكلة الرئيسية في ضوء الحقائق والمعلومات التي جمعت في المرحلة السابقة ويعرض المدرب نماذج من الأسئلة التي يمكن إثارتها:

- ماذا يمكن أن أفعل لـ...؟
- كيف يمكن أن أكتشف...؟
- كيف يمكن أن أقرر...؟

وتنتهي هذه المرحلة عندما يختار المدرب السؤال الذي يمثل جوهر المشكلة، ويحمل دلالات قوية حول إمكانية معالجته بطريقة إبداعية.

٣ . إيجاد الأفكار :

تهدف هذه المرحلة إلى توليد أكبر عدد ممكن من الأفكار لحل المشكلة، ولتحقيق ذلك يسمح بإصدار أحكام أو توجيهه نقد لأي فكرة حتى يستنفذ المتدربون جميع ما لديهم من أفكار.

٤ . إيجاد الحل :

في هذه المرحلة يتم تطوير محكّات أو معايير لتقسيم الأفكار التي تم توليدها في المرحلة السابقة، وتعتمد عملية اختيار المحكّات الملائمة على حساسية الفرد للمشكلات ومدى وعيه بالآثار والمتربّات والمحاذير التي يمكن أن تحدث إذا نُفذت الفكرة المختارة.

٥ . تقبل الحل :

يتم التركيز في هذه المرحلة على الأفكار التي حصلت على أعلى التقديرات في ضوء المحكّات التي استخدمت في عملية التقييم خلال المرحلة السابقة، ولتسهيل العمل في هذه المرحلة يقترح استخدام ورقة عمل مقسمة إلى ثلاثة أقسام أو أعمدة بحيث تستخدم على النحو الآتي:

العمود الأول: توضع فيه قائمة الأفكار التي تم اختيارها وتضم أسلوب التنفيذ وكسب الدعم وضمان الفاعلية.

العمود الثاني: توضع فيه إجابات عن أسئلة تبدأ بـمن ومتى وأين حول كل الأفكار الموجودة في العمود الأول.

العمود الثالث: توضع فيه إجابات عن أسئلة تبدأ بكيف ولماذا يتقبل الآخرون كل الأفكار، وفي كل الحالات يستخدم مبدأ تأجيل إصدار الأحكام في التوصل إلى أفضل الإجابات عن الأسئلة التي تثار لاستيضاح كل فكرة وتقيمها.

المرحلة الثانية:

التفكير:

ماهية التفكير:

في الحقيقة إنه لا يوجد تعريف واحد مرضٍ للتفكير كما هو الحال في الإبداع؛ لأن معظم التعريفات مرضية عند أحد مستويات التفكير أو عند مستوى آخر.

وتعريف التفكير بأنه «نشاط عقلي» هو تعريف صحيح لأنه يشمل كل شيء، ولكنه مع ذلك ليس تعريفاً شافياً تماماً.

ومن جهة أخرى فإن تعريف التفكير كالقول إنه: «المنطق وتحكيم العقل» هو تعريف صحيح، ولكنه يشمل مظهراً واحداً فقط.

وربما أجاد الشيخ محمد صنكور في قوله أن الفكر أو التفكير عبارة عن: «عملية ذهنية يتم فيها ترتيب مجموعة من المعلومات الحاضرة في الذهن لينتهي بذلك إلى معلومة جديدة».^(٨)

وحتى يتم فهم هذه الظاهرة الذهنية لا بد من تحليلها مفاهيمياً، حيث إن هذه الظاهرة يمكن لمسها عن طريق نتائجها وما يظهره الإنسان في المواقف المختلفة، وقد واجه علماء النفس المعرفيون صعوبةً في فهم أنماط وأساليب تفكير الأفراد مما تطلب دراسةً طويلةً أخذت جهداً وقتاً طويلاً من الباحثين في المجالات البحثية المختلفة، حيث يمثل التفكير أعقد نوع من أشكال السلوك الإنساني إذ يأتي في أعلى مستويات النشاط العقلي.

كما يعتبر التفكير من أهم الخصائص التي تميز الإنسان عن غيره من المخلوقات، وهذا السلوك ناتج عن تركيب الدماغ لديه وتعقيده مقارنةً مع تركيبه البسيط عند الحيوان، واستطاع الإنسان من خلاله أن يتميز عن الحيوان بقدراته على تحديد الهدف من سلوكه.

تعريف التفكير عند المدارس الأخرى:

- ١) عرفه ماير (mayer) بأنه ما يحدث عندما يحل شخص ما مشكلة.
- ٢) عرفته باربرا بريشن (barbara pression) بأنه عملية معرفية معقدة، بعد اكتساب معرفة ما، أو أنه عملية منظمة تهدف إلى إكساب الفرد معرفة.
- ٣) وعرفه دي بونو (de bono) أن التفكير مهارة عملية يمارس بها الذكاء نشاطه اعتماداً على الخبرة أو هو اكتشاف متزوج أو متبرض أو متأن للخبرة من أجل التوصل إلى الهدف.
- ٤) وعرفه جون بارييل (john bareell) بأنه تجريب الاحتمالات ودراسة الإمكانيات عندما لا ندرى ما العمل.
- ٥) وعرفه روبرت سولسو (robert solso) بأنه عمليات عقلية معرفية للاستجابة للمعلومات الجديدة بعد معالجات معقدة تشمل التخييل والتعليق وإصدار الأحكام وحل المشكلات.
- ٦) أما جونثان بارون (jonathon baron) فقد أكد على أن التفكير مهم جداً في حياتنا اليومية لأنه يساعد في التخطيط للأهداف الفردية والعمل على تحقيقها أو حل مشكلة ما، أو معرفة ماذا نعتقد أو نأخذ من غيرنا أو نترك.

٧) وافترض راسل لي (russel lee) أنه فهم الأساس المشترك للمعرفة والأبنية الثقافية في أسس النظام والانضباط التقليدية.

٨) أما مجدي حبيب فيقدم تعريفاً للتفكير على أنه عملية عقلية معرفية وجذانية عليا تبني وتوسّس على محصلة العمليات النفسية الأخرى كالإدراك والإحساس والتخيل، وكذلك العمليات العقلية كالالذكاء، والتجريد، والتعيم، والتمييز، والمقارنة، والاستدلال، وكلما اتجهنا من المحسوس إلى المجرد كلما كان التفكير أكثر تعقيباً. هذا وقد أكد على أن التفكير بوجه عام لا يتم إلا إذا سبقته مشكلة تتحدى عقل الفرد وتحرك مشاعره وتحفز دوافعه.

٩) أما جون دواي (john dwey) فيفترض أن التفكير هو الأداة الصالحة لمعالجة المشاكل والتغلب عليها وتبسيطها.

التفكير من منظور مجموعة من المدرسين:

عندما سئل مجموعة من مدرسي الرياضيات أن يعرفوا التفكير ارتأوا أنه عملية حل المشكلات تقريباً، وعلى وجه الحصر:

١- إنه نشاط يبدأ بمشكلة ويهدف إلى حل تلك المشكلة.

٢- التفكير عملية ترتيب المعلومات المتوفّرة، بغرض التوصل إلى حل.

٣- هو استخدام قدرتك (الذكاء) للحصول على جواب لمشكلة ما.

٤- التفكير هو بحث الإمكانيات، التي سوف تساعدك للوصول إلى حل مشكلة ما.

٥- التفكير هو عملية فكرية لحل المشكلات.

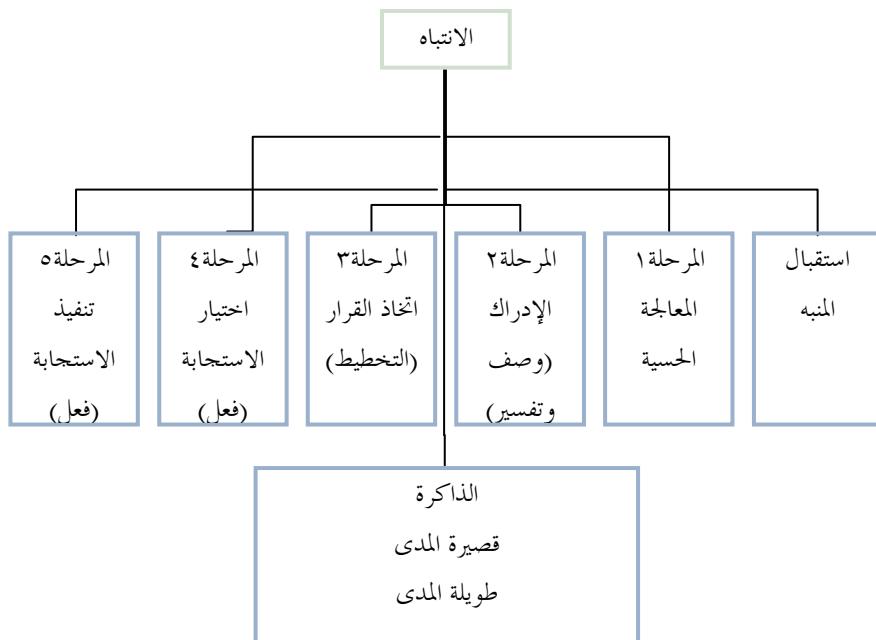
٦- هو تقييم للحقائق حسب خبرة الفرد في سبيل حل مشكلة ما أو توضيح موقف.

ومن الجائز أن تكون كلمة «مشكلة» قد استخدمت لتوحي عموماً بها حسب بلوغ حالة مطلوبة، ومن ثم فإن أي تفكير يؤدي إلى النتيجة المطلوبة، ويمكن النظر إليه على أنه قضية «حل المشكلات» إلا أنه إذا أخذت الكلمة «مشكلة» بمعناها الأصيق فإن «حل المشكلة» لا يتضمن مفهوم «الفهم»، أو «توضيح الموقف»، وغالباً ما تعد هذه العملية جزءاً من قوة الإدراك، فيعد التفكير وبالتالي عملية تعالج نواتج الإدراك لحل المشكلة.

علاقة التفكير بالإبداع:

أسلفنا سابقاً في تعريفنا للإبداع أنه عملية تجريدية غير مألوفة تقع على الواقع لتعطي فيه لمسات لم يعهدنا من قبل.^(٩)

وهذه العملية التجريدية تحتاج إلى مقومات أولية تنتج عنها الفكرة الإبداعية، وهو المنبه الذي يستدعي الحاجة لاتخاذ رد فعل، أما مباشرةً فيتعدى مربع الإدراك فتكون العملية تبدأ من مربع اتخاذ القرار إلى اختيار الاستجابة فمربع التنفيذ، أو رد فعل متزن يتناول كل مربع بشكل كامل كما هو موضح في الرسم البياني التالي.



ارتباط التفكير بالإبداع:

لا يمكن أن نفكمك بين الإبداع والتفكير بأي حال من الأحوال، فكلهما متكامل للآخر وربما يقال إن عملية التفكير ليس بالضرورة تنتج إبداعاً، والجواب نعم، لكن العملية الإبداعية بالضرورة ستحتاج إلى التفكير، فلا يمكن الاستغناء عنه في أي مسألة إبداعية.

وبهذه المحصلة يمكننا أن نقول إن الإبداع ليس أمراً عشوائياً لم يقم على مقدمات سليمة كما يراه البعض، والدليل على ذلك أننا ننسب الإبداع إلى الباري عز وجل ومن غير المعقول أن يكون ذلك الإبداع لم يخطط له من قبل مع لحاظ الفارق البيني في المسألة.

فنحن نتلمس الإبداع الإلهي في كل شيء؛ لوجود الاختلاف وهذه قضية

أخرى ليست مدار بحثنا الآن لكن نشير لها بشكل غير تفصيلي؛ إذ أن عملية الاختلاف عادةً ما تؤسس الإبداع والجمال، فلو كانت جميع الأشياء متشابهةً لما كان هناك مسمى للإبداع من الأساس، ونرى في بعض النصوص ما يشير لهذا المعنى كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ لآيَاتٍ﴾^(١٠)

أولاً: من الجهة القرآنية:

حث الله تعالى في محكم كتابه العزيز على التفكير كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَيَنْفَكِرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هذَا باطلًا﴾^(١١).
وقوله جل وعلا: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَفْفَالِهَا﴾^(١٢).
وكما جاء أيضاً قول: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ من أول القرآن إلى آخره حثاً على التدبر والتأمل في آياته سبحانه وتعالى.

كيفية التفكير كما ورد في القرآن الكريم:

بعد ما دعا الله سبحانه وتعالى عباده إلى التفكير، بين لهم أيضاً آليات تمكن الإنسان من الوصول للتفكير الصحيح، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(١٣)، وذكر أن الإنسان مخلوق من نطفة خلقه فقدرة ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء نشره.
وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾^(١٤).

وأيضاً قال عز من قائل: ﴿أَلَمْ نَخْلُقُكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ إِلَى قَدَرِ مَعْلُومٍ﴾^(١٥).

وقال: ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾^(١٦).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجَ نَبْتَلِيهِ﴾^(١٧).

وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُطْفَةَ عَلَقَةً﴾^(١٨).

تبين لنا من خلال التأمل في هذه الآيات الكريمة أنها تدل وبشكل جلي وواضح على مسألة التفكير والتفكير ومدى أهميته في القرآن الكريم.

ثانياً: من جهة الأخبار:

عن الرسول الأعظم ﷺ أنه قال: «لم يكن لقمان نبياً ولكن كأنه كان عبداً كثيراً التفكير حسن اليقين أححب الله فأحبه ومن عليه بالحكمة»^(١٩).

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: «إِنَّ التَّفَكُّرَ يَدْعُو إِلَى الْبِرِّ وَالْعَمَلِ بِهِ»^(٢٠).

وقوله ﷺ: «يَا هَشَامُ إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ دَلِيلًا وَدَلِيلُ الْعُقْلِ التَّفَكُّرُ وَدَلِيلُ التَّفَكُّرِ الصَّمَدُتُ وَلِكُلِّ شَيْءٍ مَطِيَّةٌ وَمَطِيَّةُ الْعُقْلِ التَّوَاضُعُ وَكَفَى بِكَ جَهْلًا أَنْ تَرْكَبَ مَا نَهَيْتَ عَنْهُ»^(٢١).

عن أبي عبد الله ﷺ: «قال أفضل العبادة إدمان التفكير في الله وفي قدراته»^(٢٢).

وقوله ﷺ: «كان أمير المؤمنين ﷺ يقول: بالعقل استخرج غور الحكمة وبالحكمة استخرج العقل وبحسن السياسة يكون الأدب الصالح، قال: وكان

يَقُولُ: التَّفْكُرُ حِيَاةً قَلْبَ الْبَصِيرِ كَمَا يَمْشِي الْمَاشِي فِي الظُّلُمَاتِ بِالنُّورِ بِحُسْنِ التَّخَلُّصِ وَقَلَّةِ التَّرْبُصِ»^(٢٣).

وعن أبي الحسن الرضا ع: «لَيْسَ الْعِبَادَةُ كَثْرَةُ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ، إِنَّمَا الْعِبَادَةُ التَّفَكُرُ فِي أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(٢٤).

ومن خلال ما تقدم من عرض للآيات الكريمة والروايات الشريفة، نستنتج أنه لا بد علينا كآباء وأمهات تربويين وكأفراد فعالين في المجتمع أن نخلق روح وثقافة التفكير من جهة، والإبداع من جهة أخرى من أجل إنشاء مصداق للإنسان المفكر، والإنسان المبدع هدفه الوصول إلى مجتمع أسمى وأرقى يعتمد على الطاقات الموجودة لديه، ونتيجة لتلك المصاديق نصل إلى معرفة المبدع الحقيقي وهو الله عز وجل.

مستوى التفكير:

إن مستوى التعقيد في التفكير يعتمد بصورة أساسية على مستوى الصعوبة والتجريد في المهمة المطلوبة، فعندما يسأل الفرد عن اسمه أو رقم هاتفه فإنه يجب بصورة آلية ودون أن يشعر بال الحاجة إلى أي جهد عقلي، ولكن إذا طلب منه أن يعطي تصوراً للعالم بدون كهرباء أو بدون أجهزة كمبيوتر، فإنه لا شك سيجد نفسه أمام مهمة أكثر صعوبة، وتستدعي القيام بنشاط عقلي أكثر تعقيداً، واستناداً إلى ذلك فقد ميّز الباحثون في مجال التفكير بين مستويين للتفكير هما:

- ١- تفكير من مستوى أدنى أو أساسي.
- ٢- تفكير من مستوى أعلى أو مركب.

ويتضمن التفكير الأساسي مهارات كثيرة من بينها المعرفة (اكتسابها وتذكّرها) والملاحظة والمقارنة والتصنيف، وهي مهارات يتفق الباحثون على أن إجادتها أمر ضروري قبل أن يصبح الانتقال ممكناً لمواجهة مستويات التفكير المركب بصورة فعالة، إذ كيف يمكن لشخص لا يعرف شيئاً عن طبيعة جهاز الحاسوب واستعمالاته أن يقدم تصوراً لعالم يخلو من أجهزة الحاسوب؟!

أما التفكير المركب، فقد أورد أحد الباحثين المختصين بموضوع التفكير خصائصه على النحو التالي:

- ١- لا تقرره علاقات رياضية لوغارitmية، بمعنى أنه لا يمكن تحديد خط السير فيه بصورة وافية بمعزل عن عملية تحليل المشكلة.
- ٢- يشتمل على حلول مركبة أو متعددة.
- ٣- يتضمن إصدار حكم أو إعطاء رأي.
- ٤- يستخدم معايير أو محکات متعددة.
- ٥- يحتاج إلى مجهد.
- ٦- يؤسس معنى للموقف.

ويتطور التفكير بتأثير العوامل البيئية والوراثية، وبالرغم من تباين نظريات علم النفس المعرفي من تحديد مراحل تطور التفكير وطبيعتها إلا أن العمليات العقلية والأبنية المعرفية تتتطور بصورة منتظمة أو متسرعة، وتزداد تعقيداً وتشابكاً مع التقدم في مستوى النضج والتعلم، خاصةً إذا اعتمدنا مستوى الصعوبة في نشاطات التفكير أو العمليات العقلية.

ويشدد الباحث «مور» على أن الكمال في التفكير أمر بعيد المنال، وأن إيجاد

حلٌ مُرضٍ لـك كل مشكلة أمر غير ممكـن، وأن الشخص الذي يتوقع إيجاد حلـ لـكـلـ مشـكـلةـ واتـخـاذـ قـرـارـ صـائـبـ فيـ كـلـ مـرـةـ هوـ شـخـصـ غـيرـ وـاقـعـيـ يـشـبـهـ لـاعـبـ كـرـةـ السـلـةـ الـذـيـ يـتـوـقـعـ أـنـ يـسـجـلـ فـيـ كـلـ مـرـةـ يـسـدـدـ فـيـهاـ كـرـتهـ بـاتـجـاهـ الـهـدـفـ.

تصنيف التفكير من حيث الفاعلية:

١) تفكير فعال: وهو التفكير الذي يتحقق فيه شرطان:

أـ اتباعـ أـسـالـيـبـ منـهـجـيـةـ سـلـيـمـةـ بـشـكـلـ مـعـقـولـ.

بـ استـخـدـامـ أـفـضـلـ مـعـلـومـاتـ المـتـوـفـرـةـ مـنـ حـيـثـ دـقـتـهـاـ وـكـفـاـيـتـهـاـ.

ويـشـبـهـ بـعـضـ الـبـاحـثـينـ بـالـعـزـفـ عـلـىـ آـلـةـ مـوـسـيـقـيـةـ لـكـونـهـ يـتـطـلـبـ التـدـرـيـبـ كـأـسـاسـ لـفـهـمـ أـسـالـيـبـ مـنـ جـهـةـ،ـ وـتـطـوـيرـ الـمـهـارـةـ فـيـ اـسـتـخـدـامـهـاـ مـنـ جـهـةـ أـخـرىـ،ـ غـيرـ أـنـ التـفـكـيرـ فـعـالـ يـتـطـلـبـ بـالـإـضـافـةـ لـإـجـادـةـ مـهـارـاتـ التـفـكـيرـ وـاسـتـرـاتـيـجيـاتـهـ توـافـرـ عـدـدـ مـنـ الـقـابـلـيـاتـ أـوـ التـوـجـيهـاتـ الـشـخـصـيـةـ الـتـيـ يـمـكـنـ تـطـوـيرـهـاـ بـالـتـدـرـيـبـ لـتـدعـيمـ بـرـنـامـجـ تـعـلـيمـ مـهـارـاتـ التـفـكـيرـ.

وقد أورد بعض الباحثين عدداً من هذه القابلities ذكر منها:

١ـ الميلـ لـتـحـدـيدـ الـمـوـضـوعـ أـوـ الـمـشـكـلـةـ بـكـلـ وـضـوحـ.

٢ـ الـحـرـصـ عـلـىـ مـتـابـعـةـ الـاـطـلـاعـ الـجـيدـ عـلـىـ مـوـضـعـ التـفـكـيرـ.

٣ـ اـسـتـخـدـامـ مـصـادـرـ مـوـثـوقـةـ لـلـمـعـلـومـاتـ.

٤ـ الـبـحـثـ عـنـ عـدـدـ بـدـائـلـ وـفـحـصـهـاـ بـاـهـتمـامـ.

٥ـ الـبـحـثـ عـنـ الـأـسـبـابـ وـعـرـضـهـاـ.

٦ـ الـمـرـاجـعـةـ الـمـتـأـنـيـةـ لـوـجـهـاتـ النـظـرـ الـمـخـتـلـفـةـ.

- ٧- الانفتاح على الأفكار والمداخلات الجديدة.
- ٨- الاستعداد لتعديل الموقف أو القرار عند توافر معطيات وأدلة موجبة لذلك.
- ٩- إصدار الأحكام واتخاذ القرارات في ضوء الأهداف والواقع، ليس في ضوء مفاهيم جامدة أو رغبات شخصية أو عواطف.
- ١٠- الالتزام بالموضوعية.
- ١١- المثابرة في حل المشكلة والإصرار على متابعة التفكير فيها حتى النهاية.
- ١٢- تأجيل اتخاذ القرار أو الحكم عند الافتقار للأدلة الكافية أو الاستدلال المناسب.
- (٢) تفكير غير فعال: إن التفكير غير الفعال هو التفكير الذي لا يتبع منهجية دقيقة، وينبئ على مغالطات أو افتراضات باطلة أو متناقضة أو ادعاءات وحجج غير متصلة بالموضوع، أو يعرف بالتوصل إلى استنتاجات ليست مبررة أو إعطاء تعليمات وأحكام متسرعة، أو تبسيط الأمور المركبة، أو ترك الأمور للزمن والحوادث لمعالجتها.
- وأورد الباحثون عدداً كبيراً من السلوكيات المرتبطة بالتفكير غير الفعال، من بينها:

- التضليل وإساءة استخدام الدعاية لتوجيه النقاش بعيداً عن الموضوع الرئيس.
- اللجوء إلى القوة والتهجم الشخصي أو الجماعي بغض إجهاض فكرة أو رأي.
- إساءة استخدام اللغة بقصد أو من غير قصد للابتعد عن صلب الموضوع أو الإيحاء أو الوصف والتقويم المجافي للحقيقة.

- التردد في اتخاذ القرار المناسب ولو كان قراراً مؤقتاً في ضوء الأدلة المتاحة وهذا ما يسمى بـ «القرار من غير قرار».
 - اللجوء إلى حسم المواقف على طريقة «أبيض - أسود» أو «صح - خطأ» مع إمكانية وجود عدة خيارات.
 - وضع فرضيات مخالفة للواقع، أو الاستناد إلى فرضيات مغلوبة أو مبالغ فيها لرفض فكرة ما.
 - التبسيط الزائد لمشكلات معقدة.
 - الاعتماد على الأمثال أو الأقوال المعروفة في اتخاذ القرار دون اعتبار لخصوصيات الموقف.
- (٣) التفكير المركب وأنواعه:
- هناك خمس مهارات للتفكير المركب وهي:
- أ- التفكير فوق المعرفي.
 - ب- التفكير الإبداعي أو المتباعد.
 - ج- حل المشكلة.
 - د- اتخاذ القرار.
 - هـ- التفكير الناقد.

ويشتمل كل واحد من هذه الأنواع على عدد من مهارات التفكير التي تميزه عن غيره، وقد يكون مناسباً أن نشير إلى وجود حالة من الخلط لدى المربين والمعلمين في استخدام كلمات «عملية» و«مهارة» عند وصفهم لنشاطات التفكير. إذ من المفترض استخدام كلمة «عملية» لوصف المهارات الأساسية الخمسة

للتفكير المركب، بينما تشير كلمة «مهارة» إلى المهارات الفرعية المرتبطة بكل واحدة من عمليات التفكير أو استراتيجياته الرئيسية.

ونظراً لأن التفكير في «حل المشكلة» و«اتخاذ القرار» يتطلب القيام بسلسلة من الخطوات المتتابعة في معظم الأحيان، فإنه من الممكن تصنيف هذين النوعين من أنواع التفكير المركب ضمن استراتيجيات التفكير التي تضم بالإضافة إليهما عملية «تكوين المفاهيم».

وسواء أصنفت كاستراتيجيات أو كعمليات، فإنها تميّز عن مهارات التفكير الأساسية بما يلي:

١) إن استراتيجيات التفكير أكثر تعقيداً من مهارات التفكير، وتتألف من مجموعة مهارات رئيسة يتفرع عن كل منها مهارات أخرى من مستوى أدنى.

٢) يتطلب تطبيق استراتيجية التفكير وفق نسق معين من الخطوات المتتالية على الأغلب، وقد لا يتم التقييد بتسلسل الخطوات في بعض الأحيان، وقد يعاد تنفيذ الخطوات أو يكرر بطريقة أو بأخرى حتى يتم التوصل إلى النتيجة المرجوة.

٣) يمثل تطبيق الاستراتيجية أحد الوظائف الأساسية للتفكير الهدف والمنظم.

٤) يتطلب تطبيق الاستراتيجية استخدام عدد من مهارات التفكير الأساسية، بصورة منفردة أو مجتمعة التي تدرج تحت نوع أو أكثر من أنواع التفكير المركب.

أما مهارات التفكير الأساسية فهي أقل صعوبةً من استراتيجيات التفكير أو عمليات التفكير المركبة، ولكنها تتفاوت فيما بينها من حيث مستوى الصعوبة أو التعقيد وتضم مهارات التفكير الأساسية ما يلي:

- مهارات الاستدلال التي تعود جذورها إلى علم المنطق والفلسفة.
- مهارات التفكير الناقد.
- مهارات التفكير فوق المعرفية.

منشأ الخطأ في التفكير:

ينشا الخطأ في التفكير عن أحد أمرين:

- المعلومات: قد يعتمد الإنسان في مقام التفكير والاستدلال على معلومات خاطئة في نفسها، وحينئذ تكون نتائج تفكيره واستدلالاته خاطئةً بعًا لفساد المعلومات التي جعل منها مقدمةً للوصول إلى النتائج، فلو اتفق أن الطريقة المعتمدة في عملية التفكير صحيحة فإن ذلك لن يجدي نفعًا بعد أن كانت مواد التفكير فاسدة، فكما أن النجار لو رسم شكلًا بدليعاً لكرسي إلا أنه اختار له خشبًا ردئًا منخورًا فإن إتقان الشكل وضبط المقاييس لن ينتج كرسيًا صالحًا بعد أن كانت مادته فاسدة.

وهذا هو الحال بالنسبة للتفكير، فعندما تكون مواده - أي المعلومات المعتمدة - باطلة، فإن اعتماد الضوابط المنطقية لن ينتج أفكارًا ومعلومات صحيحة، فمثلاً: لو كنا نجهل أن زيدًا يبيض أو يولد فإن علينا لغرض الوصول للجواب الرجوع إلى معلوماتنا ثم ترتيبها، فلو كانت معلوماتنا أن كل إنسان يبيض، وأن زيدًا إنسان فإنه يمكن أن نشكل قياساً منطقياً هو أن زيدًا إنسان، وكل إنسان يبيض، فالنتيجة هي أن زيدًا يبيض، وهذه النتيجة فاسدة إلا أن فسادها لم ينشأ من عملية التفكير؛ وذلك لأن عملية التفكير كانت وفقاً للقياس المنطقي، ففساد النتيجة إنما نشاً عن فساد

المقدمة، وبذلك يتضح أن الخطأ قد ينشأ عن المعلومات التي اعتمدت مادة للتفكير.

- الطريقة المعتمدة في تنظيم المعلومات الحاضرة في الذهن: لو كانت الطريقة المعتمدة خاطئة، فإن ذلك سيؤدي إلى الخطأ في النتيجة حتى لو كانت مواد التفكير والاستدلال صحيحة؛ أي حتى لو اعتمدنا في مقام التفكير على معلومات صائبة.

فسلامة المقدمات المعتمدة لا يجدي نفعاً إذا تم ترتيبها وربطها بشكل خاطئ أو إذا كانت المعلومات لا تَمُت للنتيجة بصلة.

يقول صاحب كتاب مقدمة في المنطق: «لو كنا نجهل أن المعدن الذهب هل هو حديد أو لا، فلو رجعنا إلى معلوماتنا واخترنا منها قضيتين، الأولى أن الحديد يتمدد بالحرارة، والثانية الذهب يتمدد بالحرارة فاستنتجنا أن الذهب حديد، فإن هذه النتيجة فاسدة إلا أن فسادها لم ينشأ عن فساد المعلومات المعتمدة وإنما نشأ عن شكل القياس والطريقة المنطقية»^(٢٥).

وخلالص القول: إن هذه الآيات جميعها إذا لم يتم ربطها بربطاً سليماً على أساس القواعد والفرضيات التي أعددت لها من قبل المتخصصين فربما لن نجد انموذج ذلك الطفل المبدع وستبقى الآيات مخزونة بين السطور والكتب تنتظر من يصطادها ليطبقها على واقع الحياة.

المواهش:

(١) تعريف خاص بالكاتب.

(٢) مهرتابان ص ٣٦.

- (٣) هي كناية عن فتى قوي ولكنه لا يعمل كما ينبغي، يشبهونه بالفارسية بقولهم «دست خر»، فهو كيد الحمار يريدون أنه قويٌ ولكن لا قيمة له.
- (٤) كتاب الرافد ج ١ ص ١٠٦
- (٥) الإبداع - شركة العريض للكمبيوتر.
- (٦) الإبداع - شركة العريض للكمبيوتر.
- (٧) مقدمة في علم النفس، دراسي الوفقي.
- (٨) أساسيات المنطق للشيخ محمد صنفور، ص ١٦
- (٩) تعريف خاص بالكاتب.
- (١٠) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠.
- (١١) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.
- (١٢) سورة محمد ﷺ، الآية: ٢٤.
- (١٣) سورة الذاريات، الآية: ٢١.
- (١٤) سورة الروم، الآية: ٢٠.
- (١٥) سورة المرسلات، الآية: ٢٠.
- (١٦) سورة يس، الآية: ٧٧.
- (١٧) سورة الإنسان، الآية: ٢.
- (١٨) سورة المؤمنون، الآية: ١٢.
- (١٩) قصص الأنبياء للجزائري، ص ٣٢٨، باب فيه قصص لقمان و حكمه.
- (٢٠) الكافي، باب التفكير، ص ٥٤.
- (٢١) الكافي، كتاب العقل و الجهل، ص ١٠.
- (٢٢) الكافي، باب التفكير، ص ٥٤.
- (٢٣) الكافي، كتاب العقل و الجهل، ص ١٠.
- (٢٤) الكافي، باب التفكير، ص ٥٤.
- (٢٥) مقدمة في المنطق للشيخ محمد صنفور، ص ١٨ - ١٩.

هـٰدِيَةُ الْأَئمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

سعيد جعفر حماد

لا شك بأن أئمة الدين الذين ذكرهم القرآن هداة، بل أن قاعدة اللطف تكون تامة بجعل أئمة هداة إلى الدين، وما ذكر القرآن هداية الأئمة عليهم السلام، واعتناءه بها إلا لمغزى ناشئ من وراء جعلهم أئمة بعد تحقق شرائط خاصة لدفهم سلام الله عليهم، وليس المراد بحث خصائص الإمام بل الإشارة إلى أن هداية الإمام تختلف عن ما يظهر من هداية أو إرادة الطريق من قبل العلماء الذين لم يصلوا إلى درجة الإمام، ولذا خصهم القرآن بوصف الهداية، كما ذكره في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدِيُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِأَيَّاتِنَا يُوقِنُونَ﴾^(١٨٤)

وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدِيُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فَعَلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَوَةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾^(١٨٥). فحتى يعرف نوع هداية الأئمة عليهم السلام وخصائصها لا بد من معرفة معنى بأمرنا المتقيدة الهداية به، وقد اختلف علماء المسلمين في معنى هداية الأئمة التي هي بأمر الله سبحانه، هذا مع غض النظر عن كون المراد من الإمام من هو؟ وأنه هل هو النبي كما عليه مشهور علماء الجمهور، أولاً كما عليه السلفية وبعض السنة والإمامية.

الأقوال في تفسير بأمرنا:

١- يهدون الناس إلى أمر الله، وأختار هذا القول مقاتل بن سليمان في التفسير المنسوب إليه^(١٨٦)، والسمرقندي^(١٨٧)، وابن زمين^(١٨٨)، وناصر الدين السعدي^(١٨٩).

٢- يهدون الناس إلى دين الله، وأختاره البغوي في تفسيره^(١٩٠)، والشنقيطي^(١٩١)، لكن يحتمل رجوع هذا القول إلى القول السابق أي يهدون إلى أمر الله سبحانه وإن كانت الهدية إلى دين الله ظاهرها هداية إلى أصل الدين لا إلى مطلق أمر الله سبحانه، ويظهر هذا القول من ابن حيان الأندلسي أيضاً^(١٩٢)، والسيوطى^(١٩٣).

٣- يهدون بأمر الله إياهم بهداية الناس، اختيار هذا القول قتادة^(١٩٤)، ويظهر من الشيخ الطوسي الميل إلى هذا الرأي^(١٩٥)، وأختاره الطبرسى^(١٩٦)، والفپیض الكاشانی^(١٩٧)، والسيد عبد الله شبر^(١٩٨)، والسعانی في أحد قوله^(١٩٩)، وابن الجوزی^(٢٠٠)، والقرطبی في أحد قوله^(٢٠١)، والزمخشري^(٢٠٢)، والبیضاوی^(٢٠٣)، وأبی السعود^(٢٠٤)، والآلوسی^(٢٠٥)، والشوکانی^(٢٠٦)، وشرف الدین^(٢٠٧)، والشيخ مکارم الشیرازی^(٢٠٨).

٤- يهدون الناس بإذن الله تعالى اختياره الطبری^(٢٠٩)، والغرناطی^(٢١٠)، وابن کثیر^(٢١١)، لكن يحتمل رجوع هذا القول إلى أنهم يهدون بأمر الله إياهم كما يظهر هذا من الفخر الرازی قال: أي جعلناهم أئمة يدعون الناس إلى دین الله تعالى والخيرات بأمرنا وإذننا^(٢١٢).

٥- يهدون بوحينا اختياره السمعانی في قوله الثاني^(٢١٣)، والقرطبی في قوله الآخر بعبارة صریحة قال: ومعنى **﴿بِأَمْرِنَا﴾** أي بما أنزلنا عليهم من الوحي والامر والنهي، فكأنه قال يهدون بكتابنا^(٢١٤).

وهذه الأقوال الخمسة وإن وقع بينها اختلاف إجمالاً إلا أنها ترجع إلى كون الأمر هو أمر تشريعی، وإلى أن هداية الأئمة علیهم هداية تشريعیة، ولم تعتمد هذه

الأقوال على دليل سوى الاستظهار من الآية وسياقها، وأما القول السادس الذي سيأتيك فهو رأي جديد في تفسير الأمر والهداية.

٦- ما ذهب إليه العلامة الطباطبائي رحمه الله بأن الأمر في الآية يتعلق بالوجود والتكون، وهو الأمر المبين في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرٌ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢١٥)، وأن هداية الأئمة المرادة في الآية الكريمة هي الهداية التكوينية لا الهداية التشريعية، بمعنى أن من أمثل الشريعة فإن حصوله على الهداية التكوينية بتصريف تكويني من الإمام عليه السلام ، كذلك حصول عمله على الهداية التكوينية بتصريف منه، قال في تفسير الآية:

أن هذه الهداية المجعلة من شؤون الإمامة ليست هي بمعنى اراءة الطريق لأن الله سبحانه جعل إبراهيم عليه السلام إماما بعد ما جعله نبيا - كما أوضحتنا في تفسير قوله: "إني جاعلك للناس إماما" فيما تقدم - ولا تفك النبوة عن الهداية بمعنى اراءة الطريق فلا يبقى للإمام إلا الهداية بمعنى الإيصال إلى المطلوب وهي نوع تصريف تكويني في النفوس بتسييرها في سير الكمال ونقلها من موقف معنوي إلى موقف آخر. وإذا كانت تصرفاً تكوينياً و عملاً باطانياً فالمراد بالأمر الذي تكون به الهداية ليس هو الأمر التشريعي الاعتباري بل ما يفسره في قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرٌ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، فَسَبَحَانَ الَّذِي يَدِهِ مَلْكُوتُ كُلٌّ شَيْءٌ...﴾، فهو الفيوضات المعنوية والمقامات الباطنية التي يهتدي إليها المؤمنون بأعمالهم الصالحة ويتلبسون بها رحمة من ربهم^(٢١٦).

وقال أيضاً: الإمام هاد يهدي بأمر ملكتي يصاحبه، فالإماماة بحسب الباطن نحو ولالية للناس في أعمالهم، وهدايتها إيصالها إليهم إلى المطلوب بأمر الله، دون

مجرد إرادة الطريق الذي هو شأن النبي والرسول وكل مؤمن يهدي إلى الله سبحانه
بالنصح والموعظة الحسنة.

والأجل توضيح عمق ما يذهب إليه السيد الطباطبائي رحمه الله لابد من بيان أقسام
الهداية، ثم علاقة هداية الأئمة بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ
كُنْ فَيَكُونُ﴾.

أقسام الهداية

تنقسم الهداية على الإجمال إلى ثلاثة أقسام ^(٢١٧) الهداية التكوينية العامة،
والهداية التشريعية العامة، والهداية التكوينية الخاصة:

الهداية التكوينية العامة:

هي هداية جميع المخلوقات إلى مقاصدها التي خلقت لها، فتسير نحو غياتها
بهداية من الله سبحانه، والله سبحانه فطر المخلوقات عليها، قال سبحانه على لسان نبيه
موسى عليه السلام: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ ^(٢١٨) وقال: ﴿الَّذِي
خَلَقَ فَسَوَّى، وَالَّذِي قَدَرَ فَهَدَى﴾ ^(٢١٩) فالله سبحانه خلق المخلوقات بتقدير معين،
وبهداية عامة، وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجَبَالِ
بُيوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرُشُونَ، ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ
رَبِّكَ ذُلْلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونَهَا شَرَابٌ مُّخْتَفِفٌ الْوَانُهُ فِيهِ شَفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَا يَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ^(٢٢٠). ففعل النحل بهداية تكوينية عامة.

ولما أودع الله سبحانه العقل عند الإنسان وجعله مكلفاً شملت الهداية العامة

للإنسان الصعيد المادي والمعنوي، قال تعالى: ﴿لَمْ نُجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ، وَلِسَانًا وَشَفَّتَيْنِ، وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(٢١) فالإنسان يبصر بالعينين أثار خلقه وحكمه، ويبيّن باللسان ويستعين بالشفتين لإبراز البيان، وهديناه النجدين أي ووضحنا للإنسان سبيل الخير والشر، فالإنسان بفطنته يدرك الخير والشر، أو الحسن والقبح.

الهداية التشريعية العامة

وهي الهداية التي تعم جميع المكلفين، ويحصل عليها الإنسان عن طريق الأنبياء والأوصياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًاٰ بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُولَمُ النَّاسُ بِالْقُسْطِ﴾^(٢٢)، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢٣) وقال: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^(٢٤) فالشريعة الإلهية هي الهداية الطريق الصحيح الموصل لسعادة المكلف في نشأة الدنيا والآخرة.

الهداية التكوينية الخاصة

وهي الهداية المترتبة على عمل الإنسان وإن حصلت له من غير اختيار، فهذه الهداية لا تشمل جميع المكلفين، وإنما من استثار بالهداية التشريعية وجسدها في واقعه العملي فتتاله الهداية الخاصة بقدر سعيه لامتثال الشريعة، فكلما قوى تممسكه في الميدان العملي للتعاليم الإلهية كلما زادت هدايته الخاصة والمتمثلة بالفيوضات الإلهية والعناية الربانية، وسلوكه روحه درجة ومقام أرفع فيفتح الله له أبواباً من نور هدايته، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِي نَهْدِي نَهْمُ سُبُّلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ

الْمُحْسِنِينَ^(٢٢٥) وَقَالَ: **وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى**^(٢٢٦) وَقَالَ: **إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ**
آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزَدْنَاهُمْ هُدًى^(٢٢٧) وَقَالَ: **اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ**
مَنْ يُنِيبُ^(٢٢٨) فَإِنْ هَذِهِ الْهُدَايَا تَحْصُلُ لِلنَّاسِ بِقَدْرِ إِنْابَتِهِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْهُ
 وَاهْتَدَاهُ بِالْهُدَايَا التَّشْرِيعِيَّةِ، فَلَهُذِهِ الْهُدَايَا مَرَاتِبٌ كَثِيرَةٌ بِقَدْرِ تَفْوَاتِ النَّاسِ
 وَاخْتِلَافِهِمْ فِي قُوَّةِ التَّمْسِكِ بِالْشَّرِيعَةِ.

فتختلف الهدایة التشريعیة عن الهدایة التکوینیة، فی أن الهدایة التشريعیة هدایة
 إلى المعرفة الإلهیة العامة، والعلوم الربانیة، والأحكام التکلیفیة، من غير تصرّف
 تکوینی في قلب المکلف ونفسه، ويكون المکلف باختیاره العمل على وفق هذه
 الهدایة، أما الهدایة التکوینیة فإنها تصرّف تکوینی في النفس، ولا يكون حصولها
 للمکلف باختیاره.

الأمر في مراتب الهدایة والضلال

الإنسان الذي استفاد من نور الهدایة العامة الفطرية يصل إلى مقام الاستعداد
 للتمسك بالهدایة التشريعیة، وإذا استنار الإنسان بالهدایة التشريعیة وعمل على وفقها
 انتقل إلى مقام أرقى في الفیوضات والألطاف الإلهیة، لكن حصول بعض مراتب
 الهدایة التکوینیة أو الضلال التکوینی الناتج عن سوء اختيار الإنسان وظلمه يعني
 استقرار الإنسان في تلك المرتبة والمقام، وليس جهة وجوده في ذلك المقام هي
 الجهة الماديَّة إذ تَغَيَّرَ النفس في الاستعداد للطاعة ليس محسوساً، بل جهة وجوده
 في ذلك المقام هي جهة الوجود الباطني على تعبير السيد الطباطبائي، فإن
 المخلوقات كلها حتى الأفعال لوجودها جهتان، جهة الوجود المادي الخاضع

لتحديد الزمان والمكان والقابل للتغير والتبدل، وجهة الوجود الباطني غير المتعين بالزمان والمكان والذي لا يقبل التبدل والتغير وهو الوجه الذي يواجه به الله سبحانه وإن المخلوقات بهذا الوجه تنسب إلى الله تعالى وتقوم به، وهذا الوجود الباطني هو الوجود الملكوتي وهو المراد من الأمر (كن) في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ وقول الله سبحانه عنه فعله، وهو إيجاده للشيء وإيجاده للشيء هو وجود الشيء^(٢٢٩) لكن من جهة إسناده إلى الله تعالى، وإنما يطلق عليه اسم الملكوت حيث أن الله تعالى عبر عنه بذلك^(٢٣٠) في قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢٣١)، وذكر الله سبحانه أنه أرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض قال: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُؤْقِنِينَ﴾^(٢٣٢) فإن إبراهيم الخليل سأل عن كيفية الإيجاد وتأثير السبب^(٢٣٣) فأطلع الله إبراهيم ملكوت الأشياء، وإدراك واقعها يلازم اليقين، وهذا ما يستفاد من كلام الطباطبي، حيث قال:

وقد ذكر الله في تالي الآية إن هذه الكلمة - كلمة كن - هي ملكوت كل شيء إذ قال: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الآية، وقد ذكر الله تعالى أنه أرى إبراهيم ملكوت خلقه إذ قال: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُؤْقِنِينَ﴾، ومن الملكوت إحياء الطيور المذكورة في الآية^(٢٣٤).

وقال في تفسير الأمر في آية ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٢٣٥):

ان الامر الإلهي وهو الذي تسميه الآية المذكورة بالملكون وجه آخر للخلق، يواجهون به الله سبحانه، طاهر مطهر من قيود الزمان والمكان، خال من التغير والتبديل وهو المراد بكلمة - كن الذي ليس إلا وجود الشيء العيني، وهو قبال الخلق الذي هو وجه آخر من وجهي الأشياء فيه التغيير والتدرج والانطباق على قوانين الحركة والزمان^(٢٣٦).

وقال في مورد آخر يفسّر فيه الأمر:

وقد فسر سبحانه أمره الذي يملكه من الأشياء بقوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ...﴾ فبين أن أمره الذي يملكه من كل شيء سواء كان ذاتاً أو صفة أو فعل أو أثراً هو قول: كن، وكلمة الإيجاد، وهو الوجود الذي يفيضه عليه فيوجد هو به، فإذا قال لشيء: كن فكان، فقد أفضى إليه ما وجد به من الوجود، وهذا الوجود الموهوب له نسبة إلى الله سبحانه وهو بذلك الاعتبار أمره تعالى وكلمة "كن" الإلهية، ولها نسبة إلى الشيء الموجود، وهو بذلك الاعتبار أمره الراجع إلى ربه، وقد عبر عنه في الآية بقوله ﴿فَيَكُونُ﴾^(٢٣٧).

وتحصل مما تقدم بأن نسبة مرتبة من الهدایة التکوینی او الضلال التکوینی إلى الإنسان او فعله هو وجود الإنسان او فعله في تلك المرتبة والمقام ولكن الوجود الباطني والملکوتي.

الانتقال والتغيير في المراتب:

إن الانتقال والتغيير للإنسان في المراتب التکوینیة للهدایة أو للضلال لا يكون

إلا بعلة، أي بتصرف من الله سبحانه أو من يكل إليه تدبير ذلك، فإن الإنسان بعد عمله يصل إلى غايته بعلة وكذلك عمله الصادر منه يصل إلى غايته بعلة، والعلة هي الإمام عَلِيُّ شَافِعٌ الذي يسوق الناس والأعمال إلى غايتها من خلال ولايته التكوينية وإيكال أمر هداية الناس إليه، وفي ذلك يقول الطاطبائي:

فقوله تعالى: ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾، يدل دلالة واضحة على أن كل ما يتعلق به أمر الهدایة - وهو القلوب والأعمال - فللامام باطنه وحقيقة، ووجهه الأمری حاضر عنده غير غائب عنه، ومن المعلوم أن القلوب والأعمال كسائر الأشياء في كونها ذات وجهين، فالإمام يحضر عنده ويتحقق به أعمال العباد، خيرها وشرها، وهو المهيمن على السبيلين جميعاً، سبل السعادة وسبيل الشقاوة... فالإمام هو الذي يسوق الناس إلى الله سبحانه يوم تبلى السرائر، كما أنه يسوقهم إليه في ظاهر هذه الحياة الدنيا وباطنها^(٢٣٨).

ويصف هداية الأئمة بقوله: هي نوع تصرف تكويني في النفوس بتسخيرها في سير الكمال ونقلها من موقف معنوي إلى موقف آخر.... فالمراد بالامر الذي تكون به الهدایة ليس هو الامر التشريعي الاعتباري بل ما يفسره في قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ...﴾، فهو الفيوضات المعنوية والمقامات الباطنية التي يهتدي إليها المؤمنون بأعمالهم الصالحة ويتلبسون بها رحمة من ربهم.... فالإمام هو الرابط بين الناس وبين ربهم في إعطاء الفيوضات الباطنية وأخذها كما أن النبي رابط بين الناس وبين ربهم فيأخذ الفيوضات الظاهرة وهي الشرائع الإلهية تنزل بالوحى على النبي وتنتشر منه وبتوسطه إلى الناس وفيهم، والإمام دليل هاد للنفوس إلى مقاماتها كما أن النبي

دليل يهدي الناس إلى الاعتقادات الحقة والأعمال الصالحة، وربما تجتمع النبوة
والإمامية كما في إبراهيم وابنيه^(٢٣٩).

وبعبارة سهلة إن الإنسان إذا دأب في رضا الله سبحانه من خلال التزام امتناع
الشريعة فإن نفسه تحصل لها استعدادات للطاعة وللكلمات أكثر مما كانت عليه
قبل الدأب في الالتزام، وحصول هذه الحالة بتصرف وإيجاد من الإمام عَلَيْهِ الْكَلَمَ^(٢٤٠) ، وإذا
كان عمل الإنسان في المعاصي فإن النتيجة عكسية، وكذلك أفعال الإنسان تصل
إلى غايتها بواسطة الإمام عَلَيْهِ الْكَلَمَ^(٢٤١).

أدلة المدعى:

إن ما يدعوه العلامة من تعريف هداية الإمام عَلَيْهِ الْكَلَمَ ومعنى الأمر الذي تكون
هداية الإمام به يحتاج إلى أدلة واضحة المعالم، والسيد لم يصرح بعرض الأدلة
કأدلة على ما يراه، ولكن يتحمل من كلامه الاستدلال على أن الأمر أمر تكويني
تارة وعلى أن الهداية هداية تكوينية تارة أخرى بعدة وجوه وهي:

الأول: إن إسناد الأمر إلى الله في قوله تعالى يهدون بأمرنا كإسناده في بعض
الموارد الآخر، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾ وقوله: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا
وَاحِدَةٌ كَلَمْحٌ بِالْبَصَرِ﴾ فكما أن الأمر في هذه الموارد أمر تكويني كذلك في
يهدون بأمرنا^(٢٤١)، وذلك أن السيد الطباطبائي في عرضه لتفسير الأمر في ﴿يَهُدُونَ
بِأَمْرِنَا﴾ أورد هاتين الآيتين^(٢٤٢).

الثاني: يستفاد من سياق الآية أن هداية الإمام بأمر الله تفسر إمامية الإمام، فيكون
المراد من الهداية هداية تخص الإمام، وهداية الإمام ليست هي أراءة الطريق، إذ لا

يختص ذلك بالإمام، فإن النبي الذي ليس بإمام يمكن أن يكون هادياً بل حتى الصالحين من الممكن أن يكونوا هادين للهداية التشريعية، بل المراد من هداية الإمام الهدایة التکوینیة، والمراد بالأمر هو الأمر التکوینی، قال:

و ظاهر قوله: ﴿أَئِمَّةٌ يَهُدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أن الهداية بالأمر يجري مجرى المفسر لمعنى الإمامة،...أن هذه الهداية المجعلة من شؤون الإمامة ليست هي بمعنى ارادة الطريق لأن الله سبحانه جعل إبراهيم عليه السلام إماماً بعد ما جعله نبياً - كما أوضحته في تفسير قوله: "إني جاعل لك للناس إماماً" فيما تقدم - ولا تنفك النبوة عن الهداية بمعنى إرادة الطريق فلا يبقى للإمام إلا الهداية بمعنى الإيصال إلى المطلوب وهي نوع تصرف تکوینی في النفوس بتسخيرها في سير الكمال ونقلها من موقف معنوي إلى موقف آخر. وإذا كانت تصرفات تکویننا و عملاً باطننا فالمراد بالأمر الذي تكون به الهداية ليس هو الأمر التشريعي الاعتباري بل ما يفسره في قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ...﴾.

الثالث: يستفاد من سياق الآية أن هداية الإمام هي الهداية بالحق المراد في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَبَّعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾^(٢٤٣) فهذه الآية تدل على أن المهتدى بذاته هو الهدادي، وأما إذا كان

مهتدياً بغيره فهو ليس بهاد، ولا تكون هذه الهداية إلا الهداية التکوینیة، قال: إن هذا المعنى يعني الإمام، على شرافته وعظمته، لا يقوم إلا بمن كان سعيد الذات بنفسه، إذ الذي ربما تلبس ذاته بالظلم والشقاء، وإنما سعادته بهداية من غيره، وقد قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَبَّعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾ وقد قوبل في الآية بين الهدادي إلى الحق وبين غير المهتدى إلا

بغيره، أعني المهدى بغيره، وهذه المقابلة تقتضي أن يكون الهدى إلى الحق مهدياً بنفسه، أن المهدى بغيره لا يكون هادياً إلى الحق البتة^(٢٤٤).

ثم إن السيد الطاطبائى استدرك على نفسه في المقام إشكالاً ورداً^(٢٤٥)، ومفاد الإشكال إنه لا يلزم على الهدى إلا أن يكون مهدياً بنفسه وهو معصوم، وهذا المعنى متحقق في الأنبياء فيلزم كون جميع الأنبياء أئمة، ورداً بكون الهدایة بالحق وهي هدایة الإمام كاشفة على كون الإمام مهدياً بنفسه، ولكن لا تكشف عن كون كل مهدي بنفسه فهو إمام، فيفهم من كلامه أن المراد من هذه الهدایة في **﴿أَفَمَنْ يَهْدِي...﴾** هي الهدایة الخاصة بالإمام وقد فسرها فيما مضى بالهدایة التكوينية، فتكون هذه الآية شاهداً على ما يدعى.

الرابع: قوله تعالى **﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ، إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِيْنِ﴾**^(٢٤٦) كلام إبراهيم هذا قبل أن يجعله الله إماماً، فأعلم قومه ببراءته مما يعبدون وأخبرهم بأن الله سوف يهديه في المستقبل، وهذه الهدایة ليست الهدایة التشريعية لأن الهدایة التشريعية حاصلة له لأنه يتبرأ من أفعال قومه، بل المراد هو الهدایة التي هي بأمر الله أي الهدایة التكوينية المقترنة بالإمامـة^(٢٤٧).

مناقشة الأدلة:

كلام العلامة رحمه الله يوجد عليه بعض الملاحظات:

أما الوجه الأول: ففيه إن إسناد الأمر إلى الله تعالى لا يعني الأمر التكويني والإيجادي دائماً لا من الظهور العرفي ولا من الاستعمالات القرآنية، بل إن الظهور العرفي في تعليق عمل المكلف على أمر الله هو الأمر التشريعي، وأما في

الاستعمالات القرآنية فقد جاء أمر الله بمعنى الأمر التشريعي مثل قوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ افْتَلُوا فَأَصْلَحُوهَا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتَلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفْيِئَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوهَا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٢٤٨) وقال تعالى بعد أن بين حكم الطلاق والرجعة والعدة: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾^(٢٤٩) والسيد الطباطبائي يقرّ بأن أمر الله هنا يعني الحكم التشريعي^(٢٥٠) وهو متفق عليه عند المفسرين، فلا ينصرف إلى الأمر التكويني بمجرد إطلاق أمر الله في القرآن.

وأما قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فإن المراد من مادة الأمر في الآية الكريمة هو الشأن والسيد الطباطبائي يقر بذلك^(٢٥١)، نعم السيد يرى بأن المراد من الأمر في ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ هو صيغة الأمر (كن) في آية ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا...﴾ ولذا فمن بعيد جداً أن يرى السيد الطباطبائي وجه الأمر التكويني في إسناد الأمر إلى الله تعالى.

الوجه الثاني: ويبدو أنه من أقوى الوجوه لكن مع ذلك يرد عليه:

أولاً: لا مانع من أن تكون هداية الإمام تكميلية لهداية النبي والرسول، وبعد إتمام الرسالة بالنبي فلا بد من إمام يكون مرشدًا إلى واقع الأمر وهادياً إليه دائمًا، لما لديه من الاستعداد، ومفترض الطاعة على العباد، حتى لا يدخل عباد الله في ضلال ولا تيه، فتحتختلف وظيفة الإمام عن وظيفة النبي في أنها هداية تكميلية، ولا يبلغ هذا الإهداء العلماء المؤمنين إذا لم يكونوا أئمة من قبل الله، إذ إنهم غير معصومين فلا يؤمنون من وقوعهم في الخطأ، ولا تتحقق الهداية الواقعية لطاعة الله

بغير الإمام وخليفة الرحمن، والعلماء الذين يرشدون إلى الأحكام إنما يريدون أن يرشدون إلى ما يهدي إليه الإمام عَلِيُّهُ عَلِيُّهُ عَلِيُّهُ.

وقد صرحت كثير من الروايات على خصائص هداية الإمام التشريعية منها:

منها صحيحة بريد العجلي، عن أبي جعفر عَلِيُّهُ عَلِيُّهُ عَلِيُّهُ:

في قول الله عَزَّوجَلَّ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلَكُلُّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ فقال: رسول الله عَلِيُّهُ عَلِيُّهُ عَلِيُّهُ المنذر ولكل زمان مَنَّا هاد يهديهم إلى ما جاء به نبي الله عَلِيُّهُ عَلِيُّهُ عَلِيُّهُ ، ثم الهداة من بعده علي ثم الأووصياء واحد بعد واحد (٢٥٢).

ومنها صحيحة محمد بن مسلم عن أبي جعفر عَلِيُّهُ عَلِيُّهُ عَلِيُّهُ في خطبة (جاء فيها):

بلغ رسول الله عَلِيُّهُ عَلِيُّهُ عَلِيُّهُ الذي ارسل به فألزموا وصيته وما ترك فيكم من بعده من الثقلين كتاب الله وأهل بيته اللذين لا يضل من تمسك بهما ولا يهتدى من تركهما...الخ

و واضح بأن هداية القرآن الكريم هداية تشريعية، فكذلك هداية الأئمة عَلِيُّهُ عَلِيُّهُ عَلِيُّهُ حيث قرروا بالقرآن.

ومنها ما يرويه الكليني عن عبد العزيز بن مسلم في خطبة للإمام الرضا عَلِيُّهُ عَلِيُّهُ عَلِيُّهُ جاء فيها:

إن الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم يوفقهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتيه غيرهم، فيكون علمهم فوق علم أهل الزمان في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْنَ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (٢٥٣).

ثانياً: لهداية الإمام التشريعية خصوصية أخرى لا تكون عند غيره من سوى الأنبياء والرسول، وهي ترتب الهداية التكوينية على طاعة أمره، ولا تترتب الهداية على طاعة غيره، ذلك إن الله سبحانه جعلهم الطريق إليه وبابه، ولا يقبل الله أن يؤتى إلا من بابه كما دلت على ذلك بعض الروايات منها رواية أبي ليلى عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث جاء فيه:

إن الله تبارك وتعالى أخبر العباد بطرق الهدى وشرع لهم فيها المنار، وأخبرهم كيف يسلكون، فقال: ﴿وَإِنِّي لَغَفَارٌ لِمَنْ تَابَ وَأَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ وقال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ فمن اتقى الله فيما أمره لقي الله مؤمنا بما جاء به محمد عليه السلام ، هيئات هيئات فاتت قوم وما توا قبل أن يهتدوا وظنوا أنهم آمنوا، وأشار كوا من حيث لا يعلمون، إنه من أتى البيوت من أبوابها اهتدى، ومن أخذ في غيرها سلك طريق الردى، وصل الله طاعةولي أمره بطاعة رسوله، وطاعة رسوله بطاعته، فمن ترك طاعة ولاة الأمر لم يطع الله ولا رسوله..الخ (٢٥٤).

ومنها صحيحة إسحاق بن غالب، عن أبي عبد الله عليه السلام في خطبة له يذكر فيها حال الأئمة عليه السلام وصفاتهم:

أن الله عز وجل أوضح بأئمة الهدى من أهل بيته نبينا عن دينه، وأبلغ بهم عن سبيل منهاجه، وفتح بهم عن باطن ينابيع علمه، فمن عرف من أمة محمد عليه السلام واجب حق إمامه، وجد طعم حلاوة إيمانه، وعلم فضل طلاوة إسلامه، لأن الله تبارك وتعالى نصب الإمام علما لخلقه، وجعله حجة على أهل مواده وعالمه، وألبسه الله تاج الوقار، وغشاه من نور الجبار، يمد بسبب إلى السماء، ولا ينقطع عنه مواده، ولا ينال ما عند الله إلا بجهة أسبابه، ولا يقبل الله أعمال العباد إلا بمعرفته،

فهو عالم بما يرد عليه من ملتبسات الدجى، ومعنيات السنن، ومشبهات الفتن...الخ^(٢٥٥).

وفي مضمون هذه الروايات روايات متعددة.

ثالثاً: إن مورد الآية وردت فيه رواية تدل على إرشادية الهدایة عن الضلال

والغواية، يرويها الكليني بسنده إلى طلحة بن زيد عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال:

إن الأئمة في كتاب الله عز وجل إمامان قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ

أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ لا بأمر الناس يقدمون أمر الله قبل أمرهم، وحكم الله قبل

حكمهم، قال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ يقدمون أمرهم قبل أمر الله،

وحكمهم قبل حكم الله، ويأخذون بأهوائهم خلاف ما في كتاب الله عز وجل^(٢٥٦).

قوله بأمر الله في مقابل أمر الناس يدل على أن الأمر أمر تشرعي، إذ لا أمر

تكويني للناس، وكذلك ظهور يقدمون أمر الله ظاهر في أن الأمر أمر تشرعي،

وكذلك مقابلة إمام الهدایة لإمام الغواية، فإن إمام الغواية يدعو إلى النار لا بأمر

تكويني وإنما تقديم الهوى وتزيشه.

أما الوجه الثالث: فيرد عليه أولاً: أن قوله تعالى ﴿إِنَّمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ

أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾ ليس فيه ظهور على أن من يهدي بهدي

غيره لا يمكن أن يهدي، ولذا يرى الشيخ الطوسي والطبرسي والزمخشري أن

معنى ﴿أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾ لا يهدي إلا بعد أن يهدي^(٢٥٧)، أي أنه بعد

أن يهدي يمكن أن يهدي، وإن رجع هديه إلى هدي من يهدي بنفسه، والظاهر أن

الآية في مقام بيان أن الذي يهدي على كل حال أحق أن يتبع من لا يهدي، بل

من لا يهدي في حاجة إلى الهدایة فكيف يهدي غيره، وبيان الأولوية في الإتباع

لجهة معينة يفترض أن هذه الجهة تختلف عن الجهة أو الجهات الأخرى، وأما من اهتدى بغيره فهو يمكن أن يهدى ولكن بهدي من يهدى على كل حال فلا يمكن أن يخالف هديه هدي من اهتدى به، وإلا لزم كونه غير مهتم.

ثانياً: حتى لو قلنا بأن من اهتدى بغيره لا يمكن أن يهدى فإن الظاهر من الهدایة في الآية هي الهدایة التشريعیة والهدایة لبيان الأحكام والحقائق والواقعیات، لأن فرض الإتباع في الهدایة يعني اختيار المكلف في الإتباع، ولا يكون المكلف مختاراً في إتباع الهدایة إلا إذا كانت الهدایة تشريعیة.

ثالثاً: قد دل ظهور بعض الروایات المستعرضة للآیة الكریمة على أن الهدایة هي الهدایة التشريعیة منها ما تقدم من روایة عبد العزیز بن مسلم، فجاء فيها: إن الأنبياء والأئمّة صلوات الله عليهم يوفّقهم الله ويوتّهم من مخزون علمه وحکمه ما لا يوتّه غيرهم، فيكون علّهم فوق علم أهل الزمان في قوله تعالى:

﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ﴾...الخ^(٢٥٨).

ومنها ما جاء في صحیحة إسحاق بن غالب من خبطه للإمام الصادق علیه السلام يبین فيها صفة الإمام الذي يهدي بالحق فجاء فيها:

كل ما مضى منهم^(٢٥٩) إمام نصب لخلقـه من عقبـه إمامـا، عـلـما بـينـا، وهـادـيا نـيرـا، وإـمامـا قـيمـا، وـحـجـة عـالـما، أـئـمـة مـن اللهـ، يـهـدـون بـالـحـقـ وـبـهـ يـعـدـلـونـ، حـجـجـ اللهـ وـدـعـاتـهـ وـرـعـاتـهـ عـلـى خـلـقـهـ، يـدـيـنـ بـهـدـيـهـمـ العـبـادـ وـتـسـتـهـلـ بـنـورـهـمـ الـبـلـادـ، وـيـنـمـوـ بـيـرـكـتـهـمـ التـلـادـ، جـعـلـهـمـ اللهـ حـيـاةـ لـلـأـنـامـ، وـمـصـابـحـ لـلـظـلـامـ، وـمـفـاتـحـ لـلـكـلـامـ، وـدـعـائـمـ لـلـإـسـلـامـ، جـرـتـ بـذـلـكـ فـيـهـمـ مـقـادـيرـ اللهـ عـلـى مـحـتوـمـهـاـ^(٢٦٠).

فيظهر بقرينة سياق الحديث أن هدایة الإمام بالحق هي الهدایة التشريعیة وإرادة

الطريق.

أما الوجه الرابع: وفيه: أولاً: إن قول إبراهيم عليه السلام **﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾** على فرض أن المراد من الهدایة هي الهدایة التکوینیة – لا يدل على أن الله سبحانه سوف يجعله هاديا بالهدایة التکوینی، فإن تلقى الهدی، غير هدایة الخلق.

ثانياً: لا مانع من أن تكون له هدایة في المستقبل على هدایته في الحال، ثم الهدایة إلى المعارف الإلهیة والحقائق الربانية على درجات ومراتب فلا مانع من تعدد الهدایة، قال الفیض الكاشانی في تفسیر سیهیدین: هدایة بعد هدایة^(۲۶۱). وهناك بعض الأقوال الأخرى في تفسیر الآیة منها قول الشیخ الطوسي حيث قال في سیهیدین: أنها بمعنى سیهیدین إلى طریق الجنة بلطف من الطافه، وهو داعي للتمسک بعبادته حتى يؤیده إلى الجنة، وإنما قال ذلك ثقة بالله تعالى، ودعاء لقومه حتى يطلبوا الهدایة من ربهم^(۲۶۲).

وأضاف الشیخ الطبری إليه قوله آخر وهو سیهیدین إلى الحق بما نصب لی من الأدلة^(۲۶۳)، وقال الزمخشري جاء في آیة أخرى **﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾** وفي هذه الآیة سیهیدین وكأنه قال يهیدین وسيهیدین فيدلان على إستمرار الهدایة في الحال والإستقبال^(۲۶۴).

نور الأئمة والهدایة الخاصة:

لربما يقال بأن الأئمة عليهم تصرّف تکوینی في هدایة النفس ولذا يستشعر المؤمن نورا في كلامهم، وتنويرا في قلبه بهم، وهو عبارة أخرى عن القيادة

التكوينية للنفوس إلى مقاماتها الإيجابية أو السلبية، وقد دلت روايات متعددة على أن الأئمة ينورون قلوب المؤمنين من قبيل: صحيحة أبي خالد الكابلي قال:

سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿فَامْنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ فقال: يا أبا خالد النور والله الأئمة عليهم السلام يا أبا خالد لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار وهم الذين ينورون قلوب المؤمنين، ويحجب الله نورهم عن يشاء فتظلم قلوبهم ويغشهم بها (٢٦٦).

ومنها رأية أبي الجارود، حيث جاء في روايته عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتُكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْسُونَ بِهِ﴾ يعني إماماً تأتون به (٢٦٧). وكذلك قد يقال بأن مما يدل على أن هداية النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه بما هونبي غير هداية الإمام بقرينة الروايات الواردة في تفسير قوله تعالى إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ من قبيل صحيحة الفضيل، قال:

سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ فقال: كل إمام هاد للقرن الذي هو فيه (٢٦٨).

لكن يحاب على ذلك أولاً: إن كلام الأئمة عليهم السلام ينور القلوب في هداية الطريق وبيان الحقائق، أما الهداية التكوينية الخاصة التي يراها الطباطبائي للإمام عليه السلام فليست هي ارادة الطريق بل هي صرف تصرف تكويني وإيجاد تغيير في النفس ونقلها إلى مقام خاص.

وثانياً: الهداية التكوينية الخاصة بالمعنى المتقدم إنما تحصل تلقائياً بعد العمل بالشريعة وعلى حسب مقدار مجاهدة الإنسان لنفسه في طاعة الله تعالى، وأما نور

الأئمة سلام الله عليهم يحصل من سماع كلامهم وإرادة الالهاد به.

الهداية التكوينية بيد الله

إن الهداية التكوينية بيد الله ﷺ ولا مانع أن تكون بواسطة الإمام عَلَيْهِ الْكَلَمُ ولكن ذلك إذا ثبت بالدليل فهو، والذي يظهر لي بأن الهداية التكوينية بالمعنى الذي ذكره السيد الطباطبائي غير ثابت في حق الأئمة سلام الله عيهما، بل يظهر من بعض الروايات أن هذه الهداية تكون من الله، وفي بعضها بواسطة ملك، منها صحيحة العلاء، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ قال:

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ بَعْدَ خَيْرٍ نَّكِتَ فِي قَلْبِهِ نَكْتَةً مِّنْ نُورٍ فَأَضَاءَ لَهَا سَمْعُهُ وَقَلْبُهُ حَتَّى يَكُونَ أَحْرَصَ عَلَى مَا فِي أَيْدِيكُمْ مِّنْكُمْ وَإِذَا أَرَادَ بَعْدَ سُوءٍ نَّكِتَ فِي قَلْبِهِ نَكْتَةً سُوْدَاءً، فَأَظْلَمَ لَهَا سَمْعَهُ وَقَلْبَهُ، ثُمَّ تَلَّاهُ هَذِهِ الْآيَةُ ۝فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيْ يَسْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَانَمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ۝^(٢٦٩).

ومنها صحيحة محمد بن مسلم: عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ قال :

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ بَعْدَ خَيْرٍ نَّكِتَ فِي قَلْبِهِ نَكْتَةً بِيَضَاءٍ وَفَتْحٍ مِّنْ سَامِعٍ وَوَكْلَ بِهِ مَلَكًا يَسْدِدُهُ وَإِذَا أَرَادَ بَعْدَ سُوءٍ نَّكِتَ فِي قَلْبِهِ نَكْتَةً سُوْدَاءً وَسَدَ مِسَامِعَ قَلْبِهِ وَوَكْلَ بِهِ شَيْطَانًا يَضْلِلُهُ^(٢٧٠).

ومنها صحيحة سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ قال :

قال: إن الله عز وجل إذا أراد بعد خيرا نكت في قلبه نكتة من نور وفتح مسامع قلبه ووكل به ملكا يسدده، وإذا أراد بعد سوءا نكت في قلبه نكتة سوداء وسد

سامع قلبه وكل به شيطاناً يضلها، ثم تلا هذه الآية: ﴿فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيْهُ
يَسْرِحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضْلِلَهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَانَمَا
يَصْبَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ (٢٧١).

منها صحيحة كليب بن معاوية، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام :

إياكم والناس، إن الله عز وجل إذا أراد بعد خيراً نكت في قلبه نكتة فتركه
وهو يجول لذلك ويطلبها، ثم قال: لو أنكم إذا كلمتم الناس قلتم: ذهبنا حيث ذهب
الله واخترنا من اختار الله، واختار الله محمداً واخترنا آل محمد عليهما السلام (٢٧٢).

ومنها صحيحة الفضيل: قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام :

ندعوا الناس إلى هذا الأمر؟ فقال: يا فضيل إن الله إذا أراد بعد خيراً أمر ملكاً
فأخذ بعنقه حتى أدخله في هذا الأمر طائعاً أو كارها (٢٧٣).

فإن هذه الأحاديث تدل بأن التصرف التكويني في نفس المكلف لجعله أكثر
استعداداً تكون من الله سبحانه وتعالى ملك من الله في تسديد العبد والمكلف،
وإن كان بعض الأحاديث يتعلق بمورد الاهتداء إلى ولاية الأئمة سلام الله عليهم،
ولكن يستفاد منها العموم، والله العالم.

مراتب هداية الأئمة

إن هداية الأئمة عليهما السلام وتنويرهم لنا الطريق بعلومهم سلام الله عليهم على
درجات ومراتب، فإنهم يخاطبون الناس على قدر عقولهم، وقد أولوا عنابة خاصة
لصفوة أوليائهم، وهذه المراتب في الهدایة لا يعني كون الهدایة هي الهدایة
تكوينية التي يراها السيد الطباطبائي، لأن هداية الأئمة عليهما السلام لا تخرج عن إرادة

الطريق، والله العالم.

والحمد لله رب العالمين.

المواهش:

- (١٨٤) سورة السجدة: ٢٤.
- (١٨٥) سورة الأنبياء: ٧٣.
- (١٨٦) تفسير مقاتل بن سليمان، ج ٣، ص ٣٠.
- (١٨٧) تفسير السمرقندى، ج ٣، ص ٣٧.
- (١٨٨) تفسير ابن زمين، ج ٣، ص ١٥٣.
- (١٨٩) تفسير السعدي، ص ٥٢٧.
- (١٩٠) تفسير البغوي، ج ٣، ص ٢٥٢.
- (١٩١) أضواء البيان، ج ٤، ص ١٦٦.
- (١٩٢) تفسير البحر المحيط، ج ٦، ص ٣٠٥.
- (١٩٣) تفسير الجلالين، ص ٤٢٧.
- (١٩٤) جامع البيان للطبرى، ج ١٧، ص ١٣٦.
- (١٩٥) التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص ٣٠٧.
- (١٩٦) جامع الجوامع، ج ٢، ص ٥٣٢.
- (١٩٧) الأصفى، ج ٢، ص ٧٨٦، و تفسير الصافى، ج ٣، ص ٣٤٧، وج ٤، ص ١٥٩.
- (١٩٨) تفسير السيد عبد الله شير، ص ٣٩٦.
- (١٩٩) تفسير السمعانى، ج ٢، ص ٣٩٢.
- (٢٠٠) زاد المسير، ج ٥، ص ٣٦٥.
- (٢٠١) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن الكريم، ج ١٤، ص ١٠٩.

(٢١٧) وقد ذكر الشيخ الطبرسي أن الهدایة المرادۃ في القرآن الكريم على خمسة أقسام، وكذلك تبعه العلامة المجلسي، لاحظ والأقسام الخمسة مجمع البيان، ج ١، ص ١٣٨؛ وبحار الأنوار، ج ٥، ص ١٧١، بعضها متداخل فيما نحن فيه وإن اختلفت التسمية، والمهم في المقام بيان ثلاثة الأقسام.

(٢١٨) سورة طه: ٥٠.

(٢١٩) سورة الأعلى: ٢-٣.

(٢٢٠) سورة النحل: ٦٨.

(٢٢١) سورة البلد: ٨-١٠.

(٢٠٢) الكشاف، ج ٢، ص ٥٨٧.

(٢٠٣) تفسير البيضاوي، ج ٤، ص ١٠١.

(٢٠٤) تفسير أبي السعود، ج ٦، ص ٧٧.

(٢٠٥) تفسير الآلوسي، ج ١٧، ص ٧١.

(٢٠٦) فتح القدیر، ج ٣، ص ٤١٦.

(٢٠٧) تأویل الآیات، ج ٢، ص ٤٤٥.

(٢٠٨) تفسير الأمثل، ج ١٣، ص ١٣٩.

(٢٠٩) جامع البيان، ج ٢١، ص ١٣٦.

(٢١٠) التسهيل في علوم التنزيل للغرناطي، ج ٣، ص ٢٩.

(٢١١) تفسير ابن كثیر، ج ٣، ص ١٩٤.

(٢١٢) تفسير الفخر الرازی، ج ٢٢، ص ١٩١.

(٢١٣) تفسير السمعانی، ج ٣، ص ٢٥٢.

(٢١٤) تفسير القرطبی، ج ١١، ص ٣٠٥.

(٢١٥) سورة يس: ٨٢.

(٢١٦) تفسير المیزان ج ١٤، ص ٣٠٤.

(٢٢٢) سورة الحديدي: ٢٥.

(٢٢٣) سورة الشورى: ٥٢.

(٢٢٤) سورة الإسراء: ٩.

(٢٢٥) سورة العنكبوت: ٦٩.

(٢٢٦) سورة محمد: ١٧.

(٢٢٧) سورة الكهف: ١٣.

(٢٢٨) سورة الشورى: ١٣.

(٢٢٩) قال السيد الطباطبائي: أن أمره هو قوله للشئ: "كن" وهو كلمة الایجاد التي هي الایجاد والایجاد هو وجود الشئ لكن لا من كل جهة بل من جهة استناده إليه تعالى وقيامه به فقوله فعله.

الميزان، ج ٨، ص ٣٤٨

(٢٣٠) قال السيد الطباطبائي: أن الملائكة في عرف القرآن على ما يظهر من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدْهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يس: ٨٣] هو الوجه الباطن من الأشياء الذي يلي جهة الرب تعالى، وأن النظر إلى هذا الوجه واليقين متلازمان كما يفهم من قوله: ﴿وَكَذَلِكَ تُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونُ مِنَ الْمُؤْفَقِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥] تفسير الميزان، ج ٨، ص ٣٤٨.

(٢٣١) سورة يس: ٨٣

(٢٣٢) سورة الأنعام: ٧٥

(٢٣٣) لاحظ ما أفاده العلامة في الميزان، ج ٢، ص ٣٦٧

(٢٣٤) تفسير الميزان، ج ٢، ص ٣٧٠

(٢٣٥) سورة يس: ٨٣

(٢٣٦) تفسير الميزان، ج ١، ص ٢٧٢

(٢٣٧) الميزان، ج ٨، ص ١٥١

(٢٣٨) تفسير الميزان، ج ١، ص ٢٧٣

(٢٣٩) تفسير الميزان، ج ١٤، ص ٣٠٤

(٢٤٠) وهذا ما يفهم من كلام العلامة الطباطبائي.

(٢٤١) هذا الوجه أخبرني به أحد الأساتذة الأفاضل، ولكن يبدوا لي عدم إرادة السيد الطباطبائي لهذا الوجه وسف جوابه.

(٢٤٢) تفسير الميزان، ج ١، ص ٢٧٢

(٢٤٣) سورة يونس: ٣٥

(٢٤٤) تفسير الميزان، ج ١، ص ٢٧٣ - ٢٧٤

(٢٤٥) قال السيد الطباطبائي: فان قلت: لو كانت الإمامة هي الهدایة بأمر الله تعالى، وهي الهدایة إلى الحق الملائم مع الاهتداء بالذات كما استفيد من قوله تعالى: (أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يَتَّبِعَ الْآيَةِ) كان جميع الأنبياء أئمة قطعاً، لوضوح أن نبوة النبي لا يتم إلا باهتداء من جانب الله تعالى بالوحى، من غير أن يكون مكتسباً من الغير، بتعليم أو إرشاد ونحوهما، حيث إن فموهبة النبوة تستلزم موهبة الإمامة، وعاد الأشكال إلى أنفسكم. قلت: الذي يحصل من البيان السابق المستفاد من الآية أن الهدایة بالحق وهي الإمامة تستلزم الاهتداء بالحق، وأما العكس وهو أن يكون كل من اهتدى بالحق هادياً لغيره بالحق، حتى يكون كلنبي لاهتدائه بالذات إماماً، فلم يتبيّن بعد. تفسير الميزان، ج ١، ص ٢٧٥.

(٢٤٦) سورة الزخرف: ٢٦-٢٧

(٢٤٧) لاحظ تفسير الميزان، ج ١، ص ٢٧٦

(٢٤٨) سورة الحجرات: ٩

(٢٤٩) سورة الطلاق: ٥

(٢٥٠) تفسير الميزان، ج ١٩، ص ٣١٦

(٢٥١) لاحظ تفسير الميزان، ج ١٧، ص ١١٤ - ١١٥.

(٢٥٢) أصول الكافي، ج ١، ص ١٩٢

(٢٥٣) أصول الكافي، ج ١، ص ٢٠٢، معاني الأخبار، ص ١٠٠؛ تحف العقول، ص ٤٤١.

- (٢٥٤) أصول الكافي، ج ١، ص ١٨٢.
- (٢٥٥) أصول الكافي، ج ١، ص ٢٠٣.
- (٢٥٦) أصول الكافي، ج ١، ص ٢١٦.
- (٢٥٧) التبيان، ج ٥، ص ٤٣٧؛ الكشاف، ج ٢، ص ٢٣٧؛ مجمع البيان، ج ٥، ص ١٨٧.
- (٢٥٨) أصول الكافي، ج ١، ص ٢٠٢؛ معاني الأخبار، ص ١٠٠؛ تحف العقول، ص ٤٤١.
- (٢٥٩) من الأئمة سلام الله عليهم.
- (٢٦٠) أصول الكافي، ج ١، ص ٢٠٣.
- (٢٦١) تفسير الصافي، ج ٤، ص ٣٨٧.
- (٢٦٢) التبيان، ج ٩، ص ١٩٣.
- (٢٦٣) مجمع البيان، ج ٩، ص ٧٦.
- (٢٦٤) سورة الشعراء: ٧٨.
- (٢٦٥) تفسير الكشاف، ج ٢، ص ٤٨٤.
- (٢٦٦) أصول الكافي، ج ١، ص ١٩٢، ح ٤.
- (٢٦٧) أصول الكافي، ج ١، ص ١٩٤-١٩٦، ح ٣.
- (٢٦٨) الكافي، ج ١، ص ١٩١.
- (٢٦٩) الكافي، ج ٢، ص ٢١٤.
- (٢٧٠) الكافي ج ٢، ص ٢١٤.
- (٢٧١) أصول الكافي، ج ١، ص ١٦٦.
- (٢٧٢) أصول الكافي، ج ٢، ص ٢١٢.
- (٢٧٣) الكافي ج ٢، ص ٢١٣.

الإماع في مسجد جمكران

محمد علي العربي

أصل الخبر:

(في تاريخ قم تأليف الشيخ الفاضل الحسن بن محمد بن الحسن القمي من كتاب «مؤنس الحزين في معرفة الحق واليقين»، من مصنفات أبي جعفر محمد بن بابويه القمي ما لفظه بالعربية: باب ذكر بناء مسجد جمكران، بأمر الإمام المهدي عليه صلوات الله الرحمن وعلى آبائه المغفرة، سبب بناء المسجد المقدس في جمكران بأمر الإمام عَلِيٌّ عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُرْسَلُ عَلَى ما أخبر به الشيخ العفيف الصالح حسن بن مثلثة الجمكراني قال: كنت ليلة الثلاثاء السابع عشر من شهر رمضان المبارك سنة ثلاثة وتسعين وثلاثمائة نائماً في بيتي، فلما مضى نصف من الليل فإذا بجماعة من الناس على باب بيتي فأيقظوني، وقالوا: قم وأجب الإمام المهدي صاحب الزمان فإنه يدعوك. قال: فقمت وتبعأت وتهيات، فقلت: دعوني حتى ألبس قميصي، فإذا بنداء من جانب الباب: «هو ما كان قميصك»، فتركته وأخذت سراويلي، فنودي: «ليس ذلك منك، فخذ سراويلك»، فألقيته وأخذت سراويلي ولبسته، فقمت إلى مفتاح الباب أطلب فنودي «الباب مفتوح». فلما جئت إلى الباب، رأيت قوماً من الأكابر، فسلمت عليهم، فردوا ورحبا بي، وذهبوا بي إلى موضع هو المسجد الآن، فلما أمعنت النظر رأيت أريكةً فرشت عليها فراش حسان، وعليها وسائل حسان...) إلى آخر الخبر.

أما كتاب تاريخ قم:

فقد ذكر في هامش المستدرك أن: (الأصل منه باللغة العربية مفقود لا أثر له ظاهراً، وترجمته باللغة الفارسية المطبوعة، وتجد الرواية كاملة في كتاب «جنة المأوى» للشيخ المصنف تتث ، المطبوع ضمن البحار ج ٥٣ ص ٢٣٠ الحكاية الثامنة)^(١). ويأتي تفصيل أكثر في ترجمة المصنف.

وأما الحسن بن محمد بن الحسن القمي:

فقد جاء في خاتمة المستدرك ما لفظه:

قال في الرياض: الشيخ الجليل الحسن بن محمد بن الحسن القمي، من أكابر قدماء علماء الأصحاب، ومن معاصرى الصدوق، ويروى عن الشيخ حسين بن علي بن بابويه - أخي الصدوق - بل عنه أيضاً، فلاحظ. وله كتاب «تأريخ قم»، وقد عوّل عليه الأستاذ تتث في البحار، وقال: إن كتابه معتبر، وينقل عن كتابه المذكور في مجلد المزار من البحار، لكن قال: إنه لم يتيسر لنا أصل الكتاب، وإنما وصل إلينا ترجمته، وقد أخر جنا بعض أخباره في كتاب السماء والعالم، انتهى. أقول: ويظهر من رسالة الأمير المنشئ في أحوال بلدة قم، ومفاخرها ومناقبها، أن اسم صاحب هذا التاريخ هو الأستاذ أبو علي الحسن بن محمد بن الحسين الشيباني القمي، فتأمل. ثم أقول: سيجيء في باب الميم ترجمة محمد بن الحسن القمي، وظني أنه والد هذا الشيخ، فلا تغفل.

وقد يقال: إنه العمي - بالعين المهمّلة المفتوحة - فهو غيره. واعلم أنني رأيت نسخةً من هذا التاريخ بالفارسية في بلدة قم، وهو كتاب كبير جيد، كثير الفوائد، في مجلدات، محتوا على عشرين باباً، ويظهر منه أن مؤلفه بالعربية إنما هو الشيخ

حسن بن محمد المذكور، وسماه كتاب قم، وقد كان في عهد الصاحب بن عباد، وألف هذا التاريخ له، وقد ذكر في أوله كثيراً من أحواله وخصاله وفضائله، ثم ترجمة الحسن بن علي بن الحسن بن عبد الملك القمي بالفارسية، بأمر الخواجة فخر الدين إبراهيم بن الوزير الكبير الخواجة عماد الدين محمود بن الصاحب الخواجة شمس الدين محمد بن علي الصفي، في سنة ثمانمائة وخمسة وستين. ثم إن لهذا المؤرخ الفاضل - أعني مؤلف الأصل - آخاً فاضلاً، وهو أبو القاسم علي بن محمد بن الحسن الكاتب القمي، كما يظهر من هذا الكتاب أيضاً، وأكثر فوائد هذا الكتاب ما يتعلق بأحوال خراج قم، وبعض أحواله منه، انتهى.

قلت (النوري رحمه الله) : ويظهر من كتاب فضائل السادات، المسمى بمنهاج الصفوی، تأليف السيد العالم المتبحر، الأمير سيد أحمد الحسيني، سبط المحقق الكرکي، وابن خالة المحقق الداماد وصهره على بنته، صاحب مصلق الصفا في الرد على النصارى وغيره، أن لهذا الكتاب ترجمة أخرى ينقل فيها عنها، كما أنه يظهر منه أن النسخة العربية كانت عنده، وهذا الكتاب مشتمل على عشرين باباً، والذي وصل إلينا منه ثمانية أبواب، ويظهر من فهرست أبوابه أن فيه فوائد جميلة، خصوصاً: الباب الحادي عشر منه، الذي ذكر أنه يذكر فيه واحداً ومائتين من أخبار قم، والباب الثاني عشر منه، الذي ذكر أنه يذكر فيه أسامي علماء قم، ومصنفاتهم وروایاتهم، وهم مائتان وستة وستون، إلى تاريخ التصنيف الذي كان في سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة، رزقنا الله تعالى العثور عليه.

وقد نقل عن أصل الكتاب أيضاً العالم الجليل، الآغا محمد علي، ابن الأستاذ الأكبر البهبهاني في حواشي نقد الرجال كما وجدها بخطه الشريف ^(٢).

وقال في ترجمته النمازي الشاهرودي كما في مستدركات علم رجال الحديث:

(لم يذكروه. وهو مؤلف كتاب تاريخ قم. روی عن سعد بن عبد الله وغيره. جد ج ٦٠ / ٢١٢ - ٢٢١، وكما ج ١٤ / ٣٣٨. قال العلامة المجلسي في أول البحار: وكتاب تاريخ بلدة قم للشيخ الجليل حسن بن محمد بن الحسن القمي رحمه الله تعالى. ويظهر من العلامة النوري في المستدرك ج ٣ / ٣٦٩ أن الشيخ الجليل من أكابر علمائنا المتقدمين ومن معاصرى الصدوق ومن أجلاء القميين. وبالجملة أثبت اعتباره وصحة الاعتماد عليه. روی عن الصدوق وأخيه)^(٣).

وقال فيه السيد الأبطحي نقلاً في تهذيب المقال:

(الحسن بن محمد بن الحسن القمي صاحب «تاريخ قم»، ذكر أصحابنا المتأخرون ومنهم صاحب رياض العلماء: أنه من أكابر قدماء علماء الأصحاب، ومن أجلاء القميين، ومن قدماء علمائهم، عاصر شيخنا الصدوق، وروي عن الحسين بن علي بن بابويه أخي الصدوق المقدمة ترجمته بل وعن الصدوق، وألف كتابه «تاريخ قم» سنة ٣٧٨ باسم الوزير الصاحب بن عباد المتقدم ذكره بترجمة، وأطراه في أوله بصفحات، وإن شئت تفصيل ترجمته فراجع كتب صاحب «الذرية» وأعيان الشيعة وغيرها من كتب التراجم)^(٤).

وأما السيد الأمين فمن ضمن ما قاله: (في الشجرة الطيبة: أبو علي الحسن بن محمد بن الحسين الشيباني العمي قال حمد الله المستوفي في كتاب نزهة القلوب: مصنف تاريخ قم حسن بن محمد بن حسن الشيباني ألفه سنة ٣٣٥ وترجمه إلى الفارسية حسن بن علي بن حسن بن عبد الملك القمي سنة ٨٦٥ توجد من الترجمة نسخة مخطوطة في مدرسة سبهسالار في طهران اهولكن مر في ترجمة الحسن بن علي بن الحسن بن عبد الملك القمي أن تاريخ تأليف الأصل سنة ٣٧٨، أقول فتلخص أن تاريخ قم العربي هو للمترجم وقيل إنه في غاية الجودة

والإحاطة. ومر في ترجمة الحسن بن علي بن الحسن بن عبد الملك القمي أن تاريخ تأليفه سنة ٣٧٨ وترجمته بالفارسية للحسن بن علي المذكور سنة ٨٦٥ في بين التأليف والترجمة نحو من ٤٨٧، وقد ذكرنا في ترجمة الحسن بن علي المذكور أننا وجدنا في الترجمة الفارسية أن من جملة أسباب تصنيف المترجم لتاريخ قم أن أبا عبد الله حمزة بن حسن الأصفهاني صنف كتاب تاريخ أصفهان ولم يذكر أخبار قم وأن المترجم قال: قال أخي أبو القاسم علي بن محمد بن الحسن الكاتب: لما وصلت إلى بلدة قم فҳضت كثيراً عن كتاب في أخبار قم فلم أجده، ثم إنني وجدت في مسودة الكتاب ما صورته الحسن بن محمد القمي له تاريخ قم منه نسخة في مكتبة الحسينية بالنجف ولست أعلم أنها نسخة الأصل العربي أو الترجمة، وكيف كان فالترجمة الفارسية نسخها موجودة كما مر في ترجمة الحسن بن علي الأنف الذكر، أما الأصل العربي فقد سمعت أنه لم يكن عند المجلسي وفي مستدركات الوسائل يظهر من منهاج الصفوی للسيد أحمد بن زین العابدین أنه كان عنده، قال: وقد نقل عن أصل الكتاب آقا محمد علي ابن المحقق البهبهاني في حواشی نقد الرجال اه ومر في ترجمة الحسن بن علي بن الحسن بن عبد الملك القمي ما له تعلق بالمقام وفي حاشية الذريعة أن تاريخ قم المطبوع ترجمته الفارسية قد ألف أصله المؤرخ النسابة الحسن بن محمد بن الحسن القمي سنة ٣٧٨ باسم الوزير الصاحب بن عباد وأطراه في أوله بسبع صفحات^(٥).

وذكره الخبير المتبع المحدث القمي في ترجمة الصاحب بن عباد بقوله:
(وأَلْفَ لِأَجْلِهِ الْفَاضِلِ الْمَاهِرِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ الْقَمِيِّ كِتَابَ «تَارِيخَ قَمَ»)^(٦).
وعَبَرَ عَنْهُ فِي مَصْنُوفٍ آخَرَ بِالشِّيخِ الْفَاضِلِ الْخَبِيرِ، وَالْمَاهِرِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ^(٧).

وقال المحقق الطهراني في الدرية عند ذكر كتاب «تاريخ قم»:

(١٠٢٧ : تاريخ قم) للشيخ الأستاذ أبي علي الحسن بن محمد بن الحسن الشيباني القمي، كذا حكاه صاحب الرياض عن رسالة أحوال قم وتاريخها تأليف الأمير المنشي. وقال إنه كان من أكابر قدماء علماء الأصحاب، من معاصرى الشيخ الصدوق، ويروى عن الحسين بن علي بن بابويه أخ الشيخ الصدوق بل عنه أيضاً ألهه للوزير الصاحب «كافى الكفأة» إسماعيل بن عباد سنة ٣٧٨ وذكر في أوله شطراً من فضائله وخصاله وذكر في سبب تأليفه أموراً منها ما رآه من كتاب أصفهان الذي ألهه أبو عبد الله حمزة بن الحسن الأصفهاني في تواریخ أصفهان فألف هو كتابه هذا في تواریخ قم وسماه كتاب قم ورتبه على عشرين باباً وذكر أن أكثر ما أورده مما يتعلّق بخارج قم استعان فيه بأخيه الفاضل أبي القاسم علي بن محمد بن الحسن الكاتب القمي، ويظهر جميع ذلك من ترجمة هذا التاريخ إلى الفارسية الموجودة كما ذكرناه، وأما أصله العربي فقد صرّح العلامة المجلسي في أول البحار بأنه لم يظفر به وإنما ظفر بترجمته إلى الفارسية ولكن شيخنا في خاتمة المستدرك قال: (يظهر من منهاج الصفوی للسيد أحمد بن زین العابدین العلوی تلمیذ المحقق الداماد وصہرہ وجود الأصل العربي عنده)، وقال أيضاً: (وقد نقل عن أصل الكتاب أيضاً العالم الجليل آقا محمد علي بن الأستاذ الأکبر البهبهاني في حواشی نقد الرجال كما وجدها بخطه الشريف)، ولا يبعد وجودهاليوم وإن لم يظفر به العلامة المجلسي كما يوجداليوم تاريخ ملوك الأرض من تأليف أبي عبد الله حمزة بن الحسن الأصفهاني المذكور المرتب على السنين إلى سنة ٣٥٠ كما يأتي):^(٨).

وبالجملة: الرجل من قدماء الأصحاب المعروفين، الذين لم يغمز فيهم، بل

بجله وعظمته بعض الأجلة، ولم يذكر له ترجمة في كتب المتقدمين، مع أنه من مؤلفي تلك الأزمان، وهذا جار في غيره كذلك من المشايخ وبعض الأجلة، إما لعدم روایتهم لأخبار الأحكام، أو اشتهرهم المعني عن التعريف، إذ لو كان فيه مغمرة مع كل هذا الاشتهر لكتابه لبانت، ولا يخفى أن كتب الرجال مع مستدركاتها غير محيطة لترجم كل الرواة والثقة، يرشدك إليه ما ذكره الشيخ في مقدمة رجاله بقوله: (فإنني قد أجبت إلى ما تكرر سؤال الشیخ الفاضل فيه، من جمع كتاب يشتمل على أسماء الرجال... واستوفى ذلك على مبلغ جهدي وطاقتی، وعلى قدر ما يتسع له زمانی وفراغی وتصفحی، ولا أضمن أن استوفی ذلك عن آخره. فإن رواة الحديث لا ينضبطون، ولا يمكن حصرهم لكثرتهم وانتشارهم في البلدان شرقاً وغرباً) ^(٤).

والظاهر أن كلامه محل اعتماد وتصديق عند من ظفر بكتابه أو نقل عنه كما يظهر من التتبع ومنه ما أوردنا طرفاً منه، فلا بأس بركون النفس لحديثه في الجملة إلا أن يبنتى بمعارض أو صارف. لم يعلم تاريخ وفاته تحديداً، إلا أن كتابه - كما ذكر سابقاً - قد انتهى من تأليفه سنة ٣٧٨هـ عند الأكثر، ولم يحرز كونه قد عاش بعدها «رحمة الله عليه».

بل لا تبعد وثاقته، لكونه ظاهراً من المعروفين، غير المحتججين لذكر خاص ضمن كتب الرجال، إلا ترى أنهم قد صرفوا هممهم للبحث عن أحوال رجال كثري، وصرفوا أنظارهم عن غيرهم بلا نكير، فهل من مضعف للشيخ الصدوق وأمثاله - لمجرد عدم ذكره في كتب الرجال إلا جاهل أو غافل، وهذا المبني - المعاريف - بني عليه الكثير من الفقهاء العظام. ولا يتوهם كون عدم ذكره في كتب الرجالين يساو جهالته، فإنه خلط واضح بين الجهالة والإهمال الاصطلاحيين ^(٥)، والثاني هو الصحيح في الحسن بن محمد القمي، ومن الواضح أن الإهمال لا دلالة فيه على

الصحيح في الحسن بن محمد القمي، ومن الواضح أن الإهمال لا دلالة فيه على التضعيف، بخلاف التصريح بالجهالة فإنه واضح فيه، فلا تغفل.

ولهذا قال السيد الإسترآبادي في الراسحة الثالثة عشر من الرواشح السماوية:

(وبالجملة: جهالة الرجل - على معنى عدم تعرف حاله من حيث عدم الظفر بذكره أو ب مدحه و ذمه في الكتب الرجالية - ليست مما يسوغ الحكم بضعف السندي، أو الطعن فيه، كما ليست توسيع تصحيحه أو تحسينه أو توثيقه، إنما تكون «الجهالة» و«الإهمال» من أسباب الطعن، بمعنى حكم أئمة الرجال على الرجل بأنه «مجهول» أو «مهمل»، فمهما وجد شيء من ألفاظ الجرح انصرم التكليف بالفحص والتفتيش، وساغ الطعن في الطريق، فأما «المجهول» و«المهمل» - لا بمعنى المصطلح عليه عند أرباب هذا الفن، بل بالعرف العامي، أعني المسكون عن ذكره رأساً أو عن مدحه و ذمه - فعلى المجتهد أن يتبع مظان استعلام حاله من الطبقات والأسانيد والمشيخات والإجازات والأحاديث والسير والتواريخ وكتب الأنساب وما يجري مجرها، فإن وقع إليه ما يصلح للتعوييل عليه فذاك، وإلا وجب تسرير الأمر إلى بقعة التوقف، وتسرير القول فيه إلى موقف السكوت عنه. ومن غرائب عصرنا هذا أن القاصرين عن تعرف القوانين والأصول سويات من العمر يستغلون بالتحصيل، وذلك أيضاً لا على شرائط السلوك، ولا من جواد السبيل، ثم يتعدون الحد ويتجرون في الدين، فإذا تصفحوا وريقات قد استنسخوها، وهم غير متمهرين في سبيل علمها ومسلك معرفتها، ولم يظفروا بالمقصود منها بزعمهم، استحلوا الطعن في الأسانيد، والحكم على الأحاديث بالضعف، فترى كتبهم وفيها في مقابلة سند سند على الهاشم: «ضعيف ضعيف»، وأكثرها غير مطابق للواقع.

وأما كتاب مؤنس الحزين في معرفة الدين واليقين:

فقد ذكر النوري رحمه الله ما لفظه:

(ووجدت بخط الفاضل الآغا محمد علي بن الأستاذ البهبهاني، فيما علقه على كتاب نقد الرجال، ما لفظه: الحسن بن مثلا الجمكري هو الذي أمره الإمام صاحب الزمان عليه السلام ببناء مسجد جمكران، وهي قرية على فرسخ من قم، وكان ذلك الأمر شفاهًا في ليلة الثلاثاء السابع عشر من شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة في موضع ذلك المسجد، وله قصة طويلة حكها الشيخ في كتاب مؤنس الحزين في معرفة الدين واليقين، وقد تضمنت معجزات عن الإمام عليه السلام، وقد وصفه الصدوق فيها بقوله الشيخ العفيف الصالح حسن بن مثلا الجمكري رحمة الله عليه، وفيها مدح ذلك المسجد جداً...)^(١).

الظاهر في أن نسخة من الكتاب - أي كتاب الشيخ الصدوق - قد وصلت ليد البهبهاني؛ لأن ديدن النقال أن يذكروا مصادر المنقول دفعاً للالتباس وأمانةً في النقل، وهو موافق للأصل والعادة، ولو أنكر منكر ظهورها أو لم يكن لها ظهور أصلاً في ذلك - بأن كانت مجملةً - لم يكن في ذلك ضير بعد ذكره كتاب «تاریخ قم»، واعترافه بنسبيته للشيخ الصدوق كما تقدم.

ولا ينافي هذا ما ذكره الشيخ النوري رحمه الله من أنه لم يجده في فهرس كتبه، فعدم وجوده لا يدل على عدم وجوده، ولا تلازم بينهما.نعم ذكر صاحب البحار أن البهبهاني قد نقله عن كتاب «تاریخ قم» العربي، لكنه خلاف الظاهر جداً.

التصحيف في التاريخ:

قال المحدث النوري في المستدرك: (ولا يخفى أن كلمة «التسعين» الواقعة في

صدر الخبر بالمنارة فوق ثم السين المهمملة، كانت في الأصل سبعين مقدم المهمملة على الموحدة واحتسبه على الناسخ لأن وفاة الشيخ الصدوق كانت قبل التسعين؛ ولذا نرى جمعاً من العلماء يكتبون في لفظ السبع أو السبعين بتقديم السين أو التاء حذراً عن التصحيف والتحريف والله تعالى هو العالم^(١٢).

أقول: لابد من الالتزام بذلك، فإن الحسن القمي أنهى تصنيف كتاب تاريخ قم في سنة ٣٧٨هـ، ولا شك أن الكتاب كتابه، ولم يعلم الدس فيه ليشكك فيه من هذه الجهة، فكيف يحكى عن الشيخ الصدوق وهو المتوفى سنة ٣٨١هـ وأنهى تصنيف تاريخ قم في سنة ٣٧٨هـ؟! وقيل إنه توفي فيها، ثم يجعل الحكاية من أحداث سنة ٣٩٣هـ. ثم إن ما ذكره المحدث النوري قريب جداً لمن مارس التحقيق واطلع على كثير من الموارد المتشابهة، فإن النسخ الخطية يصعب فيها تمييز السينات مع التاءات وأمثالها من المتابعات، وإذا ظن التصحيف قوياً في مورد صحيح بما يوافق الكتاب والمورد، ولم يرق للمعارضه؛ لانتفاء دلالته عليها أصلاً، ولا حاجة للإطالة بذكر الشواهد، والأمر واضح فلاحظ.

الحسن بن مثلا:

وقد اتضح بعد هذا كله حال الحسن بن مثلا، وأن القول بوثاقته في غاية القرب.

قال المحدث النوري - كما قدمنا - : (وقد وصفه الصدوق فيها بقوله الشيخ العفيف الصالح حسن بن مثلا الجمكرياني رحمة الله عليه، وفيها مدح ذلك المسجد جداً...).

ما تضمنته القضية من حكم شرعي:

ثم إنه لا إشكال فيما ثبته القضية من حكم شرعي على ما بنينا عليه فيما سبق من كونها مستوفية لشروط الحجية، بل لا إشكال أيضاً على القول بعدم حجيتها إلا من باب التسامح في أدلة السنن ومتابقة المأتي لدلالة أدلة (من بلغه)، بل أكثر من ذلك، لا بأس بالإيتان بكيفية الصلاة المذكورة حتى على القول بعدم دلالتها على إنشاء حكم استحبابي على الفعل؛ لأن القائل بذلك لا يدعى إلا نفي الاستحباب والجعل الشرعي عن الفعل المخصوص، لا نفي أصل الشواب واستحقاق العبد للأجر على الانقياد ولو نوى الوجه وقصده.

والحمد لله رب العالمين وأفضل صلاة المصلين على محمد وآلـه الطاهرين

المواهش:

- (١) المستدرك: ٤٣٢.
- (٢) خاتمة المستدرك ج ١ ص ٣٦٥.
- (٣) مستدركات علم رجال الحديث: ٣٨.
- (٤) تهذيب المقال: ٢: ٣٥٤.
- (٥) أعيان الشيعة: ٥: ٢٤٦-٢٤٧.
- (٦) الكنى والألقاب: ٢: ٤٠٧.
- (٧) منازل الآخرة: ٢١٧.
- (٨) الذريعة: ٣: ٢٧٧.
- (٩) رجال الشيخ: ١٧.
- (١٠) هذا لو كانت لفظة (المجهول) ظاهرة في التضعيف.
- (١١) المستدرك: ٤٤٧.
- (١٢) البحار: ٥٣: ٢٣٤.

الطواف من الطابق الأول

علي فاضل الصددي

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على محمد وآلـهـ .
من المسائل الابتلاوية لآمين البيت الحرام بمكة المكرمة - مسألة صحة الطواف
من الطابق الأول^(١) ، وقد كتب سماحة الشيخ محمد جواد النكراـني «سـلمـهـ اللـهـ»
رسالةً في هذه المسألة اختار فيها صحته منه وإجزاءه حتى في فرض الاختيار،
وإليـكـ - قارئـهـ هذهـ الأـسـطـرـ - الـوجـوهـ التـيـ اـسـتـدـلـ بـهـ عـلـىـ مـطـلـوبـهـ مـذـيـلـةـ بـمـاـ يـمـكـنـ أـنـ
يـورـدـ بـهـ عـلـيـهـ سـائـلـاـ مـوـلـانـاـ سـبـحـانـهـ التـسـدـيـدـ فـيـ القـوـلـ وـالـفـعـلـ وـالـقـصـدـ إـنـهـ نـعـمـ الـمـوـلـىـ
وـنـعـمـ النـصـيرـ .

الوجه الأول من الوجوه التي استدل بها الكاتب الفاضل لجواز الطواف من
الطابق الأول - ما رواه الصدوق «رضي الله عنه» قالاً: «قال الصادق عـلـيـهـ الـأـلـيـلـةـ: أساسـ
البيـتـ مـنـ الـأـرـضـ السـابـعـةـ السـفـلـىـ إـلـىـ الـأـرـضـ السـابـعـةـ الـعـلـيـاـ»^(٢) بـدـعـوـىـ عدمـ
اختصاصـ هـذـهـ الـمـرـسـلـةـ بـالـاسـتـقـبـالـ حـالـ الصـلـاـةـ، وـأـنـهـ مـطـلـقـةـ دـلـلـتـ يـاطـلـاقـهـاـ
وـبـوـضـوـحـ عـلـىـ أـنـ الـكـعـبـةـ كـمـاـ هـيـ قـبـلـةـ الـمـصـلـيـ مـنـ تـخـومـ الـأـرـضـ إـلـىـ عـنـانـ السـمـاءـ
فـهـيـ أـيـضـاـ مـطـافـ الطـائـفـ مـنـ تـخـومـ إـلـىـ الـعـنـانـ، كـمـاـ لـاـ تـوـجـدـ قـرـيـنـةـ فـيـ الـمـرـسـلـةـ
عـلـىـ اـخـتـصـاصـهـ بـالـاسـتـقـبـالـ حـالـ الصـلـاـةـ»^(٣) سـيـماـ بـعـدـ أـنـ يـضـمـ إـلـىـ الـمـرـسـلـةـ خـبـرـ
عبدـالـلهـ بنـ سنـانـ عنـ أـبـيـ عبدـالـلهـ عـلـيـهـ الـأـلـيـلـةـ قالـ : سـأـلـهـ رـجـلـ قـالـ: صـلـيـتـ فـوـقـ أـبـيـ قـبـيـسـ
الـعـصـرـ فـهـلـ يـجـزـيـ ذـلـكـ وـالـكـعـبـةـ تـحـتـيـ؟ـ قـالـ: نـعـمـ، إـنـهـ قـبـلـةـ مـنـ مـوـضـعـهـ إـلـىـ

السماء^(٤).

ويلاحظ على الاستدلال بالمرسلة أولاً: أنها في مقام تحديد أساس الكعبة لا تحديد نفس الكعبة، وكون أساسها - أي قاعدتها - من الأرض السابعة السفلية إلى أعلى طبقة من الأرض أجنبى عن محل الكلام، وهو دعوى امتداد نفس الكعبة إلى عنان السماء، فغاية مفاد المرسلة امتداد الكعبة في جهة السفل، وعليه فيجوز الطواف مما دون أرض المطاف لو اتفق إنشاء مطافاً كذلك.

وثانياً: إن المرسلة ليست بصدق البيان من جهة ما يصح الطواف به ليكون مفادها أنه كما يصح الطواف بالبنية يصح بالمحاذي لها من جهة السفل والعلو، بل المرسلة ليست واضحة في النظر حتى إلى حيية الاستقبال.

ثالثاً: إن رواية الصدوق مرسلة فلا تتناولها أدلة حجية خبر الثقة؛ لعدم تشخيص رواتها فضلاً عن معرفة وثاقتهم، وجزم الصدوق بصدور الرواية المستفاد من إسناد القول إلى المعصوم عليه السلام غير كاف للاعتماد بهذه المرسلة^(٥).

رابعاً: إن رواية ابن سنان هي الأخرى ليست بصدق البيان من جهة ما يصح الطواف به، كما أنها لا تتحدث عن البيت «شرفه الله» وأنه ممتد من الجانبين العلو والسفل ولا يختص بالبناء الموجود، بل واضحها التحدث عما يستقبل في الصلاة، على أن هذه الرواية ضعيفة السند لضعف طريق الشيخ «رضي الله عنه» إلى الطاطري بجهالة علي بن محمد القرشي.

الوجه الثاني: استبعاد وجود الفرق بين ما يستقبل في الصلاة وما يطاف به مع كون التكليف فيهما إلى البيت، فلما كان ما يستقبل في الصلاة ممتدًا إلى عنان السماء - وهو أمر مفروغ عنه وسلم - فلا محالة يكون ما يطاف به كذلك^(٦)

مستشهاداً لعدم الفرق بأنه لو أزيل البناء لصحت الصلاة إلى الفضاء، ولما صحت إلى البناء الزائل، فأيضاً يجوز الطواف حول الفضاء الموجود ولا يسقط وجوبه في هذا الفرض^(٧).

ويرده: أنه لا ملازمة بينهما بمجرد كون التكليف فيهما إلى البيت، بعد أن قام الدليل على كون ما يستقبل في الصلاة يمتد إلى العنان، ولم يتم دليل على مساواة الطواف بالبيت لاستقباله في الصلاة بعد أن عرفت حال مرسلة الصدق.

وأما ما ذكره الكاتب الفاضل «سلمـه الله» من الاستشهاد لعدم الفرق بين ما يستقبل في الصلاة وما يطاف به فهو مرتكز على دعوى عدم الفرق لا أن عدم الفرق بينهما مرتكز على الاستشهاد ليكون استشهاداً، هذا وفي فرض إزالة البنية - لا قدر الله - فالصلاحة إلى فضاء محل البنية صحيحة بعدئذ فرغنا من صحتها باستقبال فضائها المحاذي لها في جهة العلو على تقدير وجودها، إذ لا يتحمل الفرق والتفصيل في الصحة بأن نقول بعدم صحتها إلى فضاء البنية بدونها، وتصح إلى فضائها المحاذي في جهة العلو على تقدير وجودها، كما أن ما دل على أن قبلة المصلي من تخوم الأرض إلى عنان السماء يتناول فرض ما إذا أزيلت البنية، فتصح الصلاة إلى فضاء محل البنية، وأما الصلاة إلى البناء المزال غير محتمل. وأما الطواف فلما كان دليله مثل قوله سبحانه ﴿وَلْيَطْوُّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ فعلى تقدير إزالة البنية لما لم يتحمل سقوط وجوب الطواف فلا محالة يطاف بمحملها، وذلك لا يؤذن بجواز الطواف من الطابق الأول على تقدير وجود البنية. إذن فالفرق بين ما يستقبل في الصلاة وبين ما يطاف به موجود فندبر.

الوجه الثالث: الإحالة إلى العرف في صدق الطواف بالبيت على الطائف في

الطابق الأول بلا مسامحة عرفية في الصدق، مضيّاً بـأأن الصدق - ولو بالمسامحة
العرفية - كاف في حكم العقل بامتثال الأمر^(٨).

وفيه: أن الإحالة المذكورة ممنوعة بعد عدم إحرار صدق الطواف بالبيت
بالطواف من الطابق الأول، لو لم نقل بإحرار عدم الصدق. وقد تقدم من الكاتب
الفاضل «سلمه الله» الإقرار بما يلي: (إن قوله تعالى: ﴿وَلَيَطْوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾)
ظاهر في لزوم كون الطواف بنفس البيت لا بفضائلها (كذا)... فقوله [طااف بالمكان]
يعني أنه جعل المكان في وسطه لا فوقه ولا تحته) فعقبه بقوله «نعم، وإن كان
الظاهر كذلك إلا...»^(٩)، وهذا من الكاتب «سلمه الله» كما ترى يناقض دعوه صدق
الطواف بالبيت على الطواف من الطابق الأول فلاحظ. اللهم إلا أن يكون الكاتب
الفاضل «سلمه الله» بانياً على وهم ارتفاع جزء من الكعبة عن أرض الطابق الأول،
والحال أنه قد تقدّم بأن أرضه تعلو عن الكعبة بنحو من قدم ثم إن ما أفاده من أن
الصدق المسامي كاف في حكم العقل بامتثال ليس على إطلاق، بل يتبع ذلك
التلقي العرفي للخطاب، فإن تلقي العرف لخطاب يتعلق بكيلو غرام من الذهب
يختلف عن تلقيه لنفس الوزن من التفاح، ففي الثاني يتلقاء بمسامحة في الوزن
بنقيصة أو زيادة يسيرتين دون الأول فإنه يتلقاء ببالغ الدقة.

الوجه الرابع: استفادة عموم تنزيل الطواف منزلة الصلاة من النبوى «الطواف
بالبيت صلاة»^(١٠) قائلاً: «إنه دال على أنه كما يمتد في الصلاة علوًّا وسفلاً فكذلك
في الطواف»^(١١). وأضاف بأن الدليل على عموم التنزيل أنه قد استثنى في الرواية
مورداً واحداً، قال: «الطواف بالبيت صلاة، إلا أن الله تعالى قد أحل فيه النطق».
ويردُّ هذه الاستفادة أولاً: إن أقصى ما يستفاد من التنزيل المذكور هو تنزيل

الطواف منزلة الصلاة في الشرائط والموانع، فما يعتبر في الصلاة من شروط فهو معتبر في الطواف، وما يمنع من صحتها يمنع من صحته إلا ما خرج بالدليل، ولما كان استقبال البيت غير معتبر في الطواف بل هو مانع من صحته أو أن عدمه معتبر فيه، فما في الاستقبال من التوسيعة إلى العلو والسفل لا ينسبح على الطواف المعتبر فيه جعل البيت على يسار الطائف، وما جعله الكاتب الفاضل «سلمه الله» شاهداً لما ذكره من التعميم فهو لما ذكرناه أوضح في الشهادة؛ فإن ملاحظة ذيل النبوى شاهدةٌ على أن الجهة التي ذكرناها هي الجهة المنظورة في النبوى.

ومنه تعرف النظر فيما قد يقال من أن مقتضى إطلاق التنزيل أن كل موردٍ يصدق فيه عنوان الصلاة شرعاً فيصدق فيه عنوان الطواف، وحيث تصدق الصلاة من الطابق الأول فكذلك الطواف.

وثانياً: إن الرواية نبوية لا وجود لها في مصادرنا الحديبية حاشا غوالى اللئالي، ودعوى استناد المشهور إليها الجابر لضعف سندها^(١٢) - ممنوعة صغرى وكبرى، إذ ما أورده الكاتب «سلمه الله» من كلمات لعلمائنا كشاهد لاستناد مشهورهم إليها لا تعبر عن حالة شهرة، فإن من استعرض الكاتب «سلمه الله» كلماتهم ليسوا بالكثيرين، إذ لم يتعد عددهم عدد أصابع اليد الواحدة، هذا فيما يرجع إلى صغرى الانجبار، وأما كبراه - بعد تسليم تمامية الصغرى - فهي دائرة مدار حصول الوثوق بالصدور وجوداً وعدماً، وعهدة ادعاء حصول الوثوق بمنشأ استناد المشهور إلى رواية ما على المدعى نفسه، فكيف عندما لا يحرز استناد المشهور إليها كما هو الحال مع النبوى؟!

الوجه الخامس: «أنه لو كان الطواف مرتفعاً عن الكعبة غير جائز لصار هذا

أيضاً حداً من جهة الارتفاع، ولكن اللازم على الشارع ذكره، كما ذكر الحد في جهة المسافة ومحيط الدائرة الأرضية، فمن عدم البيان نستكشف صحة العمل^(١٣).

ويردّه: بأنه من غير اللازم على الشارع أن يبين كلّ حد على حدة، ومعه فيكتفيه بيان هذا الحد أن يقول: ﴿وَلَيَطْوُفُوا بِأَبْيَاتِ الْعَتِيقِ﴾ الظاهر - كما تقدم - في لزوم كون الطواف بنفس البيت لا بفضائه المحاذي له.

النتيجة: وقد تبيّن مما قدمناه عدم نهوض شيء من الوجوه الخمسة لإثبات صحة الطواف من الطابق الأول، بل إنّ مثل قوله سبحانه ﴿وَلَيَطْوُفُوا بِأَبْيَاتِ الْعَتِيقِ﴾^(١٤) ظاهراً في عدم إجزاء الطواف من الطابق الأول فضلاً عن غيره؛ وذلك لدخلالة بنية الكعبة في صدق الطواف بها لغةً - كما تقدم - وعرفاً، وعليه فيتعمّن على من لا يطيق الطواف بفناء الكعبة أن يستنيب في طوافه غيره.

نعم لو قلنا بعدم جواز الطواف من الطابق الأول، لا للوجه الذي ذكرناه، بل لعدم إحراز مشروعيته، فلا يفيدُ هذا الوجه القطع بالاكتفاء بالاستنابة بل يلزم الاحتياط بالجمع بينها وبين الطواف من الطابق الأول، ولعلّه الوجه في ذهاب بعض المراجع «أئذهم الله» إلى اختيار الاحتياط.

والحمد لله أولاً وآخرأ وظاهراً وباطناً، وصلى الله على محمد وآلـه.

العاشر من شوال لعام ١٤٢٦هـ ، عدّلـ وزيد عليه في الخامس والعشرين من جمادى الأولى ١٤٢٨هـ ، قم المقدّسة.

المواهش:

(١) وقد صارت هذه المسألة مثاراً للبحث وبنحو آكده منذ حج ١٤٢٤ هجرية، حيث حظر إدخال الكراسي المتحركة والأسرة المحمولة إلى فناء الكعبة، وقد استفتى المراجع العظام (أيدهم الله) عمن لا يستطيع الطواف ماشياً بفناء الكعبة لعلة أو للزحام هل له أن يطوف من الطابق الأول والحال أن أرضه أرفع من الكعبة «شرفها الله» بنحو من قدم واحد؟ فالطائف منه لا يطوف بالبنيّة المشرفة بل بفضائلها.

ومن استفتى سماحة السيد السيستاني «دام ظله» فأفتى بعدم كفاية الطواف من الطابق الأول فيما إذا كان أرفع من الكعبة المعظمة. ملحق مناسك الحج: ٢٥٢ ، وعليه فتصل التوبة إلى أن يستتب من لا يطيف الطواف غيره، بينما احتاط من تردد في كفيته وعدمها بالطواف من الطابق الأول مع الاستابة، إلى جانب جزم البعض بكافية الطواف من الطابق الأول بل جوازه اختياراً.

(٢) الوسائل: ٤: ٣٣٩ بـ ١٨ من أبواب القبلة ح.٣

(٣) رسالة في الطواف من الطابق الأول: ١٦.

(٤) الوسائل: ٤: ٣٣٩ بـ ١٨ من أبواب القبلة ح.١٠

(٥) فإن المحتملات في جزم الشيخ الصدوق تثبّت بصدور الرواية إما تواترها في زمانه، وإما وصولها إليه بنقل ثقة عن ثقة وهكذا إلى المعصوم؛ لأصالة الحسن، وإما لاحتفافها بقرائن أفادته الوثائق بصدورها - على الأقل -، والأول غير محتمل؛ إذ أنه إنما يتم في بعض الأحاديث التي كثُر نقلها، والثاني إنما يتم فرضه في إخبارات الصدوق إذا كان مسلكه حجية خبر الثقة، وأما لو كان مسلكه حجية الوثيق - كما يظهر من كتابه (الفقيه) - فلا مجال لهذا العمل، كما أنه لا يتم أيضاً لو كان مسلكه هو حجية خبر الثقة؛ فإن القدر المتيقن لأصالة الحسن في إخبار الثقة - بعد كون مدركتها بناء العقلاه - هو ما إذا كان الخبر بلا واسطة، أما لو كان الخبر مع فاصلٍ زمانٍ طويلاً بحيث يحيط بالوسائل فلا يحرز بناء للعقلاء على إجراء أصالة الحسن في إخبار الصدوق «رضي الله عنه» بمعنى أنه يروي حسناً عن ثقة، وحسناً عن المعصوم. والثالث إنما يتم لو فرض وصول

القرينة المفيدة للوثيق - على الأقل - إلينا، وحيث لم يصلنا ما اعتدّ بها من قرينة فقد لا تفيينا فيما لو
وصلتنا غير الظن الذي لا يعني من الحق شيئاً.

(٦) رسالة في الطواف من الطابق الأول: ١٨.

(٧) رسالة في الطواف من الطابق الأول: ٢١.

(٨) رسالة في الطواف من الطابق الأول: ٢٣، ٢٢.

(٩) رسالة في الطواف من الطابق الأول: ١٨، ١٩.

(١٠) غوالى الثنالى: ٢: ١٦٧.

(١١) رسالة في الطواف من الطابق الأول، هذا الوجه غير موجود في كراس الرسالة المطبوع إلا أنه أدرج
في نفس الرسالة على صفحة الكاتب «سلّمه الله» في الموقع الإلكتروني لسماحة المرجع اللنكراني
«دام ظله».»

(١٢) رسالة في الطواف من الطابق الأول كما تقدّم.

(١٣) رسالة في الطواف من الطابق الأول: ٢٤.

(١٤) سورة الحج: ٢٩.

نبأة من الأسينية البارانية في قم المقدسة

عُرف البحرين منذ القدم بتجذر الحالة الدينية في مجتمعاتها، وقد ارتبط شعب البحرين بالحو زات العلمية ارتباطاً وثيقاً، وعلى مر العصور كانت هناك حالة من التواصل المستمر بين العلماء والحو زات العلمية في البحرين وعلماء وحو زات بقية الهاوا ضر الشيعية مثل الحلة والن جف وأصفهان وشيراز وقم، الأمر الذي يفسر لنا ال هجرات العلمية الكثيرة المتبدلة التي تمت في مختلف العصور، والتي تجاوزت الحواجز السياسية والجغرافية.

وبعد انتصار الثورة الإسلامية المباركة في إيران والضغوط الكثيرة والمتعددة التي مورست على الحوزة العلمية في النجف الأشرف، برزت الحوزة العلمية في قم، وتألق نجمها، وصارت مأوى العلماء وطلاب العلم من مختلف الهاوا ضر الشيعية، ومنذ ذلك الوقت هاجر إليها العديد من طلاب العلوم الدينية البحرينيين حيث تلقوا دروسهم في مدارسها وحو زاتها، وقاموا خلال هذه الفترة بتأسيس بعض المدارس والمراكز العلمية الخاصة بهم، وفي سنة ١٤١٨هـ.ق. انبرى جمع منهم لتأسيس حسينية للبحارنة، فكانت الحسينية البحرينية.

وتقع الحسينية البحرينية بالقرب من حرم السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام في مدينة قم المقدسة، ويحتوي مبني الحسينية على قسمين أساسين:

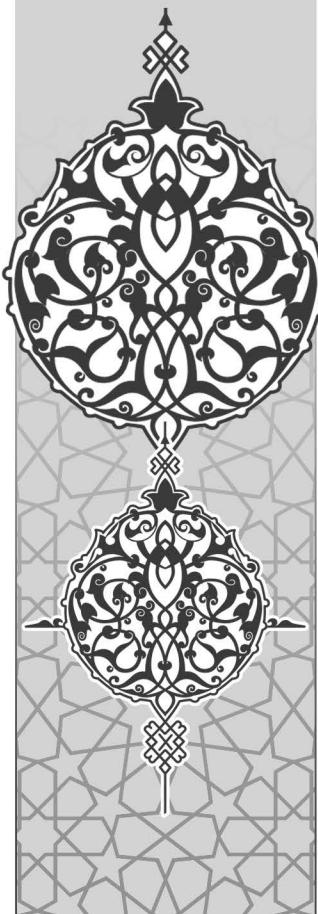
القسم الأول: وهو عبارة عن قاعة الحسينية، وهي قاعة كبيرة مخصصة لإحياء المناسبات الدينية وإقامة الدروس والبرامج الثقافية المتعددة.

القسم الثاني: وهو عبارة عن سكن مخصص لطلاب العلوم الدينية البحرينيين في مدينة قم المقدسة، ويتكون هذا القسم من طابقين، يحتويان على مجموعة من الغرف والمرافق، كما يحتوي أيضاً على مكتبة لمطالعة الكتب الإسلامية والثقافية، بالإضافة إلى المكتبة الصوتية التي تحتوي على الأشرطة الصوتية والمرئية والأقراص الكومبيوترية.

وتعتبر الحسينية البحرينية المركز الأساسي للأنشطة الثقافية والعلمية للجالية البحرينية في مدينة قم المقدسة.

وخلال السنوات الأولى التي تلت افتتاح الحسينية كانت صلاتي المغرب والعشاء تقام فيها جماعة بإمامية سماحة العلامة الحجة الشيخ عيسى أحمد قاسم، وقد استمر هذا الوضع إلى ما قبل سفره إلى البحرين في ذي الحجة سنة ١٤٢١هـ، كما قام سماحته خلال تلك السنوات بإلقاء العديد من المحاضرات الدينية والثقافية والأخلاقية والسياسية في الحسينية في مناسبات متعددة، بالإضافة إلى درس الخارج الذي بدء في إلقائه في سنة ١٤٢٠هـ.

ومنذ تأسيس الحسينية البحرينية ولحد الآن تقوم اللجنة الثقافية بالحسينية بتنظيم وإحياء البرامج الدينية والثقافية مثل الاحتفالات الدينية ومجالس العزاء، وبرنامج «ليلة الجمعة» الذي يشتمل على دعاء كميل وزيارة الحسين عليه السلام ثم المحاضرة الأسبوعية، كما تقوم بتنظيم البرنامج الثقافي السنوي لشهر رمضان المبارك، حيث تتم فيه استضافة العديد من الشخصيات العلمية والثقافية في شتى التخصصات الحوزوية.

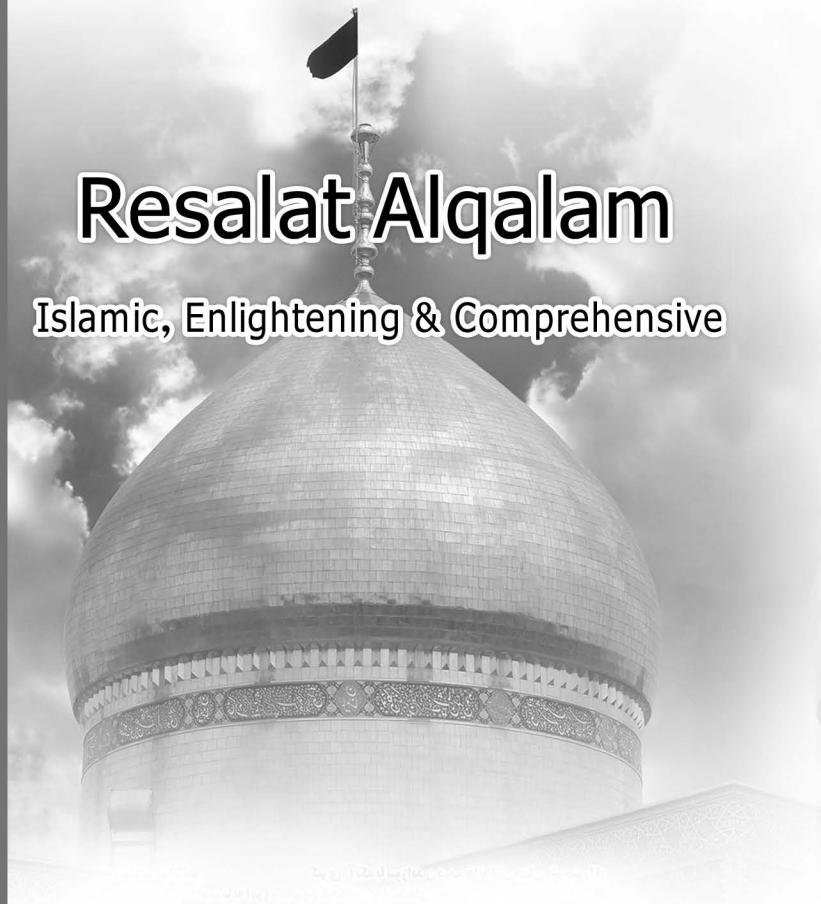


- General Supervisor & Executive Manager:
Abdulla Ali Al daqaq
- Editor in Chief:
Ali Ahmad Alkarbabadi
- Managing Editor:
Ali Ahmad Aljofairi
- Publishing Committee:
Fadhel Abduljaleel Al Zaki
Ghazi Abdulhassan
Jaffer Abdulmahdi Shehab
Saeed Hassan Al Madeh



Resalat Alqalam

Islamic, Enlightening & Comprehensive



A Periodical Magazine Issued by the
Bahraini Students
of the Educational Hawza the
Holy City of Qom